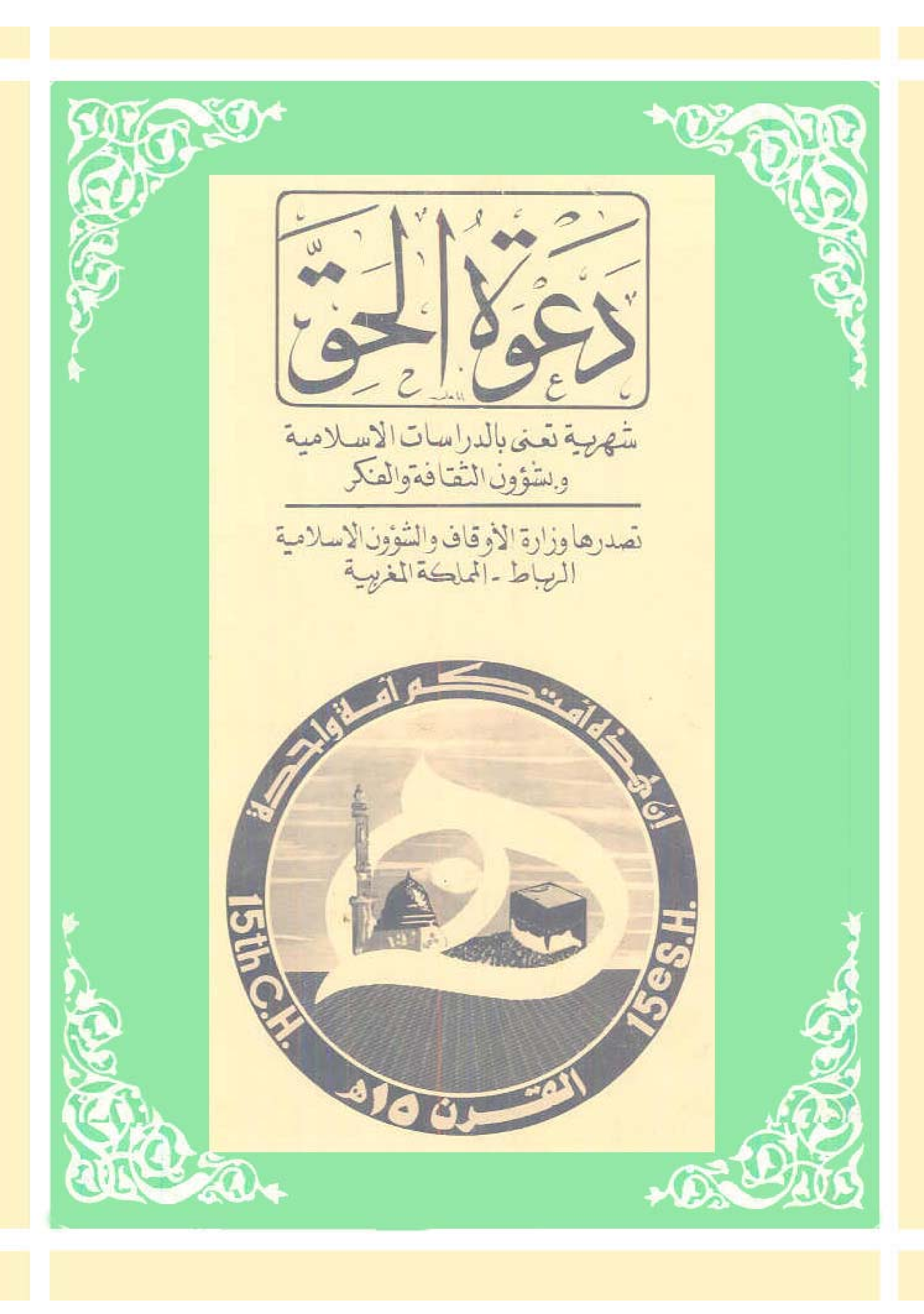

دعوة الحق
شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية
إن هذه أمتكم أمة واحدة
15th C.H.
15e S.H.
القرن ١٥ هـ

بيانات إدارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

- تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة «دعــوة الحــق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب الهاتف : 03 - 627 و 04 - 627

- الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل و 67 درهماً للخارج. والشرفي 100 درهم فأكثر.
- السنة 8 أعداد. لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة
- تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه.

- لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر•

العدد 7
السنة 21

محرم / صفر 1401
نوفمبر 1980

هذا العدد

يتضمن هذا العدد ابحاثا ودراسات ومقالات تتنوع شكـلا وتتوحد مضمونا وغرضا وغاية . واذا كان الطابع المغربي بارزا من خلال مواد العدد ، فان القصد من ذلك ، وكما لا يخفـى على قرائنا ، الاسهام بجهد مخلص فى اظهار دور المغرب ورسالتـه ومسؤولياته التاريخية عبر الاجيال ، سواء فى التثقيف والتنوير، او فى الدفاع والحماية والانتصار لكلمة الحق ، او فى ابـلاغ صوت الاسلام الى الناس كافـة .

ونعتقد ان التركيز على هذا الجانب لا يخرج بنا من دائرة الاعلام الاسلامي ، التي تلتزم داخلها هذه المجلة بواجبها الصحافي والفكري والثقافي ، ذلك ان العناية بالموضوعـات التاريخيـة والادبية عامة ، ومن الزوايا التي نختار النظر منها الى القضايـا المطروحة ، لا يمكن ان تكون الا عاملا مساعدا فى حركة التنوير الاسلامي التي تتحمل وزارة الاوقـاف والشؤون الاسلاميـة مسؤوليتها الوطنية والدينية فى النهوض بها ودفعها وامدادهـا بعناصر الدوام والاستمرار .

وفى كل عدد ، نفرغ وسعنا من اجل الاقتراب اكثر مـن موضوعات نعتقد انها محور الصراع الفكري فى البلاد الاسلامية عامة ، وذلك سواء عمدنا الى الاسلـوب المباشر فى الطـرح والتناول والمعالجة ، او اعتمدنا توصيل الافكـار عبر قنـوات ادبية وثقافية نجزم انها نافعة وموصلة لما نريد من رأي وفكـرة ومبدا واقتناع .

ولا ينبغي ان نغفل فى هذا الصدد عن طبيعة العمل الاعلامي فى اطار مجلة فكرية ذات ثقل وامتداد وتاثير وصيت ذائع ، ذلك ان الصحافة الفكرية فى العالم الاسلامي ، وخاصة منها تلـك التي تحترم خطها والتزامها ووفاءها لمبادئها وتنزع نحو الجدية والرصانة ومراعاة مستويات رفيعة من الانتـاج ، تصادف فى طريقها عادة صعوبات ليس مردها الى الجهاز المشرف او الجهة الناشرة ، بقدر ما تعود الى طبيعة الوظيفة التي تنهض بها ، ومن ذلك - مثلا - التاخير فى الصدور بين الحين والآخر ، وعـدم التمكن من استيعاب اكبر ما يمكن من المواد فى العدد الواحد .

ومع ذلك ، فان هذا العدد مرآة للفكر ، ومنبر للـراي ، ونافذة على العالـم ...

ولا نـزيـــد ....

عبد القادر الادريسي

الثمن : 5 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

معركة اليوم والغد

الافتتاحية :

●● لعل ابرز ما تميز به مطلع القرن الخامس عشر الهجري المواجهة الحادة والسافرة مع قوى البغي والعدوان التي لم تعد تتخذ أشكالا من المداراة واللف والدوران كالعهد بها دائما . فلقد ابانت هذه القوى عن وجهها ونزلت الى ساحة الصراع والصدام بسلاحها المكشوف تبغي الاطاحة بمكانة الاسلام وتسعى الى الاضرار بمصالح شعوبه وترمي الى التآمر الشامل ضد الامة الاسلامية فى مشرق العالم الاسلامي ومغربه .

لقد بدأت الحرب العلنية ضد الاسلام تفرض تحديات جديدة أمام المسلمين لا قبل لهم بها ، وتلزمهم بتغيير وسائل دفاعهم عن انفسهم ووجودهم وعقيدتهم وحضارتهم . واتضحت من جراء ذلك ، معالم المرحلة الجديدة من تاريخ المواجهة الابدية بين الاسلام والجاهلية وبين الايمان والكفر وبين الحرية والكرامة والعبودية والمذلة . وبذلك تحددت مسؤوليات العالم الاسلامي على نحو يجعل النهوض بالواجب المقدس فريضة لا يتنصل منها الا من اراد ان يدير ظهره لهذه الامة وفضل أن يتعامل مع اعدائها وخصومها والحاقدين عليها .

وفى ذلك الخير كله وتزكية للروح والنفس ، لانه بقدر ما تتضح ملامح المرحلة الحضارية وتتكشف خيوط المؤامرة الدولية بقدر ما يسهل على المسلمين فى كل مكان اعداد خططهم واحكام اعمالهم لرد العدوان ومقاومة الدسائس والمناورات .

● وللفكر مجال للتحرك فى هذه الساحة الصاخبة المشتعلة . وللدعاة الى الله دور ينبغي أن ينهضوا به ، ولذوي الضمائر الحية والافكار النيرة والنوايا الحسنة مسؤولية تلقيها على عاتقهم طبيعة المواجهة وخصوصية المعركة وخطورة الظرف . فليس مطلوبا اليوم الاشتغال بسفاسف الامور على الصعيد الفكري وافراغ الجهد فيما لا يعود بفائدة أو

●● ولو لم تكن لنا عقيدة لالتمسناهـــا التماسا ، ولـــو لم نكـــن مسلمين لاعتنقنا الاسلام من جديد ، فهو وحده سبيل القوة والنصـــر ، والمناعة والظفر ، والحصانة والوقاية ، فلا مجال لنا للتحرك خارج دائرة الاسلام ، وان انحرفنا عن قصده تهنا وضعنا وتفرقت بنا السبـــل ، وان طلبنا العزة والعلو فى الارض بحق فى غير عقيدة الاسلام انقلبت علينـــا الدائرة واندحرنا وانحدرنا الى اسفل سافلين . فلا عزة البتـــة بغيـــر الاسلام ، ولا قوة الا قوته ، ولا سلاح سوى سلاحه . وأي مكابرة او عناد فى هذا المجال انما هو ضرب من الجنون ان لم نقل الخيانـــة العظمـــى والضلال المبين والخسران الكبير .

ولقد جربنا ما شاءت لنا اهواؤنا أن نجرب من عقائـــد ومذاهـــب وايديولوجيات على مدى القرن الماضي فما نفعتنا فى شيء ، ولم تزدنا الا تاخرا وضعفا وتشتتا ، ولم نظفر من ورائها بطائل اللهم الا الامعـــان فى الغواية والاغراق فى الضلالة والمبالغة فى التخاصم والتنافر والتنابـــذ بالالقاب والتراشق بالسهام بل التقاتل بالمدافع والدبابـــات والطائـــرات والصواريخ وناهيك بالاقلام والميكروفونات .

● ولم يبق الا الاسلام . تلك هي القاعدة الذهبية التي لا تزيدها الايام الانصاعة وسطوعا ولمعانا . والاسلام ليس طقوسا وترانيم وادعيـــة ومراسيم ، ولكنه دين الحياة والقوة والحضارة والعلم والغلبـــة فى كـــل شان من شؤون الدنيا . ولذلك فان الاسلام الذي ينفـــع فى المواجهـــة الضارية انما هو اسلام الله ، والاسلام الذي جـــاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن الله سبحانه وتعالى . وهو دين الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه ، وشريعة الله الخالدة التي كتب لها النصر الازلي والعلو الابدي والتمكين الدائم الذي لا ينقطـــع . ومـــا سوى ذلك مما يروج فى دنيانا اليوم من نحل وملل ومذاهب ضالة وعقائد منحرفة ليس سوى أوهام وضلالات وشطحات ما أنزل الله بها من سلطان.

●● هي معركة اليوم والغد ، قوامها الاسلام الحق ، وسلاحهـــا الدين القيم ، وساحتها الارض جميعها . فلا تفريط وتطرف ، ولا غلو ولا تقاعس ، ولا تزيد ولا تشدد ، وانما هو الصراط المستقيم ، والمحجـــة البيضاء ، وقصد السبيل ، وهداية ورحمة وتسامح ومحبة ، واخوة فى الله وتواص بالحق وتواص بالصبر . ومن يفسد علينا ديننـــا ، فانمـــا يفتح ثغرة فى صفنا ، علم بذلك ام لم يعلم ، والامر سيان .

معركة تحت راية القرءان . تلك هي الحقيقة الاولى ، التي تصغـــر امامها كل الحقائق . فمن وعاها وادرك مدلولهـــا ، استمسك بالعـــروة الوثقى ، ومن فاته وعيها وادراكها فامره الى نفسه التي ابت الحق وزاغت مـــع الهـــوى .

وتلك هي وظيفة الفكر الاسلامي ، وهذا دوره فى الصراع المحموم الدائر على أشده بين الحق والباطل . فهل نرقى نحن معشر رجال الفكر والقلم الى هذه الذروة من الاحساس بالمسؤولية ؟ .

نفع على الامة فى حربها المتعددة الميادين مع أعـداء الحـق والانسان والسلام ، وانما المطلوب ، وبالحاح شديد العمل على تنويـر الافهـام وتبصير العقول وشحذ الهمم وحفز الارادات وانارة الطريـق وتوضيـح معالمها امام الاجيال الجديدة لئلا تقع فريسة الضياع والتيه أو الاغراق فى التطرف والغلو فى الدين وفهم الحقائق على غير وجههـا الحقيقـي أو الانسياق مع دعاة الهدم وهم قوم نشيطون دائبون لا تعوزهـم وسائـل الاغراء وادوات التضليل واساليب الاحتيال والاستحـواذ على مختلـف الفئات والطبقات واصناف البشر .

●● واذا كانت جسامة واجب التصدي للمؤامـرات العسكريـة والديبلوماسية والاقتصادية تقع على عاتق الحكومات الاسلاميـة ، فان من باب اولى ان يتحمل المفكرون والعلماء ورجال الدعوة والاعلاميون فى مختلف فروع الاعلام مسؤولياتهم باعتبارهم قادة الفكر وأعلام النهضـة ورواد المسيرة الحضارية والفكرية لهذه الامة . وفى هـذه الحالـة ، لا يقبل ان تضيع الجهود فى الخلافات المذهبيـة والصراعـات الفقهيـة والحزازات الشخصية والاجتهادات الفردية والنزاعات الذاتيـة وما الى ذلك من ضروب الخلاف وأنواع الفرقة وأصناف التمزق والتشرذم التي تمهد الطريق امام جحافل العدو لتحتل الارض والعقل وتفسد العقيـدة والضمير وتسلب الافراد والجماعات قوة المقاومة وطاقـة المواجهـة وصلابة التحـدي .

● ان أمتنا امام امتحان عسير ان تقاعست وتراجعـت وترددت فشلت واخفقت وازدادت تقهقرا وتخلفا واندحارا ، وان صمدت وصبرت وصابرت وجاهدت تحت راية القرءان والسنة حق لها أن تعيش كريمـة عزيزة الجانب تهابها الامم وتحسب لها الحساب الذي تستحـق . وليس ثمة مجال للتردد ، فاما اقتحام جسور واقدام شجاع واندفاع قـوي ، واما انهزام وتراجع وانسحاب وتفريط فى حق الله . وليس هناك مكـان للمنهزمين والمنسحبين والجبناء فى عالم يفترس فيه القوي الضعيـف ويسحقه سحقا ويمحقه محقا . وليس فى الامر من مبالغة ، وانما هـو الواقع الحي الذي تنطق به أحداثنا المعاصرة وتترجمه ظروفنا الدوليـة وتعكسه سياسة العصر فى اجلى صورة من صور الشناعـة والفظاعـة والاجرام الذي دونه أي اجرام .

● امتحان امتنا يملي عليها التدبر — فى ايمان ووعي وانضباط — فى دورها الاسلامي واستيعاب مضامين رسالتها الحضارية . ومن ثم فان سلاح المعركة ، أو فى مقدمة سلاح المعركة على الاطلاق اسلام وقـوة ، وايمان ووحدة ، ويقين وتضامن ، ودين واقتصـاد ، وعقيـدة فى الله وتفوق فى العلم ، وثقة فى نصر الله ونبوغ فى الارض ، وتمسك بتقوى الله وتدبر فى تصريف امور الحرب والسلم ، والبنـاء والتعميـر ، فى شتى مجالات حياتنا ومرافق دنيانا .

ذاك هو التحدي الفكري الذي يضؤل امامه كل تحد .

● وهذه المجلة ، التي ارادها جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه باصدارها مع مطلع عهد الاستقلال اسلامية فكرية ثقافية اصيلة ، تفتح صدرها للاقلام المؤمنة لتقول كلمتها ، وتنصر دينها وتقيم الحجة لاسلامها . وهي منبر فكري آن الاوآن لينتقل من طور الى آخر في اطار التوجيهات السديدة التي ما فتىء مجدد العصر امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني ينير لنا بها الطريق نحو الاسهام الحضاري الواسع الميادين المتعدد الجوانب المتنوع الاغراض حتى نؤدي رسالة المغرب في الاشعاع الاسلامي والتواصل الثقافي والامتداد الفكري على هدى وبصيرة ، وبحكمة ومسؤولية .

●● فلنكن في مستوى مسؤولياتنا ؛ نحمي كرامة الفكر ونذود عن اصالته ونبلغ رسالته الى الناس كافة ، والى اجيالنا الصاعدة خاصة .

دعوة الحق

التاريخ يعيد نفسه :



للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

كان الاسطول المغربى فى البحر الابيض المتوسط خـلال القـرن السادس الهجرى اول اسطول له وزن دولى فى منطقة تعتبر اعظم منطقة بحرية فى العالم وكان المغرب يشعر آنذاك بجسامة المسؤوليـة التـى يتحملها كدولة تخولها قوتها رسالة تطهر المنطقة من الشوائب التى كانت من جملتها (القرصنة البحرية) فلذلك شكل الموحدون (مليشية ملاحية) لايقاف التيارات الجارفة التى بدأت تعصف بحبل الطمانينة والهدوء فى اعظم مسار بحرى رسمى تركزت فى مياهه المبادلات الاقتصادية وعناصر التلاقح الفكرية والحضارية وكانت (الحروب الصليبية) تلطخ الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط حيث تجمع مرتزقة من بقع مختنقة فـى أوربا لتقويض كيان السلام الذى حفظه الاسلام منذ ظهوره ، وجاء (صلاح الدين الايوبى) فرد المياه الى مجاريها بعد فترة من الفوضى فجرت فى المنطقة بركانا من الدماء وقد احس الخليفة الايوبى بفضل روحه العسكرية الوثابة بمدى خطورة الموقف وبضرورة تكتل شقى العروبة فى شرق البحر الابيض المتوسط وغربه ولمس قوة الاسطول المغربى كدعامة حتمية للحفاظ على التراث الاسلامى والعربى فى المنطقة فاستنجد بالخليفـة الموحدى الذى كانت مجرد اصداء اسطوله العتيد فى المتوسط تثير الرعب فى قلوب المرتزقة الذى تشتت فلولهم قبل أن يهب الاسطول المغربى لانجاد شواطىء فلسطيـــن .

وقد جدد جلالة الحسن الثانى ملك المغرب هذه الرسالة عندمـا تفضل فقبل الاشراف على لجنة القدس فى ظرف عصيب لم يسبـق ان اجتازه العالم الاسلامى منذ العهد الصليبى :

فما هو هذا الاسطول الذى زعزع الصليبيين فى تلك العصور .

قال ابن خلدون (1) « وكانت لهم فى المائة الخامسة الكرة بهذا البحر (او الرومى) وضعف شأن الاساطيل فى دولة مصر والشام الى ان انقطع ولم يعتنوا بشىء من امره لهذا العهد بعد ان كان لهم به فى الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف فى اخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك وبقيت بافريقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربى من هذا البحر لهذا العهد موفور الاساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كرة فكان قائد الاسطول به لعهد لمتونة بنى ميمون(2) رؤساء جزيرة قادس ومن ايديهم اخذها عبد المومن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد اساطيلهم الى المائة من بلاد العدوتين جميعا ، ولما استفحلت دولة الموحدين فى المائة السادسة وملكوا العدوتين اقاموا خطة هذا الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما عهد وكان قائد اسطولهم احمد الصقلى ... الى ان قال : « وانتهت اساطيل المسلمين على عهده فى الكثرة والاستجادة الى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه .. » وهنا اشار الى ان صلاح الدين الايوبى ملك مصر والشام تابعت اساطيل النصارى ضد ثغور الشام لم تقاومهم اساطيل الاسكندرية فاوفد الايوبى ليعقوب المنصور عبد الكريم ابن منقذ من بيت بنى منقذ ملوك شيزر الخ استنجادا بالاسطول المغربى .

وهكذا ظل العرب وحدهم مدة طويلة سادة البحر الابيض المتوسط (3) ، وكان فى الاسطول الاندلسى فى عهد الناصر الاموى مائتان اثنتان من السفن ومثله فى افريقية باشراف قائد الاسطول (4) ، والواقع ان الاسطول المرابطى كان له جولات فى المتوسط وكان قائده ايام يوسف بن تاشفين فى الجواز الاول الى الاندلس هو داود بن عائشة ، واحمد بن ميمون (5)، وعلى بن ميمون الذى كان اميرا للبحر AMIRAL فى عهد يوسف نفسه بينما ولى احمد بن عمر المعروف برقم الاوز جملة من الاسطول المرابطى فى عهد ولده على (6) ، وقد خلدت اغنية رولان ROLAND نشاط المرابطين فى البحر وتحدث (الفونسو السابع) عن وصول غارات الاسطول المرابطى الى بلاد الشام (7) ، وعلى بن عيسى هو قائد الاسطول المرابطى الذى كانت قطعه تتردد بين العدوتين (8).

وقد انشا عبد المومن القطائع عام 557 هـ 1161 م فى سواحل العدوة والاندلس فصنع منها زهاء مائتى قطعة اعد منها فى مرسى المعمورة بحلق البحر على وادى سبو بمقربة سلا مائة وعشرين قطعة . وقد بلغت هذه القطع 400 (9) . ورؤساء البحر فى العهد الموحدى هم : عبد الله بن سليمان قائد الاسطول الموحدى فى عهد عبد المومن (10) ، واحمد الصقلى قائد الاسطول الموحدى اسره النصارى

---

(1) العبر — المجلد الاول — القسم الثانى ص 456.
(2) ذكر ابن خلدون فى تاريخه (ج 6 ص 161) احمد بن ميمون قائد اسطول المرابطين عام 416 هو الذى غزا صقلية وكذلك محمد بن ميمون .
(3) (جوستاف لوبون — حضارة العرب — الطبعة الفرنسية ص 284) .
(4) (البيان لابن عذارى ج 2 ص 237) .
(5) (الاعلام للمراكشى ج 3 ص 236 و ج 7 ص 24 خ) .
(6) (الادريسى فى النزهة) .
(7) (دوزى تاريخ الاسلام) .
(8) (ابن عذارى ج 3 ص 21 طبعة الرباط) .
(9) حسب ابى زرع (ج 2 ص 164) والاستقصا ج 1 ص 158 و ج 2 ص 128 .
(10) (ابن عذارى ج 3 ص 32) .

واستخلصه صاحب صقلية ثم لحق بتونس واجاز الى مراكش فتلقاه الخليفة يوسف بن عبد المومن بالمبرة والكرامة واجزل الصلة وقلده امر اساطيله (11) . وكان ابو العباس الصقلي ايضا رئيس اسطول اشبيلية (12) . غانم بن محمد ابن مردنيش ، عينه الخليفة يوسف عام 575 هـ / 1179 م قائدا لاسطوله (13) . ويحيى بن ابى زكرياء الهزرجي قائد الاسطول الموحدى عام 600 هـ / 1203 م الذى ذهب لقتال ابن غانية وكان على راس الجيش ابو محمد عبد الله بن ابى حفص الهنتاتى فلقيه بجبل (تاجورة) من نواحى (قابس) واوقع به (14) . وابو العلاء الكبير قائد اساطيل البرين فى عهد الناصر الموحدى وكانت تحتوى على جميع اجفان العدوة والاندلس (15) .

وذكر اندرى جوليان (16) فى (ص 413) ان (يوسف البربرى) الذى استخدمه (روجير الثانى) ملك صقلية على سفنه قد عين اميرالا من طرف الامير ابى يعقوب يوسف الموحدى فجعل من اسطول الخليفة الموحدى اعظم اسطول فى البحر المتوسط اما اسطول سبتة فكان قائده عام 720 هـ / 1320 م هو (محمد ابن على ابن الفقيه ابى القاسم) شيخ آل العزفى وذلك بعد ان اشرف على الاسطول قائد البحر (يحيى الرنداحى) (17) وقبله (ابو العباس الرنداحى) الذى اعان ابا القاسم على تملك سبتة عام 647 هـ / 1259 م (18) على ان (عليا بن خلاص) صاحب سبتة هو الذى انشا اسطولا عام 643 هـ / 1245 م فغرق عند خروجه من سبتة فى طريقه الى البيعة لابى زكرياء الحفصى (19) وقد امر (عبد الله بن جامع) اسطول سبتة (20) وابن جامع هذا قد خلف (غانما بن محمد ابن مردنيش) قائد الاسطول الموحدى المرابط فى سبتة الذى اسره النصارى عام 576 هـ / 1180 م (21) وكان (ابن عبد السلام ابو عبد الله الكومى) هو ايضا قائد اسطول سبتة وعندما حدث الخلاف بين يعقوب المنصور المرينى وابن الاحمر عام 673 هـ / 1279 م تجمعت بمرفا سبتة اساطيل منها خمس واربعون قطعة لابى حاتم العزفى واثنتا عشرة لابن الاحمر انطلقت من (المنكب) والمرينى و (مائة) وخمس عشرة قدمت من (بادس) وسلا وانفا التحمت مع اربعمائة قطعة للعدو فملكتها واسرت قائدها (الملند) الذى نقل اسيرا الى فاس (23) وكان (ابو الحسن بن كماشة) قائد البحر بسبتة عام 709 هـ / ايام استيلاء بنى الاحمر على المدينة الذى تقبض عليه آنذاك تاشفين بن يعقوب بأمر من السلطان ابى الربيع سليمان بن ابى عامر عبد الله ابن يوسف المرينى (24) وعندما عاد ابو الحسن المرينى عام 750 هـ / 1349 م من تونس بعد مقام طال عاما ونصف عام وبعد ان عقد لابنه ابى الفضل نزل اسطوله بمرسى بجاية بعد خمس ليال من اقلاعه من تونس ثم ابحر من جديد فتكسرت اجفانه وقذف الموج بالسلطان على حجر قرب الساحل من بلاد (زوادة) حيث تداركه جفن من بقية الاساطيل وكانت الاساطيل (حسب نفح الطيب) نحو الستمائة

(11) (العبر المجلد الاول — القسم الثانى ص 457) .
(12) (ابن عذارى ج 3 ص 117) .
(13) (الاستقصا ج 1 ص 161) .
(14) (الاستقصا ج 1 ص 189) .
(15) (ابن عذارى ج 3 ص 234 طبعة الرباط) .
(16) تاريخ افريقيا الشمالية .
(17) الاستقصا ج 2 ص 55 .
(18) (ابن عذارى ج 3 ص 400 طبع بالرباط) .
(19) (الاستقصا ج 1 ص 203) .
(20) (ابن عذارى ج 3 ص 117 طبعة الرباط) .

غرقت كلها وهلك من اعلام المغرب نحو اربعمائة عالم منهم (محمد بن سليمان السطى) شارح (الحوفي) و (محمد بن الصباغ المكناسى) وابــو العبــاس (الزواوى) وقد ذكر الابى فى شرح مسلم عنــد كلامه على احاديث العين ان مصاب هذا الاسطول بنظرة كان معروفا بتلك الديار (25) وكان (ابــن فرحون زيد) هو قائد اسطول بجاية ايام الحفصيين وقد شارك (26) بست عشرة قطعة بحريــة فــى (وقعة طريف) عام 740 هـ / 1339 م ، اما الاسطول المرينى فقد كان رئيسه عام 757 هـ / 1356 م هو محمد بن يوسف المعروف بالابكم من امــراء بنــى الاحمر (27) وقد ورد وصف هذا الاسطول فى رحلة ابى عنان المرينى المسماة « فيض العباب » لابراهيم ابن عبد الله المعروف بابن الحاج مع ذكر اسماء بعض رؤسائه وشاراته واعلامها وموسيقاهم ومــن قواد الاسطول المرينى (ابو اسحاق البطروجى نور الدين الاشبيلى تلميذ ابن طفيل) (28) وابن شلطور محمد قائد اسطول المنكب والمزداد بمــراكش (29) امــا الاسطول السعدى فلم يكن له دور كبير فى الحروب ولكنه استفاد ماديا من هجمات القراصنــة علــى شواطىء الاندلس وكان وجوده بشكل وسيلة ضغط على اسبانيا والبرتغال اللتين كانتا تذكران ما قام به الاسطول فى عهود المرابطين والموحدين والمرينيين وكان قد مر قرنان اثنان على انهيار الاسطول المرينى فى عهد ابى الحسن فكانت المحاولة الجديدة عام 956 هـ 1549 م جديرة باثارة الانتباه وقد اصبح القراصنة يعيشون فى البحار وفى مراسى المغرب فرابط القرصان من اتراك الجزائر فى العرائش حيث امتدت اوكــار قرصانية فى موانىء اخرى كتطوان وبــادس بل ان القرن الخامس عشر شهد استيلاء البرتغاليين على معظم المراسى فى مصبات الانهار المغربية الامر الذى حال دون قيام اسطول مغربى وقد بدا ذلك باحتلال سبتة عام 818 هـ / 1415 م فلهذا حاول (محمــد الشيخ السعدى) تكوين اسطول بحرى بالاضافة الى وحدات كانت فى ملك رؤساء تطوان وبادس فقام ورش بحرى بالريف قرب غابات البلوط والارز والصنوبر وورش آخر فى سلا وقد بنيت أربعة مراكب فى بادس واربعة اخرى فى سلا عام 956 هـ / 1549 م بالاضافة الى مركبين مجدافيين او شراعيين وثلاثــة مراكب مجدافية وطلب محمد الشيخ من ابى حسون الوطاسى امير بادس التعاون معه على صنع مائة مركب ومائة اخرى مسطحة لنقل الجند ولكن ابا حسون لم يكن يثق بالسلطان السعدى ففر الى (مليلية) فى نفس السنة ولعل السعديين كانوا يستهدفون من اسطولهم تحرير الجيوب البرتغالية الثلاثة التى كانت تقاوم خلال الحصار نظرا لما يتوارد عليها من امدادات من جهة البحر ولكن الحرب التى نشبت بين المغرب والجزائر عام 959 هـ / 1551 م وتهديد الاتراك للمغرب حال دون استمرار السعديين فى تعزيز اسطولهم فاضطروا الى مساعدة الاسبان ضد الاتراك .

ففى عهد عبد الله الغالب بالله كان الاسطول الحربى يتوفر على نحو ثلاثين مركبا بلغت الاربعين

---

(21) ابن عذارى ج 3 ص 117 طبعة الرباط .
— البيان المغرب ج 1 ص 105
— المن بالامامة ص 516
— الاستقصا ج 2 ص 136
(22) (البيان لابن عذارى ج 4 ص 203) .
(23) (الاستقصا ج 2 ص 25) .
(24) (الاستقصا ج 2 ص 49) .
(25) الاستقصا ج 2 ص 84
(26) الاستقصا ج 2 ص 66 .
(27) الاستقصا ج 2 ص 99 .
(28) (الاستقصا ج 2 ص 124) .
راجع ابراهيم البطروجى) .
(29) (الدرر الكامنة ج 4 ص 278) .
(30)

عند بداية ثورة الاندلسيين فى جبال غرناطة عام 976 هـ / 1568 م ومهما يكن فان الاسطول احتفظ بهذا العدد من انقطع عام 985 هـ / 1577 م فى عهد المولى عبد الملك ولم يكن اسطول دايات الجزائر اكثر عددا ولكنه كان اجود نظرا لتقلص التقاليد البحرية بالمغرب خلال قرنين ومع ذلك فالمهم هو **شعور الملوك السعديين بان تعزيز وضعهم فى افريقيا والبحر المتوسط لا يمكن ان يتم بدون اسطول اذ بفضل هذا الاسطول اضطر البرتغاليون الى الجلاء عام 957 هـ / 1550 م عن مراكز قوية فى الساحل المغربى مثل اصيلا والقصر الصغير** ويظهر ان المنصور السعدى استعاض عن سياسة التوسع عبر المتوسط وخلال الاندلس بالتوسع جنوبا نحو الصحراء والسودان لهذا لم يعد للاسطول وجود بالمغرب فى القرن التاسع عشر الميلادى اذا استثنينا اسطول القراصنة بجمهورية سلا والرباط فى الفترة المتراوحة بين 1040 هـ / 1630 م و 1050 هـ / 1640 م حيث بلغت وحداته الحربية نحو الثلاثين امتد نشاطها القرصنى الى « تيرنوف » Terre - Neuve وايرلندا والجزر الخالدات (30) .

ولم يكن لاحمد المنصور فى سلا عدا ثمانية مراكب لمحاربة الاسبان (31) وقد اشار صاحب تاريخ الدولة السعدية الى الاسطول السعدى فى العرائش وسلا وكان (محمد زرقون بن على) هو قائد اسطول المنصور السعدى فى النيل بالسودان (32) وحاول مولاى زيدان بعد معاهدة 1610 م / 1010 هـ بين المغرب وهولندا تكوين اسطول يجلب ربابنته من هولندا وقد صنعت بالفعل قطع اولى لهذا الاسطول هى ثلاث سفن وقيل خمس كما وصل الى آسفى اربعة مراكب (33) وقد هاجم الاسبان هذا الاسطول فاغرقوا باخرتين فى سلا (34) نعم فى عام 1019 هـ / 1610 م توجه القائد (احمد بن عبـد اللـه) الى (روتردام) فى نفس المركب الذى نقل الى المغرب سفير مولاى زيدان حمو بن بشير وقد رافقه (ساموبل بالآش) وكذلك الترجمان (موشى بالاش) وقد استقبل السفير من طرف مجلس الولايات العامة بمحضر الامير (اورانج) وقدم اوراق اعتماده الى المجلس وطلب تزويد السلطان بعدة سفن حربية فوافق المجلس على ذلك وقرر انشاء ثلاثة او اربعة مراكب من حمولة مائتى طن مع تجهيزها بالملاحين والمدافع وقد اقترح السفير اقراض هولندا مبلغ مليون ونصف مليون كما فعل قبله حمو بن بشير دون تحديد العملة (الدوكا أو الفلوران او الاوقية) والواقع ان الهدف الاساسى من السفارة هو امضاء معاهدة تحالف وتجارة تضمن حرية الدخول للجانبين فى مراسى البلدين مع امكان تزويد المغرب بالربابين والسفن والعتاد وقد أمضيت فى 24 دجنبر 1610 م 1019 هـ من طرف السفير وساموبل بالاش من جهة وثلاثة مندوبين عن الولايات المتحدة من جهة اخرى ولعل هذه السفارة هى اعظم سفارة مغربية لهولندا فى عهد السعديين لانها أسفرت عن توقيع اول معاهدة بين البلدين ضمنت عدم تصادم مراكب البلدين فى البحر وعدم بيع نهب القراصنة ضد السفن الهولندية فى اسواق المغرب وقد اصدر مولاى

---

(31) (دو كاستر 5 ق 1 انجلترا م 1 ص 504) .
(32) (ص 53) .
(33) (درة الحجال ج 1 ص 313) .
(34) دو كاستر — س ١٠ . هولندا م 2 عام 1612 فرنسا م 2 عام 1611 .
(35) (ص 2 س 534 — فرنسا) .

زيدان اوامره بتسريح الاسرى الهولنديين بالمغرب وكانت هذه أول مرة توقع معاهدة حقيقية بين المغرب ودولة مسيحية لذلك شكلت هذه المعاهدة حدثا عظيما في الاوساط الاوربية ويظهر انه بعد ان طلب السلطان مولاي زيدان من هولندا أن تصنع له اربع سفن عاد فطلب منها عام 1621 م / 1031 هـ بناء فرقاطتين اى حراقتين (37) وقد وجهتا الى المغرب بخفارة بارجة حربية عام 1622 م ولكنهما وصلتا الى مياه انجلترا وعادتا لعدم استطاعتهما مواجهة امواج عرض المحيط اما بخصوص المراكب الاخرى في (المتوسط) فقد نقل محمد داود في تاريخ تطوان (38) عن رحلة (محمد بن على الرافعي) الى الحجاز ان المؤلف نزل بجزيرة (رودس) التركية في مركب الرئيس (محمد عروج) فوجد في الجزيرة ثلاثين سفينة منها واحدة فيها خمس طبقات و 75 مدفعا من النحاس وان تلك السفن صنعها السلطان محمد خان بالقسطنطينية .

اما الاسطول العلوى فاول من وضع الاسس لبناء اسطول وطني قوى هو السلطان سيدى (محمد ابن عبد الله) الذى كان للمغرب في عهده — حسب الناصرى — خمسون سفينة منها ثلاثون حراقة (او فرقاطة) بقيادة ستين رئيسا أو ضابطا يشرفون على خمسة آلاف بحار والفين من الرماة الا ان الرحالة (هوست) أوصل عدد هذه المراكب الى اثنى عشر فقط وقد انحدرت عام 1180 هـ / 1766 م الى عشرة حسب شيني CHENIE (39) ويظهر ان الاسطول العلوى ارتفع بعد بضع سنوات اى 1185 هـ / 1771 م الى عشرين قطعة وهكذا شرع السلطان سيدى محمد بن عبد الله منذ بداية عهده في صنع مراكب في (دار الصناعة) بأبى رقراق جهز كل واحد منها ببطريات يبلغ عدد مدافعها ما بين 26 و 36 على ان بعض المراكب مثل الحراقة التى كانت تحت امرة (الرايس الطرابلسى) بلغ عدد مدافعها خمسة واربعين وكانت بتطوان ايضا دور لصناعة السفن في العهد العلوى **وقد وجه السلطان سيدى محمد بن عبد الله الى كل من (السويد) و (انجلترا) شبانا من مدينة الرباط للتدريب على بناء السفن والمراكب (40)** كما وجه ستمائة رجل من آية عطا بالصحراء واربعمائة من تافيلالت الى طنجة للتمرن على المناورات البحرية (41) .

وفى نفس الفترة كانت بعثة من الخبراء الاتراك تقوم بتكوين رماة في الجيش المغربى وفى عام 1789 م اواخر ايام السلطان سيدى محمد بن عبد الله كانت البحرية المغربية تتكون من 6 الى 8 فركاطات تحتوى على مائتى فجوة للمدافع بالاضافة الى 14 الى 18 مدفعا و 12 (غليونة) وهى مراكب شراعية صغيرة وفى أول عهد مولاى سليمان عام 1208 هـ / 1793 م بلغت عشر فراكيط واربع قلعية شراعية واربعة عشر غليونا وتسعة عشر مركبا مدفعيا مجهزة بستة آلاف بحار ممتاز وفى عام 1299 هـ / 1820 م ثلاث قلعيات واربعين مدفعا وثلاثة عشر مركبا مدفعيا (41) **وكانت البحرية الملكية تتوفر عام 1793 م / 1208 هـ عند اعتلاء المولى سليمان اريكة العرش على عشر حراقات (او فرقاطات) واربع قلعيات (اى سفن شراعية ذات قلوع) واربعة عشر غليونا (اى سفن**

(36) دو كاستر ج 1 ص 521 — 526 .
(37) (ص 371) (دو كاستر — س . 1 . السعديون ج 3 ص 188) .
(38) دو كاستر ج 1 ق 1 ص 519 (هولندا (دو كاستر — السعديون — السلسلة الاولى .
راجع حق تملك حطام السفن وفي العهد السعدى
(39) مذكرة القنصلية الفرنسية العامة — الدار البيضاء عام 1943 ص 103) .
(40) توريخ الرباط — كايبى CAILLÉ
(41) (وصف وتاريخ المغرب — كودار ج 1 ص 156) .

شراعية صغيرة) مثل التي كان الهولنديون يستعملونها للصيد وتسعة عشرة من زوارق (مسدسة) المجهزة بالمدافع كل ذلك بتعزيز من ستة آلاف بحار من الملاحين ذوي الشهرة والصيت (42) وقد اعترض الاسطول المغربي عام 1217 هـ / 1803 م الاسطول الامريكي المحاصر لطرابلس ففك هذا الحصار ثم بدد اسطولنا عمارة ثانية (43) (راجع رسالة المولى سليمان لامير ليبية يوسف باشا (محمد المنوني — دعوة الحق — عدد 4 العام الثاني عشر) وكانت مدة اجتياز البواخر لعرض البحر الفاصل بين فرنسا والمغرب يتطلب فترة طويلة فقد قطعت السفينة الفرنسية التي حملت سفير فرنسا لدى المولى اسماعيل سانت - الون ST OLON في مايه 1693 ثمانية وعشرين يوما بين فرنسا وفرضة تطوان (44) وكانت السفن تدعى احيانا باسم خاص مثل (غراب دار الصنعة) الذي تحدث عنه خالد البلوي في رحلته (تاج المفرق) حيث ركب فيه من المرية الى الحج عام 735 هـ / 1334 م فنقله من المرية الى هنين وقد تطور على نفس النسق الاسطول الرحماني (1243 هـ / 1827 م) بين المد والجزر الى عام 1322 هـ / 1904 اى قبيل الحماية حيث كانت للمغرب سفن حربية منها « الحسني » و « سيدي التركي » و « التريكي » و « البشير » (45) ويتعزز اليوم هذا الاسطول الملكي بصورة سيصبح معها قديرا على مواجهة مختلف تيارات التجارة البحرية وذلك بسفن ضخمة تمخر عباب البحار والمحيطات لنقل البضائع المغربية الى جميع انحاء العالم لا سيما وان 98 ٪ من المبادلات الخارجية تتم بالطرق البحرية وقد اشرف صاحب الجلالة الحسن الثاني بنفسه على تكوين الاسطول المغربي الحديث .

المغاربة ومهنة الملاحة

ان المغاربة لم يكونوا « بحريين » فهم لم يكونوا يهتمون كثيرا قبل اليوم بفن (الملاحة البحرية) حتى في المراسي نفسها ومعظم القراصنة — حتى الذين يوصفون بانهم سلاويون انما هم اعلاج اجانب اما سكان العدوتين فالقليل منهم هم الذين تعاطوا هذه المهنة التي اتسع نطاقها نوعا ما بعد توارد الاندلسيين خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين على مصب ابي رقراق وكان لهذه الملاحة نظامها وقوانينها التي كانت تحاول ان تكفل حرية البحار ذلك ان حماية الاشخاص وامتعة التجار مهما تكن جنسياتهم كانت في نظر المغاربة شيئا طبيعيا وضروريا للتجارة الى حد انها كانت تخول لجميع الاجانب « حتى ولو كانت المعاهدات تسمح للحكومة العربية بانكارها » ذلك ما اكده لاطري LATRIE الذي ابرز ان روح العطف والحسنى والنزاهة التي اذكت الحكومة العربية ازاء التجار الاجانب قد تجلت في التشريعات المتعلقة بالتهريب وكذلك في التدابير المنصوص عليها في المعاهدات فحتى اذا لوحظ انتهاك القانون فان الجمارك تتقاضى رسومها كما لو ان السلع قدمت بصورة عادية الى الديوانة ولكن العقوبة تكون آنذاك ادبية (46) من ان التاجر الذي يدخل سلعة خفية

(42) نفس المصدر ص 156 .
(43) (محمد بن علي الدكالي — جريدة المغرب رقم 346) .
(44) وثائق دوكاستر — ص 2 . الفلاليون — فرنسا م 4 ص 1 (1693 — 1698) .
(45) الاستقصا ج 4 ص 183 .
(46) كما لاحظ (بيركولوطي) .
(الفصل 27 ص 123) .

ويكشف عمله « يفقد سمعته وشرفه فلا يحظى بعد ذلك بثقة العرب » ولم تكن هنالك مدرسة لتخريج الربابين بمعنى الكلمة اللهم الا المدارس التطبيقية وهى (الصناعة) بباب المريسة بسلا ودار الصناعة بتطوان والورش الذى اسسه العلويون قبالة جامع حسان بالرباط ، ولعل اول مدرسة حملت هذا الاسم هى (متحف الاوداية) الذى كان يتخرج فيه ربابنة البحر وقد عرفت هذه المدرسة منذ عام 1309 هـ / 1891 م (47) وكان لكل مركب او سفينة ربانها او رئيسها (ويسمى الريس) كما كان لبعض الموانى قائد يشرف على البحرية فى نطاق عمالته كما كان الحال بتطوان حيث أشرف على البحرية بها القائد احمد لوقاش المعروف عند الاسبان وقد ولى الخليفة الناصر الموحدى السيد عبد الله بن طاع الله على قيادة البحر بعد أن كان قد عينه قبل واليا على جزيرة ميورقة ومن هؤلاء الرؤساء والربابين : العربى حكم الرباطى رئيس البحر ايام سيدى محمد بن عبد الله(48) وكذلك العربى المستارى والرايس عواد السلوى وقنديل (ص 177) وهو غير قنديل محمد السلوى رئيس المركب الذى كان فى ملك المولى اسماعيل وقد أسر فى فرنسا وافتدى عام 1688 م / 1100 هـ (49) الكوار الرباطى رئيس البحر فى عهد السلطان سيدى محمد بن عبد الله .

مصادر فى البحر والبحرية

كناش فى أمور البحر وهو تقييد ما دخل فى يد عبد الهادى العسرى من جبة الفشمينية ابتداء من عام 1183 هـ / 1769 م يشتمل على قائمة بحارة الرباط وسلا واجورهم وموارد مراسى المغرب المودعة فى بيت المال بباب القصبة بالرباط من عام 1183 الى 1227 هـ (160 ورقة) خع = 1409 د (الاصل بالمكتبة الناصرية بسلا) .

— لواقح الاسرار فى حديث البحر والاسفار فى توضيح الرسالة الفتحية فى صنعة الرياس لعبد الله ميكانى الرباط (عاش فى عهد السلطان مولاى سليمان) مخطوط فى مكتبة الاستاذ عبد الله الجرارى.

— « زينة النحر بعلوم البحر » لابراهيم التادلى الرباطى تحدث فيها عن سير سفن الشراع والبواخر خع 1747 د .

— البحرية والطبجية فى الرباط تاريخ الضعيف (ص 470 — 476) .

— عجائب البحر لابن عفيون محمد بن ابى بكر الغافقى الشاطبى (584 هـ / 1189 م) .

— تاليف فى الملاحة البحرية خم 7817 .

— تاريخ الاسطول العربى محمد ياسين الحموى دمشق — مطبعة الترقى 1945 (147 ص) .

— تاريخ تطوان لمحمد داود ج 4 ص 226 مقدمة ابن خلدون ج 1 ص 416 .

— مظاهر يقظة المغرب الحديث محمد المنونى ج 1 ص 63 .

— اسطول الاندلس (اسبانيا المسلمة — ليفى بروفنسال ص 153 و 248).

---

(47) تاريخ الرباط لكاييى ص 393 .
(48) دو كاستر ق 2 : العلويون (ص 340 — 344) (و ق 2 — فرنسا م 3 ص 172) .
(49) تاريخ الضعيف ص 177 .

مصادر مغربية في موسوعة

المواهب اللدنية

-1-

للأستاذ سعيد أعراب

ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد بن ابى بكر القسطلانى ، من العلماء الموسوعيين القلائل، كان فقيها ، محدثا ، نحويا ، لغويا ، مقرئا ، مؤرخا (1) ، وكتابه : « المواهب اللدنية ، بالمنح المحمدية » من اوسع كتب السيرة ، واجمعها للشمائل المحمدية ، واوفاها بالغرض المقصود ، وقد عاد فيه الى عشرات المصادر ...

ومما لفت نظرى — وانا اتصفح مجلداته الضخام بشرح الزرقانى (2) — ما تضمنه من مصادر مغربية ، ونصوص على جانب من الاهمية قد ضاعت أصولها ، وربما لا تجدها فى كتاب سواه ، ويمكن تصنيفها — كما يلى :

— التفسير — الحديث — السيرة النبوية — سير الصحابة — اسماء البلدان والامكنة .

ا — فى التفسير :

ومن المصادر لتى عاد اليها فى هذا الصدد :

1 — كتاب « الهداية ، الى بلوغ النهاية (3) »

— لابى محمد مكى بن ابى طالب القيروانى القرطبى، العالم المقرىء (ت 437 هـ (4)) ، وهو من اوسع التفاسير واوفاها ، جمع الى معانى القرآن وتفسيره ، أنواع علوم القرآن ، فى سبعين جزءا ، وجعله بعضهم فى عشرة اسفار (5) (مجلدات) .

---

(1) أنظر الضوء اللامع 103/3 ، والبدر الطالع 102/1 ، وخطط مبارك 11/16 ، والكواكب السائرة 126/1 .

(2) يقع فى ثمانية مجلدات ، توسع فيه ، واعاد نصوصه الى اصولها ، وترجم لاعلام كثيرين ، لكنه وقع فى أخطاء فى بعض وفيات المغاربة — كما سنرى ذلك .

(3) انظر المواهب بشرح الزرقانى 206/2 ، و ج 175/3 .

(4) انظر فى ترجمته : الصلة 597/2 ، ومعالم الايمن 213/3 ، وغاية النهاية 310/2 ، ومعجم الادباء 167/19 ، ووفيات الاعيان 363/4 ، وبغية الوعاة : 396 .

(5) يوجد المجلد الاول منه بالخزانة الملكية .

2 ــ « أحكام القرآن » ــ للقاضي ابي بكر ابن العربي الحافظ المتبحر (ت 543 هـ (6)) ، أورد عنه طائفة من آرائه ــ بواسطة بعض تلاميذه كالقاضي عياض في الشفاء (7) ، والسهيلي في الروض الانف (8) ، وكنت أعتقد انه لم يصله الكتاب ، لكنه ارتفع هذا الوهم عندما وجدته في بعض الاجزاء ــ يقول : (وقد رايت في كتاب الاحكام للقاضي ابي بكر بن العربي ... (9))

3 ــ « الجامع لاحكام القرآن » ــ لابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح ــ بسكون الراء وبالحاء المهملة ــ الانصاري القرطبي ، الامام المفسر (ت 671 هـ (10)) ذكر عنه بعض اختياراته وترجيحاته ، منها ما ذهب اليه في تفسير قوله تعالى : « ويسالونك عن الروح » ــ انهم سالوه عن روح الانسان ، لان اليهود لا تعترف بأن عيسى روح لله (11) .

ويشير شارحه الزرقاني الى ان شرذمة قليلة من الاندلسيين ترى راى الفلاسفة في ان الروح تفنى بفناء الجسد ، والاجماع على انها لا تنعدم ، بل هي باقية في عذاب او نعيم (12) .

كما افاد صاحب المواهب من كتابه « التذكرة بأمور الآخرة (13) » .

4 ــ « البحر المحيط » لاثير الدين ابي حيان محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي ، شيخ النحاة في عصره ، (ت 745 هـ (14)) .

اورد عنه بعض آرائه في التأويل (15) ، قال في آية : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » ــ : ومن الغريب ما انشدنا الامام اللغوي رضى الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي لزبينا بن اسحاق النصراني الرسعني :

عدى وتيم (16) لا احاول ذكرهم
بسوء ولكنى محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه
اذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى بحبهم
واهل النهى من اعرب واعاجم
فقلت لهم اني لاحسب حبهم
سرى في قلوب الخلق حتى البهائم(17)

---

(6) انظر في ترجمته : المطمح : 62 ، والصلة 558، والمغرب في حلى المغرب 249/1 والوفيات 423/3، والمرقبة العليا : 105 ، والديباج : 281 ، وتذكرة الحفاظ : 1294 ، وازهار الرياض : 62/3 ، 86 ــ 95 ، ونفح الطيب 25/2 ــ 44 .
(7) انظر المواهب 284/1 .
(8) المصدر السابق 420/1 .
(9) المواهب 118/3 .
(10) انظر في ترجمته : الوافي بالوفيات 122/2 ،وطبقات المفسرين 28 ، والنفح 210/2 ــ 212 .
(11) المواهب 263/1 .
(12) انظر الزرقاني على المواهب 263/1 .
(14) انظر في ترجمته : الاحاطة 43/3 ، والكتيبة الكامنة : 81 ، ونكت الهميان : 280 والدرر الكامنة 302/4 ، وغاية النهاية 285 ، وبغية الوعاة 121 ،والنفح 535/2 .
(15) انظر المواهب 387/1 ، و ج 369/8 ، 418.
(16) يعنى بعدى قبيلة الفاروق عمر بن الخطاب ،وتميم قبيلة الصديق ابي بكر .
(17) انظر المواهب 14/7 .

5 ــ ومن المصادر التى اضافها شارحه الزرقانى ــ فى هذا الصدد ــ « المحرر الوجيز » فى تفسير كتاب الله العزيز » ــ لابى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربى الغرناطى ، الامام المفسر (ت 542 هـ (18)) .

وتفسيره هذا من احسن التفاسير تحريرا واتقانا (19) .

ب ــ الحديث :

1 ــ كتاب « الدلائل (20) » ــ لقاسم بن ثابت بن حزم العوفى السرقسطى ، الفقيه المحدث (ت 302 هـ (21)) ــ شرح فيه ما اغفله ابو عبيدة وابن قتيبة من غريب الحديث ومات قبل ان يكمله ، فاكمله ابوه ثابت بعده (22) .

اثنى عليه غير واحد ، وقال فيه ابو على القالى: ما اعلم وضع بالاندلس مثله ، فانتقده ابن الفرضى وقال : انه تعصب منه ، لو قال : ما وضع بالمشرق مثله ، ما ابعد (23) .

2 ــ « النصيحة » : ــ شرح صحيح البخارى لابى جعفر احمد بن نصر الداودى الطرابلسى . (ت 402 هـ (24)) . وهو اول شارح له ، وله شرح على الموطا ، اسماه « النامى (25) » ، وقد تعقب عليه ابن حجر كثيرا من آرائه (26) ، أورد بعضها القسطلانى فى المواهب (27) .

3 ــ شرح صحيح (28) البخارى لابى القاسم المهلب بن ابى صفرة التميمى الاندلسى ، من العلماء الراسخين فى الفقه والحديث . (ت 435 هـ (29)) .

4 ــ شرح صحيح (30) البخارى ــ لابى الحسن على بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبى، ويعرف بابن اللجام ، الفقيه الحافظ المحدث الراوية. (ت 449 هـ (31)) .

---

(18) انظر فى ترجمته بغية الملتمس 376 . والمعجم لابن الابار : 269 . وقضاة الاندلس : 109 .

(19) انظر البحر المحيط 9/1 ــ 10 .

(20) انظر المواهب 331/1 . و ج 188/3 .

(21) انظر فى ترجمته : تاريخ علماء الاندلس 36/1،وجذوة المقتبس 312 . وبغية الملتمس 434 ، وبغية الوعاة 375 ــ 376 .

(22) تاريخ علماء الاندلس 361/1 .

(23) نفس المصدر .

(24) انظر فى ترجمته : ترتيب المدارك 623/4 . والديباج : 35 . وشجرة النور : 155 .

(25) توجد نسخة منه بخزانة القرويين رقم 527 هـ.

(26) انظر مقال « مصادر مغربية فى فتح البارى » ــ لكاتب هذه السطور المنشور بمجلة « دعوة الحق » س 17 ع 2 ص : 41 .

(27) انظر : ج 79/2 . و ج 158/4 . و ص 221 . 256 .

(28) انظر المواهب ج 172/7 ــ 181 ، و ج 161/8 .

(29) انظر ترتيب المدارك 752/4 . والصلة 593 . والديباج 346/2 والزرقانى على المواهب 172/7 ، وفيه ان وفاته 433 هـ .

(30) انظر المواهب 265/1 . و ج 18/4 . 256 . 314 . 357 ، و ج 27/5 . 29 ، 350 . و ج 86/7، 164 ، 166 ، و ج 167/8 . 316 ، 374 .

(31) انظر الصلة : 394 ، والديباج 105/2 . وشذرات الذهب 283/3 ، والزرقانى على المواهب 265 ــ وفيه ان وفاته : 444 هـ .

5 ــ « المحلى (32) » لابى محمد على بن احمد ابن حزم الظاهرى الامام الحافظ (ت 456 هـ (33))، وافاد كذلك من كتابه « حجة الوداع (34) » .

6 ــ « التمهيد (35) » لابى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، حافظ المغرب (ت 463 هـ (36)) وعاد كذلك الى كتابه « الاستذكار (37) » .

7 ــ شرح (38) على صحيح البخارى لابى عبد الله محمد بن خلف بن المرابط ، من اهل الرواية والحفظ والتفنن . (ت 485 هـ (39)) .

8 ــ « الجمع بين الصحيحين (40) » لابى عبد الله محمد بن ابى نصر بن فتوح الازدى الحميدى الاندلسى الظاهرى ، من كبار تلاميذ ابن حزم ، كان فريد عصره علما وفضلا ، حافظا ثبتا ، اماما فى الفقه والحديث والادب (ت 488 هـ (41)) .

9 ــ الجمع بين (42) الصحيحين لابى على الحسن بن محمد الجيانى ، ويعرف بالغسانى ، من كبار الحفاظ ، بصيرا باللغة والانساب واسماء الرجال ، صنف فى كل ذلك . (ت 498 (43)) ومن ملفاته القيمة « تقييد المهمل ، وتمييز المشكل (44) ».

10 ــ تجريد الصحاح (45) ــ لابى الحسن رزين ابن معاوية العبدرى السرقسطى ، جمع فيه : الموطأ ، والصحيحين ، وسنن ابى داود ، والترمذى، والنسائى .

كان فاضلا عارفا بالحديث وغيره . (ت 525 هـ (46)) .

11 ــ « المعلم بفوائد مسلم (47) » لابى عبد

---

(32) انظر المواهب 131/1 ، 308 ، 351 396 ،و ج 261/7 ، و ج 103/8 ، 149 .

(33) انظر فى ترجمته : جذوة المقتبس : 290 ، الصلة 395/2 ، تذكرة الحفاظ 146/3 ، العبر 239/3، الوفيات 13/3 ، شذرات الذهب 229/3 ، دائرة المعارف الاسلامية 136/2 .

(34) انظر ج 207/8 ، 290 .

(35) انظر المواهب 126/1 ، 127 ، 137 ، 146، 239 ، 308 ، 311 ، و ج 2/2 ، 132 ، 302، و ج 70/3 ، 193 ، 202 ، 206 ، 250 ، 261 ، 262 ، 323 ، و ج 275/5 و ج 6/7 ، 359 ، 381، و ج 322/8 .

(36) انظر فى ترجمته : جذوة المقتبس 390 ، الصلة 640/2 ، ترتيب المدارك 808/4 وفيات الاعيان 44/6 ، تذكرة 1208 .

(37) انظر المواهب 381/7 ، و ج 123/8 .

(38) انظر المواهب ج 57/2 ، و ج 17/3 ، و ج 237/5 .

(39) انظر الصلة 530/2 ، والديباج 273 ، وشذرات الذهب 275/3 ، وشجرة النور 122 . والزرقانى على المواهب 57/2 ــ وفيه ان وفاته بعد الثمانين

(40) توجد نسخة بمكتبة عارف بالمدينة المنورة على جانب من الاهمية فى مجلدين رقم 329 .

(41) انظر الصلة 530 ، تذكرة الحفاظ 218/3 ، والرسالة المستطرفة 173 ، وشجرة النور 122 .

(42) انظر المواهب 395/5 .

(43) انظر بغية الملتمس 29 ، الصلة 144/1 ، معجم اصحاب الصدق 177 تذكرة الحفاظ 1233 ، ازهار الرياض 149/3 .

(44) توجد نسخة منه بخزانة الجامع الاعظم بمكناس، واخرى بمكتبة عارف بالمدينة المنورة ، وهو جدير بالتحقيق .

(45) انظر المواهب 335/1 ، و ج 336/8 .

(46) انظر الصلة 184/1 ، وشجرة النور 133 .

(47) انظر المواهب 140/2 ، 219 ، و ج 362/4، و ج 292/5 ، و ج 74/7 ، 161 ، 164 ، 381، و ج 265/8 .

الله محمد بن على المازرى الامام الحجة فى الفقه والحديث . (ت 536 هـ (48)) .

12 — « عارضة الاحوذى ، على صحيح الترمذى (49) » — للقاضى ابى بكر بن العربى ، وافاد كذلك من كتابه « القبس فى شرح موطا مالك ابن انس (50) » .

13 — « الاكمال (51) » لابى الفضل عياض بن موسى اليحصبى السبتى ، عالم المغرب ، وامام اهل الحديث فى وقته . (ت 444 هـ (52)) .

14 — « الاحكام الشرعية الكبرى (53) » لابى محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلى ، ويعرف بابن الخراط ، كان فقيها حافظا ، عارفا بالحديث ورجاله . (ت 581 هـ (54)) .

15 — « المفهم فى شرح مسلم (55) » — لابى العباس احمد بن عمر بن ابراهيم الانصارى ، الشهير بالقرطبى ، من رجال الحديث ، رحل الى المشرق ونزل الاسكندرية ، وبها توفى سنة (656 هـ (56)).

16 — « بهجة النفوس (57) » — لابى محمد عبد الله بن سعيد بن ابى جمرة ، الشيخ القدوة ، المحدث الراوية ، نزيل مصر . (ت 699 هـ (58)) — وهو شرح على مختصر له لصحيح البخارى .

17 — ومن المصادر التى عاد اليها فى رواية بعض الاحاديث — « الواضحة (59) » فى الفقه والسنن ، لابى مروان عبد الملك بن حبيب السلمى ، عالم الاندلس وفقيهها . (ت 238 هـ (60)) قال صاحب المواهب : ومما يستدل به المالكية — يعنى فى تفضيل مسجد النبى — صلى الله عليه وسلم —

---

(48) انظر وفيات الاعيان 413/3 . والديباج 279. ولحظ الالحاظ 73 . وازهار الرياض 165/3 .
(49) انظر المواهب 118/3 ، و ج 18 . 195 ، 240. و ج 291/5 ، و ج 329/6 ، و ج 391/8 .
(50) انظر المواهب 119/3 .
(51) انظر المواهب 36/5 .
(52) انظر فى ترجمته الصلة 429 ، والقلائد 222 . ومعجم اصحاب الصدفى 294 . وقضاة الاندلس 101 ، وتذكرة الحفاظ 1304 ، والديباج 168 . وشجرة النور 140 . وافرده ولده محمد بتاليف اسماه « التعريف » والمقرى « ازهار الرياض » .
(53) انظر المواهب ج 13/5 . و ج 155/7 .
(54) انظر فى ترجمته : تهذيب الاسماء 292/1 . فوات الوفيات 248/1 . التكملة 646 — طبع مجريط . عنوان الدراية 20 . تذكرة الحفاظ 1350. شجرة النور : 155 .
(55) انظر المواهب 158/1 . 307 . و ج 236/2. و ج 19/4 . و ج 152/5 . 158 . 299 . و ج 4/6 . 111 . و ج 99/7 . 149 . 182 . 275. 331 . و ج 52/8 . 159 . 323 . 342 — 343. 402 .
(56) انظر تذكرة الحفاظ 1488 . ولسان الميزان 437/5 . والنفح 112/2 . والرسالة المستطرفة 62
(57) انظر المواهب 42/1 . 222 . و ج 67/5 . 295 — 296 . و ج 32/6 — 33 . 72 . 122 . 139 ، 295 — 296 . و ج 176/7 . 393 .
(58) انظر البداية والنهاية 213/13 . وهدية العارفين 59/1 .
(59) انظر المواهب ج 323/8 .
(60) انظر فى ترجمته . تاريخ علماء الاندلس 269/1. والديباج 154 . وتذكرة الحفاظ 107/2 . وميزان الاعتدال 148/2 . ولسان الميزان 59/4 .

على غيره — ما ذكره ابن حبيب في « الواضحة » — انه — صلى الله عليه وسلم — قال : « صلاة في مسجدي كالف صلاة فيما سواه (61) » .

قد يقال ان ابن حبيب لم يكن له علم بالحديث، فكيف يستدل بروايته ؟

يجيبنا ابو العباس المقري عن هذا التساؤل فيقول : اما ما ذكروه من عدم معرفته بالحديث ، فهو غير مسلم ، وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين واما ما ذكروه عنه من الاجازة بها في القراءة ، فذلك على مذهب من يرى الاجازة ، وهو مذهب مستفيض، واعتراض من اعترض عليه ، انما هو بناء على القول بمنع الاجازة (62) .

وعاد شارحه الزرقاني — زيادة على المصادر السابقة — الى المصادر التالية :

18 — « مسند (63) » ابي عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي الامام الحافظ (ت 276 هـ (64)) قال فيه ابن حزم : (مسند بقي روى فيه من الف وثلاثمائة صاحب ونيف ، ورتب حديث كل صاحب على ابواب الفقه ، فهو مسند ومصنف ، وما اعلم هذه الرتبة لاحد قبله (65)) .

ويذكر الزرقاني انه روى فيه لابي هريرة من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خمسة الاف وثلاثمائة واربعة وسبعين حديثا (66) .

19 — « المنتقى (67) » — شرح على موطأ مالك — لابي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، الفقيه المحدث ، احد ائمة المسلمين (ت 474 هـ (68)) . انتقاه من شرح له كبير — وهو في سبعة مجلدات (69) .

20 — « المخبر الفصيح ، في شرح البخاري الصحيح (70) » — لابي محمد عبد الواحد ابن التين السفاقسي ، المحدث الراوية (ت 611 هـ (71)).

21 — « اكمال الاكمال (72) » — لابي عبد الله محمد بن خليفة الابي الوشتاني . (ت 828 هـ (73)) وكمل به اكمال عياض ، وهو شرح جليل (74) .

---

(61) اخرجه البيهقي في الشعب عن ابن عمر . انظر الزرقاني على المواهب 328/8 .
(62) النفح 8/2 .
(63) انظر الزرقاني على المواهب 34/1 .
(64) انظر في ترجمته : تاريخ علماء الاندلس 107/1، وجذوة المقتبس 167 . وبغية الملتمس رقم 584 ، والمرقبة العليا 18 ، وتذكرة الحفاظ 629 ، وطبقات المفسرين 9 .
(65) انظر فضائل الاندلس واهلها 12 — 13 .
(66) شرح الزرقاني على المواهب 34/1 .
(67) انظر الزرقاني على المواهب ج 79/1 ، و ج 243/2 ، و ج 149/5 .
(68) انظر في ترجمته : القلائد 188 ، والصلة 197، وبغية الملتمس رقم 777 ، والمغرب 404/1 ، والوفيات 142/2 ، ومعجم الادباء 246/11 ، والديباج 120، وتذكرة الحفاظ 1178 ، والمرقبة العليا 95 ، والنفح 67/2 .
(69) انظر شجرة النور 121 .
(70) انظر الزرقاني 351/4 .
(71) انظر في ترجمته : هدية العارفين 635/1 ، وشجرة النور 168 .
(72) انظر الزرقاني 88/1 .
(73) انظر شجرة النور 244 .
(74) نفس المصدر .

ج — السيرة النبوية :

1 — « المولد النبوى (75) » لابى زكرياء يحيى ابن مالك بن عائذ الاندلسى الحافظ الكبير (ت 375 هـ (76)) .

2 — قصيدة (77) فى مدح الرسول — عليه السلام — لابى محمد عبد الله بن ابى زكرياء الشقراطسى — نسبة الى شقراطسة — بلدة من بلاد الجريد بافريقية ، عالم اديب (ت 466 هـ (78))، وهى قصيدة مشهورة ضمنها عيونا من سيرته — عليه السلام ، شرحها ابو شامة وغيره (79) .

3 — « تحقيق المذهب (80) » — فى انه — صلى الله عليه وسلم — كتب ، لابى الوليد الباجى الآنف الذكر .

وهو كتيب صغير ، اثار ضجة كبرى فى الاوساط الثقافية بالمغرب (81) ، حتى قال شاعرهم :

برئت ممن شرى دنيا بآخرة
وقال : ان رسول الله قد كتبا (82)

وحاشاه من ذلك (83) ، وانما هو من تخيلات الشعراء الذين يهيمون فى كل واد .

والى لقاء آخر فى عدد قادم — بحول الله .

تطوان — سعيد اعراب

---

(75) لم تذكره كتب التراجم ، واقتصر على ذكره صاحب المواهب ج 108/1 .

(76) انظر فى ترجمته تاريخ علماء الاندلس 193/2 — 194 ، وتذكرة الحفاظ 1003/3 — وفيه ان وفاته سنة 376 هـ ، وابعد الزرقانى النجعة ، فجعل وفاته سنة 396 هـ ، كما اخطأ فى انه توفى وهو على المنبر، ولعل الذى اوقعه فى هذا الوهم ، ما ذكره التنوخى فى نشوره : (حضرت مجلس صاحب الاغانى ابى الفرج ، فقال : لم نسمع من مات فجاة على المنبر ، فقال شيخ اندلسى لزم ابا الفرج اسمه يحيى بن عائذ ، بانه شاهد فى جامع بلده بالاندلس خطيب البلد — وقد صعد يوم الجمعة ليخطب ، فلما بلغ يسيرا من الخطبة خر ميتا فوق المنبر ، فانزل وطلبوا فى الحال من خطب) . انظر التذكرة 1003/3 — 1004 .

(77) قصيدة لامية . انظر المواهب بشرح الزرقانى 128/2 — 132 .

(78) رحلة العبدرى ص : 44 .

(79) وهى غير القصيدة البائية التى شرحها ابو حامد الفاسى ، وتوجد نسخة من هذا الشرح بمعهد مولاى الحسن للابحاث بتطوان رقم 11 .

(80) انظر المواهب بشرح الزرقانى 197/2 — 198، والفتح 67/2 — 68 .

(81) وقد شنعوا عليه فى ذلك ، وممن شدد النكير عليه ورماه بكل ناقصة ، ابو بكر الصائغ ، والف ابو محمد عبد الله بن حيدرة بن مفوز المعافرى رسالة فى الموضوع رد عليه فيها اشنع رد ، وتوجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط رقم (2254 — ب — / .

(82) انظر المواهب 198/2 .

(83) وقد تمسك بظاهر حديث البراء بن عازب الذى اخرجه البخارى وغيره — : (فاخذ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الكتاب ، وليس يحسن يكتب، فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله) ووافقه على ذلك جماعة من علماء المشرق والمغرب ،وفى مقدمتهم ابو ذر الهروى ، وابو الفتح النيسابورى وآخرون . انظر الزرقانى على المواهب ج 198/2 .



في رسالة الامام مالك في السنن والمواعظ والآداب وقد كتبها الى هارون الرشيد ووزيره يحيى البرمكي يقول : « لا تامن على شيء من امرك من لا يخاف الله ، فانه بلغني عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : شاور في أمرك الذين يخافون الله ، احذر بطانة السوء وأهل الردى على نفسك ، فانه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من نبي ولا خليفة الا وله بطانتان : بطانة تامره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تالوه خبالا ، وهو مع التي استولت عليه ، ومن وقي بطانة السوء فقد وقي » (1).

واما الوزير ابو شجاع ظهر الدين الروزوردي فيقول في « ذيل تجارب الامم » ، « ومن حسن سياسة الملوك ان يجعلوا خاصتهم كل مهذب الافعال ، محمود الخصال ، موصوفا بالخير والعقل ، معروفا بالصلاح والعدل ، فان الملك لا تخالطه العامة ولا اكثر الجند ، وانما يرون خواصه : فان كانت طرائقهم سديدة وافعالهم رشيدة ، عظمت هيبة الملك في نفس من يبعد عنه ، لاستقامة طريقة من يقرب منه ،، واذا كان خواص الملك ممن يقدح فيهم ، وتذكر مساويهم ، قلت الهيبة في النفوس ، فأظهر الجند استقلالا لامره ، ثم صار الاضمار نجوى بينهم ، ثم زادت الحيرة فصارت النجوى اعلانا ، فعند ذلك تقع المجاهرة وترتفع المراقبة ، ويتحكمون عليه تحكم الآمر لا المامور ، والقاهر لا المقهور » .

وأما ابن أبي الربيع ففي كتابه « سلوك المالك في تدبير الممالك » الذي الفه للخليفة المعتصم بالله العباسي فيقول :« انه لا بد لمن تقلد الخلافة او الملك من وزير على نظم الامور والوزير هو الشريك في الملك ، المدبر بالقول والفعل ، ومن صفاته انه يكون حسن العلم بالامور الدينية ، حسن العقل ، شديد الحلم ، جميل الصفح ، ما لم يضر بالسياسة ، وأن يكون حلو اللسان ، حميد الاخلاق ، اديب النفس ، كتوم السر ، جيد الفكرة ،،، وما يجب عليه أن يكون ذا نصح للخليفة وأمانة وصدق قول وفعل يعتمد عليه، وأن ينهي الى الملك كل كلام يخاف عاقبته على المملكة،، وأن تكون شفقته على الملك كشفقته على نفسه ، وأن يحسن اختيار من يستعمله في أعمال الملك ، ولا يسامح احدا في جنايته » .

وأما الطرطوشي في « سراج الملوك » فيقول : « وأول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في استنخاب الوزراء واستنقاء الجلساء ومجالسة العقلاء ، فهذه ثلاث خلال تدل على كماله ، وبها يجمل في الخلق ذكره ، ويجل في العقول قدره وترسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه » .

---

(1) رواه البخاري .

وما يقال عن الوزراء يقال عن العمال والمحافظين حتى عمداء القرى أو المخاتير ، وفي رسالة عمر الى ابي موسى : « ... اما بعد فان أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته وان اشقى الرعاة من شقيت به رعيته ، واياك ان تزوغ فيزوغ عمالك فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة نظرت الى خضيرة من الارض فرتعت فيها تبتغي بذلك السمن وانما حتفها في سمنها » ! وفي رسالة اخرى يقول له : « فانما أنت رجل منهم غير ان الله جعلك اثقلهم حملا » .

المواطـــن الامـيــن

على أننا وقد جعلنا شعارنا : « الحكم امانة » لا يمكن أن نغفل عن واجب المحكوم في ان يكون بدوره مواطنا أمينا ، أي أمينا للمواطنة ، اذا صح التعبير ، ولعل ما كان يردده عبد الملك بن مروان مما يشفي القليل : « انصفونا يا معشر الرعية ، تريدون منـــا سيرة ابي بكر وعمر ولا ترون منها ولا من انفسكـــم سيرة ابي بكر وعمر » ، ومن هنا ندرك ان صـــلاح الدولة وليد تفاعل تعاوني بين حاكم صالح ورعيــــة صالحة ، اي ان للولاة حقا على الرعية ولها مثل ذلك كما قال عمر في كتبه الى امراء الامصار ، اما حينما يطلب المواطن من الدولة ان تصنع شيئا ولكنه يتهرب من دفع ضريبة مهما ضؤلت ، اما ان يطلب من الدولة تامين النظافة ثم لا يتورع عن القاء قشر الموز على الطريق ، اما ان يطالب الدولة بالاصلاح ثم يستكثر ان ترفع ضريبة على تنكة البانزين ليرة واحدة ، كما هو جار هنا ، في لبنان ، تنفق على الاصلاح ، فهذا ليس بالمواطن الصالح ...

وما أكثر الذين يطلبون من الدولة كل شيء ، وهم يحترفون الشغب لمناسبة وغير مناسبة ، والاصل عندهم ان يشتموا الحكومة وأما هم فابرياء ! وعلى سبيــل الاحماض او التفكهة اروي لكم انني كنت في سيارة يسوقها صديق ، وحدث ان تعذر عليه قيادتها في شارع مزدحم فعدل الى شارع آخر وهو مرتبك ، وانطلق يشتم الحكومة ، قلت له : « وما علاقة الحكومة بالامر ؟ » فقال : « لانها اعطتني رخصة السواقة على غيـــــر استحقاق ... » فقلت : « واذا هي لم تعطك الرخصة » ؟ فقال : « تخـا الحكومة اذا لم تعطيني الرخصـــــة ، العن ... كذا وكذا ... » فالحكومة ملعونة على الحالين، ومما يروي للدلالة على احتراف الشغب أن طلابـــا قرروا اعلان الاضراب في المدرسة ابتهاجا بانتصار محمد علي كلاي ، الملاكم المشهور ، على خصمه ، وفيما هم يتداعون الى الاضراب جاء من يقول لهم : « لقد فهمتم خطأ ، فمحمد علي كلاي قد خسر فـــي الملاكمة وربح خصمـــه » فقالـــوا : « اذن نضـــرب ، احتجاجا على تغرض الحكم ... وتحيزه ... وحزنا على انكساره » ، وهنا اقبل آخر يقول : « الخبر الصحيح، أن المعركة انتهت من دون ان يتفوق احد على الآخر... اي لا غالب هناك ولا مغلوب » فقالوا « هذه ميوعة ... هذا خداع للمتفرجين الذين دفعوا التذاكر الباهظة من دون فائدة ... والاضراب يكون مشاركة للمتفرجين في الاحتجاج على هدر اموالهم ... »

ان هذه الاطروفة المروية تنم على ذهنية سائدة هذه الايام ، وتعبر عن واقع ، وان لم تكن هي قـــد وقعت .

حـــق الطاعـــة

واجب المواطن الامين أن يطيع ولي الامر ، والله يقول : (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعـــوا الرسول واولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شـــيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (1) ، دققوا في هذه الآيـــة تروا أنـــه قـــال : (واولي الامر منكم) ، أي أنه يشترط ان يكون ولـــي الامر من هذه الامة ، وتروا انه قال : (فان تنازعتم في شيء) ، أي اذا ظهر خلاف بينكم وبين ولي الامر فردوه الى الله والرسول ...) يعني هنا قانون ، هنـــا محاكم ، هنا دستور ، فاجعلوا الله في كتابه ، والرسول في سيرته وسنته ، الحكمين الفيصلين في هذا الخلاف... والامام الزمخشري يقول في تفسير الآية : « المـــراد باولي الامر امراء الحق » ومن منا لا يذكر قول ابي بكر يوم بويع بالخلافة : « فان رايتموني على حـــق فاعينوني ، وان رايتموني علـــى باطـــل فسددونـــي ، أطيعوني ما اطعت الله ، فاذا عصيته فلا طاعة لـــي عليكم ... » .

هنا تحضرني رواية رمزية قيلت على لسان علي بن أبي طالب ، قال : « بعث النبي صلى الله عليه وسلم

(1) سورة النساء ، الآية : 59 .

سرية وأمر عليهم رجلا من الانصار ، وامرهم أن يطيعوه ، فغضب عليهم وقال : اليس قد امر النبي أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدتم نارا ثم دخلتم فيها ! ! فجمعوا حطبا ، فاوقدوا نارا فلما هموا في الدخول ، فقام ينظر بعضهم الى بعض ، قال بعضهم : انما اتبعنا النبي فرارا من النار افندخلها ؟ فبينما هم كذلك اذ خمدت النار وسكن غضبه ، فذكر ذلك للنبي فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها ، انما الطاعة في المعروف » ! (1)

وفي تفسير « محاسن التأويل » للامام القاسمي: « قال الكيا الهراسي : يؤخذ من قوله تعالى : ولا يعصينك في معروف ، أنه لا طاعة لاحد في غير المعروف ، قال : وأمر النبي لم يكن الا بمعروف ، وانما شرطه في الطاعة لئلا يترخص احد في طاعة الظالمين) .

ان طاعة الدستور والقانون أمانة مفروضة على المواطن ، وانها لحق الحكومة على المواطنين ، وهي كما قال الرسول ، حق السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، اما اذا امرت بمعصية فلا سمع حينئذ اذ «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» .

الرقابة الاجتماعية

وواجب المواطن ، في هذا الباب ، أن يكون يقظا، لا يسمح بأن تنزل به مظلمة فلا يدفعها ، وأن يحسن اختيار ممثليه من ذوي الضمائر الحية فلا يكون الواحد منهم امعة ، مععميا ، يقول لكل واحد : انا معك ، عدلت أو ظلمت ، استقمت او جرت ، صدقت أو كذبت ، ولا امريا يقول لكل واحد : مرني بأمرك ، مع ان الرسول الاعظم قال : « اذا رأيت أمتي تهاب ان تقول للظالم : يا ظالم ، فقد تودع منها ، وبطن الارض خير لهم من ظهرها » (2) وهو القائل : « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا فلم يغيروا الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب » (3) ، وكذلك يقول : اعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (4) ويقول: « اذا عجزت امتي ان تقول : للظالم يا ظالم فقد تودع منها ... »

وهذا ما يحتم اشراف المجتمع على نشاطات الحكم فيمنح الثقة لمن احسن وينزعها عمن اساء .

واذا لم يمارس الفرد حقه في الرقابة الاجتماعية، داعيا الى المعروف ، دافعا للمنكر ، صدق فيه قول الرسول الاعظم : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم » (5) .

والآية القرآنية في سورة المائدة تقول : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانو يفعلون (6) .

نعم ان كل فرد في المجتمع مسؤول عن خير المجتمع ، واستقامة أمره ، وقاعدة : كلكم مسؤول وكلكم مسؤول عن رعيته ابلغ دستور اجتماعي عرفته الانسانية ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الملزم بأن على من رأى منكرا ان يغيره ، هو تطبيق لهذه القاعدة ، ووالله ما استشرت الفتنة وتأزمت الامور هنا الا تذكرت قول الله : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) (7) ولو أن الفتنة تصيب الذين ظلموا وحدهم لجاز لنا أن لا نبالي وان نقول : نحن ما لنا ؟ ما علاقتنا ؟ هؤلاء « ذنبهم على جنبهم » ، لا ، لا ، ان ذنبنا على جنبنا جميعنا ، نعم ان ذنب مثيري الفتنة انما يقع على جنبي وجنبك ، ذلك لاننا لم نتقها، ولم نتكافل ولم نتضامن في اتقائها ،، ان « لا ابالية » الفرد واحجامه عن اتقاء الفتنة ، انما يؤدي الى انحدار المجتمع ،، وقد روى أبو داود والترمذي عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا جاء

(1) مختصر مسلم «1225» .
(2) رواه الامام احمد .
(3) ابو داود والترمذي .
(4) ابو داود والنسائي والترمذي .
(5) رواه احمد وابو داود والترمذي .
(6) سورة المائدة ، الآية : 78 .
(7) سورة الانفال ، الآية : 25 .

فيه : « والله ، لتامرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتاخذن على يدي الظالم ، ولتاطرنه اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم » (2) .

ناصح ومنتصح

ومن امانة ذوي قربى الحاكم أو حاشيته وخاصته أو العاملين تحت امرته ان يعملوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، « ابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغها ، فانه من أبلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع ابلاغها ، ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الاقدام » !

وتقضي الامانة على الحاكم بدوره ان يتقبل النصيحة الخالصة بقبول حسن ، وحين أنكر منكر على احدهم قوله لعمر : اتق الله ، قال له عمر : « دعه فليقلها لي ، نعم ما قال ! لا خير فيكم اذا لم تقولوها ولا خير اذا لم نقبلها » .

وفي الطبري ، قال عمر بن الخطاب : « .. فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا في خلق فليؤذني ، فانما انا رجل منكم » .

وما أبلغ واروع ، وأجل وابدع ما قاله عمر بن عبد العزيز لعامله مزاحم حين ولاه ، « ان الولاة جعلوا العيون على العوام ، وأنا اجعلك عيني على نفسي ، فان سمعت مني كلمة تربأ بها عني أو مقالا لا تحبه ، فعظني عنده وانهني عنه » !

الرأي العام الصالح

وبعد فلقد سردت امثلة ومثاليات سامية وقواعد من الماضي تمت بصلة الى الحاضر ، ولست أزعم أن هذا ما كان يطبق في جميع تلك العصور السالفة ومن قبل جميع ولاة الامور ، وانما هي كما اسلفت قواعد شرعية وامثال وتجارب منها ما طبق خاصة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه ، اي من قبل الجيل الذي رباه محمد وصنعه الله على عينه، وهي منائر لكل من يعني بشؤون الحكم ...

ويخيل الي أن احدا يقول : ما نصنع حتى يستقيم الحكم ؟ نصنع : الحرص على ان يؤدي الفرد واجبه بأمانة ، ومن مجموع الافراد الامناء يتالف الشعب الامين ، والشعب الامين يحتم قيام الحكم الامين ، قاعدة ، كما تكونوا يول عليكم ، معروفة مقررة ، وما اصدق الشاعر الجاهلي القائل :

اذا شئت ان تقتاس امر قبيلة
واحلامها فانظر الى من يقودها

وحين يكون تكامل اجتماعي وشعور عام بوجوب الرقابة الشعبية يكون الخير ويكون الصلاح ، والرأي العام اليقظ لا يمكن الاستهتار به ، فمن واجبنا خلق راي عام يحتم اصلاح اداة الحكم في كل قطر عربي اصلاحا جذريا ، لا مكان فيه لجهل أو محسوبية أو رشوة أو فساد أو خمول .

والرأي العام يعرب بدوره وبمختلف الاساليب عن اشمئزازه من كل تصرف منكر ويقدر العمل الصالح والحكم النزيه ، مع أن الاستقامة هي الاصل الاصيل في الحكم ولا تحتاج الى تقدير ، ولكننا في زمن ترك القبيح به من أحسن الحسن ! ! نعم ، يوم يؤدي كل واحد منا واجبه في هذا الباب عمت الاستقامة وانتصرت الامانة .

الا ان مفتاح الخلاص ، ومفتاح الاصلاح هو سلامة الحكم واستقامته ، انه تادية امانة الحكم على خير وجه .

هلم نبحث في مدى سلامة الحكم وصلاحه وعدله وحزمه وسهره ... هلم نبحث في مدى تادية أمانة الحكم في وطننا العربي الكبير على اختلاف انظمته ، وفي مدى ارتفاعه الى مستوى تبعات الزمن ،نعرف لماذا هزمنا في معركة فلسطين .. هلم نتساءل : هل صلح الحكم بعد كارثة حزيران ؟ هل تبدلت الذهنية العربية ؟ هل تغيرت العقلية ؟ هل لذنا بالكفاية ؟ هل انتفت المحسوبية ؟ هل زالت المنسوبية ؟ هل امحت المفاسد ؟ هل نتصرف ونسلك في اسلوب حياتنا ؟ في طراز معاشنا ؟ في اقتصادنا ؟ في توسيد الامر الى أكفياء صلحاء اتقياء ؟ في انفاق الاموال العامة والخاصة ؟ في كل شيء ، كما لو كنا نخوض حربا

---

(2) رواه أبو داود وابن ماجه .

مصيرية أو كما لو كانت مقدساتنا تدنسها اقـدام الغاضبين ؟ اخشى ان يكون الجواب قول الشاعر :

تعجبيـن من سقمي ــــــ صحتي هي العجـب

ايــن درة عمــر ؟

الحكم امانة ، الاصلاح امانة ، قول الحق فـي مواطن الخطر امانة ، واذا انا لم اقل هذا الذي قلت ولم الذ بالصراحة في كل ما قلت لم أؤد الامانة حـق ادائها !

ان استاذي العظيم السيد جمال الدين الافغاني الذي اغترفت الحكمة من عبابه ، وتتلمذت له من آثاره وسيرته وعظاته يقول في « العروة الوثقى » التي كان يصدرها والامام المصلح محمد عـبـده في باريس : « لسنا نعني بالخائن من يبيع بلاده بالنقد ويسلمها للعدو بثمن بخس (وكل ثمن تباع به البلاد بخس) ، بل خائن الوطن من يكون سببا في خطوة يخطوهـا العدو في ارض الوطن ، بل من يدع قدما لعدو تستقر على تراب الوطن وهو قادر على زلزلتها ، ذلك هـو الخائن ، في اي لباس ظهر ، وعلى اي وجه انقلب ، القادر على فكر يبديه او تدبير يأتيه لتعطيل حركات الاعداء ثم يقصر فيه فهو الخائن ، من لم يستطع عملا وأمكنه ان يرشد العامل ، وتهاون في النصيحة فقـد خان ، من سوف عمل اليوم الى غد ، وتواني فـي تضليل كيد الاعداء بقول أو فعل ، فقد ارتكب خطيئة الخيانة ، وكل خائن لوطنه أو ملته فهو ملعون على السنة الانبياء والمرسلين وممقوت في نظر للعالـم اجمعين » .

اجل ، النصيحة امانة ، فلو كنا معشـر العرب كافة ، في الحكم والمواطنة امناء ، لامنا الغوائـل والارزاء ، ولو كنا امناء لامنا الهزائم النكراء ، ولـو كنا امناء لرفعنا عن مقدساتنا هذا البلاء !

اين درة عمر بن الخطاب يهوي بها على رؤوس الفاسدين السفهاء ، وجماجم المرتشيـن الادنيـاء ، العامهين في النفعية ، الغارقين في الانانية ، انهـا افعل من كل قنبلة وبندقية ، ذلك لان للحكم الصالـح الساهر ، الحكم التقي النقي الطاهر ، الحكم المرتفع الى مستوى المسؤولية الضخمة هو الذي يوجد القنبلة والبندقية ويوفر الطائرة والمدفع ، وهو الكفيل بايجاد من يحسن استعمالها ويذيق العدو نكالها ، فهبنا اللهم القدرة على النهوض باعباء الامانة ، حاكمين ومواطنين، واجعلنا ممن يعملون ما يقولون ، فتنجو بلادنا وتنقذ مقدساتنا وتعلو كلمة الحق فينا ،،،



حضارة القرن العشرين في الميزان

للأستاذ محمد العربي الزكاري

الحضارة بمعناها الصحيح والمثالي تحقيق السعادة والبناء والاستقرار والرخاء ، فاذا انحرفت عن هذه الاهداف كانت شرا على الدنيا ووبالا على من فيها ، غير ان مفهومها يختلف تبعا لوعي الشعوب وتسلقها مدارج الرقي الفكري والنضج العقلي ، أو الانحطاط الاجتماعي والتدني الشعبي ، فكل الفئتين تتصورها حسب منظورها الخاص وتتغنى بها حسب هواها !

ففريق يتصورها في الازدهار الاقتصادي والتجاري باعتبارهما أداة للثراء ووسيلة للاستعلاء ، وهناك من يتخيلها في اتساع العمران وامتداد البنيان، كأن الحضارة أقبية مكدسة بالاثاث والرياش وأحجار مزخرفة بالاصباغ والنقوش ، ومن يحدها في امتلاك القوى لبسط النفوذ على الشعوب والتطاول على الامم ، ومن يفهمها وسيلة للمتعة وتلبية رغبات النفس الامارة بالسوء .

وقليل هم أولئك الذين ينظرون اليها بمنظار الحقيقة لتوفرهم على التفكير السليم والعقل الموزون، فيعرفونها تعريفا منطقيا يضفي عليها هالة الاجلال والاكبار ، وينزلها المنزلة الرفيعة اللائقة بها كمجهود بشري عظيم .

اعتراف

واستعراض مظاهر الحضارات يستدعي الغوص في بحر المراجع التاريخية لاستخراج نصوصها المطولة وشروحها المستفيضة التي تضايق القارىء العابر ولا تهم الا الباحث المتخصص ، والذي يهمنا بالاصالة هو ما يسمونه زورا وبهتانا « بحضارة القرن العشرين » وينعتونه كذبا وافتياتا بانه عصر ازدهار لم يتقدم له مثيل ، ونحن لا ننكر أن عصرنا شهد طفرة صناعية عملاقة ، وتقدما علميا مدهشا ، واتساعا عمرانيا هائلا ، وسيطرة على الامراض والاوبئة رائعة، الا أن هذه المزايا واكبتها خزايا لا مناص من الاشارة اليها لتكتمل الصورة وتتضح الرؤيا .

نظرتنا الخاصة

فمفهومنا للحضارة يتمثل في ارتكازها على اسعاد البشر حاضرا ومستقبلا ، وتوفير الاطمئنان لكل انسان دون اعتبار للعرق والسلالة والمواطنة والعقيدة ، وهذا المفهوم ينطبق أساسا على الحضارة الاسلامية التي امتدت اشعاعاتها الى العديد من أطراف الدنيا فأنارت الكون وأخرجته من الظلمات الى النور ، واذا كانت اوربا تزهو اليوم بحضارتها – على علاتها – فالفضل يرجع فيما تتوفر عليه من منافع يعود الى الاسلام الذي منه استمدت أصول تلك المنافع ، فقد زود الله تعالى أتباع الرسالة المحمدية بتعليمات سامية وأودع في نفوسهم طاقات خلاقة اهلتهم لتشييد حضارة رفيعة لا تزال آثارها ومعالمها تشهد بتفوقهم في ميدان البناء والتعمير والابداع ، ومجال المعرفة

والثقافة والاختراع ، بشهادة المنصفين من أبناء اوربا وغيرها من القارات ، ومن نكبات الانسانية أن يتقلص ظل الحضارة الاسلامية ويتراجع مدها ، ليفسح المجال أمام حضارة كافرة ملحدة ، ونهضة مادية صماء ، لا تعرف طريقا الى المثل الاعلى ، ولا تعترف بحق الا لمن كان أقوى عتادا ، واوفر مالا ، وأعتى بطشا .

حقيقـــة مـــرة

فحضارة اليوم تقوم في مجملها على الاستغلال والسيطرة والجشع ، وترتكز على التنكر للاخـــلاق الرفيعة في معاملاتها الدولية وسلوكها الاجتماعي ، وتتسابق في السيطرة على الشعوب ، وتتنافس فـــي التمركز بمضايق البحار واحتلال المناطق الاستراتيجية والمواقع الحساسة لا لحماية المدنية الانسانية والدفاع عن الحضارة البشرية ، وانما لضمان مصالح هـــذه الكتلة او تلك ، وللتحكم في المسالك المؤدية الـــى منابع الطاقة ومناجم الخامات الاساسية في صنـــع وسائل التخريب والتدمير وصواريخ الابادة والفناء ، وهذه هي الحقيقة وان كانت أشد مرارة من العلقم .

صحيح أن الحضارة الحديثة وفرت كثيرا من المنافع وحققت العديد من المنجزات، ونحن لا نريد ان نسلبها ايجابياتها ، ولا نسمح لانفسنا بنكران ما قدمته من منافع وخدمات ،الا انها اعدت في مقابل تلك المنافع والخدمات اضدادهما .

ومن هنا يتضح انها حملت في طياتها جراثيم فنائها واحتوت منذ نشاتها على ميكروب ابادتها ، وحتى نرسم الصورة الحقيقية لمزاياها وخزاياهـا لا مناص من الاتيان بالمقارنة في اطار الواقع وبشيء مـــن التوضيح والتشريح .

مقـارنـــة

لناخذ اتساع العمران وارتفاع البنيان ، فقد وفرا الكثير والكثير من الراحة والازدهار ، ولكن الم يكـن ذلك على حساب البادية التي يرتاع المسؤولون فـــي بقاع العالم من هجرة ابنائها العارمة ، وما احدثته من اختلال في المجتمعات ، وما نتج عنها من تصاعد في البطالة ، وما جرته البطالة من تشرد ساعد على تعدد السرقات وتنوع الاغتيالات ، بالاضافة الى هجـــر الحقول وتركها ارضا يبابا ؟

ونعرج على امتداد طرق المواصلات البرية وما وفرته من راحة وحققته من منافع اقتصادية ومكاسب مادية ، ولكنها كانت في نفس الوقت سببا رئيسيا في حصد آلاف الارواح يوميا وأضعافهم من المعطوبيـــن والمشوهين واليتامى والارامل ، نتيجة جنون اصحاب وسائل النقل الخاص والعام الذي جردتهم هذه المدنية ـ ان صح التعبير ـ من كل عاطفة انسانية ، فلم تنفع فيهم ثقافة ، ولم تردعهم موعظة ، ولم تؤثر في سلوكهم عقوبة ، ولم تحد من غلوائهم غرامة ، بل كثيرا مـــا يذهبون هم وأسرهم ضحية هذا الجنون الحضاري ؟

وننتقل الى الملاحة الجوية وما صاحبها مـــن منافع وما قربته من مسافات واختزلته من أبـــعاد ، لو لا انها كانت أخطر الوسائل واسرعها في نقــل الجيوش الغازية وتزويد الخارجين على القانون بالعتاد الحربي لاثارة الفتن هنا وهنـاك ، وتفكيك وحـــدة الشعوب في هذه القارة أو تلك ، ثم الم تكن الطائرات هي الوسيلة العملية لالقاء القنابل الذرية والنوويـــة لابادة مجتمع باسره واحراق مدن باكملها ، والا يحق لنا أن ندخل في الحساب انها مؤهلة لاعادة الكرة من جديد وبصورة أفظع وأروع ، الامر الذي جعل البشرية كلها تنام وتستيقظ خائفة وجلة من المصير المفجع الذي يتهددها باستمرار وفي كل لحظة ؟

وبالاضافة الى كوارث النقل البري والجوي التي المعنا اليها ، هناك اخطار فظيعة اخرى تهددنـــا باستمرار من جراء ما تنفثه السيارات التي يستنشق البشر هواءها متسخا مسموما ، زيادة عن اخطارها بالنسبة للنباتات والحيوانات البرية والبحرية .

وفي هذا المجال تصدمنا مصيبة المصانع المنتشرة في كل مكان ، حيث تساهم بحظ وافر وتقوم بدور خطير في افساد الاجواء بما تطلقه من دخان وما تصرفه من نفايات في البحار والاودية وحتى في النواحي المجاورة، مما يعتبره المختصون خطرا على الانسانية من شانه أن يعرضها لمصائب وكوارث لا يعلمها الا اللـــــه والراسخون في العلم .

وان نحن أمعنا النظر جيدا ووازنا سير منافع امتداد الطرق ووسائل النقل البري والجوي وما وفرته الصناعة من فوائد لا تنكر ، نجدها تدمر اكثر مما تعمر.

ولندخل ميدان الطب من أبوابه الواسعة ، وما وفره من أدوية وعلاج وجراحة خففت الكثير مـــن

ونساء وفتيات مثاليين على النقيض مما اسلفنا ، وسلوكهم الاجتماعي يعتبر مثالا يحتذي لو أن الحضارة الحديثة كانت على تقوى من الله ، ولو كانت الطبقات الاجتماعية فيها تفهمت الحضارة على وجهها الصحيح.

ومن الواضح أن وسائل الاعلام التجاري بما فيها الصحف والمجلات الخليعة ، والشركات التي لا يهمها الا الربح المالي ، ومن على شاكلتها من علب الليل ، ومراكز القمار ، وأوكار الدعارة التي تشرف عليها الصهيونية سرا وعلنا ، ولها تخطيطات جهنمية لافساد الاخلاق وانحلال المجتمعات البشرية طبقا لبروتوكولات صهيون ، لها ضلع كبير فى هذه المظاهر المفجعة التي عليها أكثرية شباب أوربا وأمريكا من اقبال فظيع على المخدرات ، وجحافل المرتدين عن الاديان ، وانتشار الخمور بشكل مرعب ، واستهتار بالفضيلة مخيف .

ولعل من ابرز مزايا الحضارة الحديثة تاسيس هيآت دولية وقيام ومنظمات أممية ، قيل في بنود مواثيقها أن هدفها حل المشاكل الدولية بالطرق السلمية والوقوف في وجه المعتدين على حقوق الغير ، وهي خطوة ايجابية في تلك المواثيق ، وادراك صحيح للرسالة المنوطة بالمجتمع الدولي الناضج ، الا أننا لا نلمس تطبيقا عمليا لتلك البنود الا اذا تعرضت مصالح الاقوياء للعدوان ، أما الدول الضعيفة والشعوب المضطهدة والمجتمعات المغلوبة على أمرها فحظها — في أحسن الظروف — عقد اجتماعات طارئة والخروج بتوصيات وادانات لا تلبث أن تتبخر أمام عناد المعتدي ولو كان عضوا في الهيأة نفسها ، وفلسطين المغتصبة وشعبها المتشرد أصدق مثال وأقوى برهان على الفظائع والفضائح التي تقع على مرأى ومسمع من المنتظم الدولي ، بالاضافة الى حروب استعمارية مكشوفة في اجزاء عديدة في افريقيا وآسيا وغيرهما .

وتعاليم السماء كانت وستظل الموجه الوحيد الى الخير والى الطريق المستقيم ، وجل أبناء مدنية القرن العشرين تمردوا عليها تمردا فظيعا وتنكروا لها تنكرا مريعا ، فتخلوا جملة وتفصيلا عن كل توجيه رباني ، وانساقوا وراء أهوائهم وشهواتهم الى أبعد الحدود ، ولم يعد للحياة عندهم أي طعم الا المتعة والمجون ، وأي معيار الا الفسوق والعصيان ، وكنتيجة طبيعية لهذا التمرد فان الدول التي تزعم انها بلغت الحد الاقصى من المدنية تعيش في قلق واضطراب وتحيا في دوامة من المشاكل التي لا عد لها ولا حصر، ومجتمعاتها — رغم توفرها على وسائل العيش الرغيد — في حيرة وارتباك وأزمات نفسية تكاد أن تتطور الى هستيرية جماعية ، فالاضطرابات الداخلية متوالية ، والاضرابات الجماعية قائمة ، والازمات الاقتصادية والمالية مستعصية ، والاغتيالات السياسية ومظاهر العنف متواصلة ، والجرائم الاجتماعية والاخلاقية متعددة ، والاختلاسات الفردية والجماعية متلاحقة ، وعمليات القرصنة والاختطاف والاحتفاظ بالرهائن البشرية مستفحلة ، والرشاوي الفظيعة متعاقبة ، وصدق الله العظيم الذي يقول في كتابه الكريم «ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة اعمى » (I) .

ولعلنا لا نبالغ اذا اعلنا بان « حضارة » كهذه لا تعد مدنية بمعناها الواسع والصحيح ، واذا تساهلنا وصفناها بطفرة ، والطفرة ارتفاع ، واذا لم يكن الارتفاع على أساس متين كان النزول الى الهاوية اقرب ؟ « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار » (2) .

البقاء دائما للاصلح

يبقى في هذا المجال أن يستفيق المسلمون من غفوتهم ، فقد آن لحضارة الاسلام أن تعيد وثبتها ، باعتبارها الحضارة المؤهلة لانقاذ الانسانية من عذابها وحيرتها وارتباكها وآلامها ، ولانها تستمد جذورها وتتلقى مددها من دين سبق في علم الله الازلي أن يكون خاتم الاديان وهاديا الى الصراط المستقيم « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ولله عاقبة الامور » (3) .

ولعل الصحوة التي عمت عالمنا الاسلامي اليوم، وما أودع الخالق سبحانه في دنيا الاسلام من طاقات

(I) سورة : طه : I24

(2) سورة التوبة : I09

(3) سورة لقمان : 22

الآلام والعديد من العاهات ، ولكنه من زاوية ثانية يتبارى ويتنافس علماؤه في اعداد الغازات المميتة والميكروبات الفتاكة والجراثيم السامة لازهاق أرواح الملايين من المدنيين والمحاربين على السواء .

ولنمد البصر الى الحقول الزراعية الفسيحة ، والحظائر الحيوانية المدهشة ، وأساليب الصيد البحري المتطورة ، باعتبارها طفرة وقرت انتاجات هائلة بفضل الوسائل الحديثة ، الا انها مع الاسف استأثرت بها شعوب حتى تخمت وتعرضت لامراض لا حد لها ، في حين أن كثيرا من المجتمعات تتضرر جوعا من المجاعات التي تهددها باستمرار ونفوذها الى الامراض والاوبئة والموت البطيء دون اكتراث ممن يتمشدقون بالحضارة في مفهومهم الخاص .

والسياسة التي ارتقت الى القمة ، وتطورت الى أبعد حدود التطور ،وتسربت الى كل مرفق من مرافق الحياة ، الا أن عبقرية أبطالها لا تستخدم في كثير من الاحيان الا في الحيل والمراوغات ،وأكاد اقول في الانقلابات والثورات ، وتمزيق الوحدات واحياء النعرات .

والبحث العلمي والحقل الثقافي لهما صولة في هذه الحضارة ، ولكنها شوهتهما بكثير من المثالب ولطختهما بعديد من المصائب ، اذ لم تصدر منهما الى الشعوب النامية التي كانت الى عهد قريب تحت سيطرة الاستعمار الا النزر اليسير والهزيل ، وهذا النزر نفسه طمعته بالاكاذيب ودست فيه الاراجيف عن تاريخ تلك الشعوب وحضارتها وعقائدها ، فشوهته تشويها ومسخته مسخا ، وها هي الى الآن لا تزال تساوم وتماطل وتراوغ في نقل تقنياتها الدقيقة والمتطورة الى هذه الشعوب حتى تظل تحت رحمتها وحتى لا تستطيع الاستغناء عنها او الوقوف على قدميها .

والتقدم التكنولوجي والاختراعات الحديثة والاكتشافات الجديدة لا مفر من الاعتراف بمعطياتها الهائلة ، ونتساءل هل استخدمت في صالح البشرية كما كنا نظن ونؤمل ؟

الحق أقول أن مالحق الانسان من مزاياها يتضاءل أمام ما يهدده من بوار ، فالعالم كله ـ بما فيه أصحاب هذه الاختراعات الجهنمية ـ في خوف وهلع ، وارتباك وفزع ، من هول حرب عالمية مدمرة سوف لا تترك على وجه الارض بناء ولا بشرا ولا حيوانا ولا نباتا، ان لم يتدارك الله عباده بلطفه الخفي .

والحرية تغني بها المصلحون ، وهام بها المخلصون ، وضحى من اجلها الفلاسفة وأصحاب الوجدان الحي ، الا أننا نشاهد منتحليها اليوم لا يطبقونها الا اذا سايرت أهواءهم وناصرت بطشهم وعدوانهم ، ومن المخجل أن تدعيها الانظمة الدكتاتورية التي تحكم شعوبها بالنار والحديد وبنظام الحزب الوحيد ، وتتبجح بها دول تبسط سيطرتها على غيرها بجيوشها النظامية وعتادها المتطور ، وتطارد بعنف من لم يدر في فلكها ويسبح بحمدها .

وفي باب الحرية ياتي دور المراة التي كانت ولا تزال ضحية هذا الشعار البراق والجذاب ، فقد تبجحت الحضارة الحديثة بمنحها حريتها الكاملة لمواكبة المسيرة الحضارية !

ولسنا ننكر مساهمة المرأة في كثير من المجالات وتفوقها في العديد من القطاعات ، ولكن ذلك كان ـ في الغالب الاغلب ـ على حساب أسرتها وعلى نفسها ايضا ، فالاولاد تحت رحمة الخادمات ، والازواج عرضة للاهمال والشكوى والانحراف ، والمرأة نفسها منهوكة من جراء العمل وواجبات الزوج والابناء والبيت .

وبصراحة : ان المرأة العاملة في أي قطاع والقطاعات كثيرا ما تنفق ماهيتها الشهريه او اليومية في الملابس اللانقة بوظيفتها ، والمساحيق التي يتطلبها المظهر المناسب ، ووسائل النقل اليومي ذهابا وايابا اربع مرات في اليوم ، اذا لم يكن زوجها من اولئك الذين ياخذون مرتبها الشهري بكامله او يقتطعون جزءا كبيرا منه بحجة تضحيتهم بدفء الاسرة، وهذه مشكلة قائمة لا ينكرها الا متنطع .

وهنا لابد من اشارة عابرة للاستغلال الفاحش الذي تتعرض له المراة والبنت في نطاق هذه الحضارة الماجنة التي لا تعتبر الانثى الا وسيلة للمتعة ، فتطاردها الذئاب البشرية في كل مكان ، وتضايقها أينما سارت وحيثما حلت ، كأن العلاقة الوحيدة التي تجمع بين النوعين تنحصر في المتعة وعلى حساب الفضيلة .

وهذه الاشارات المقتضبة للاوضاع في كثير من البقاع ليست قاعدة عامة ، فالشعوب تتوفر على رجال

بشرية ومادية هائلة ، كفيلة في مجموعها بمساعدة المسلمين على بعث حضارة الاسلام التي عاش وسوف يعيش الناس تحت ظلالها الوارفة في راحة ورخـــاء واطمئنان وهناء ، وما على المسلمين الا أن يستغلوها بحكمة وروية وتعقل وتبصر واستفادة من التجارب القيمة والجديدة ، فقد كفاهم شرورا وضياعا وسط مذاهب دخيلة ونظريات ملغومة لا تقود الا للاحقاد ولم تحل أي مشكل في شرق الدنيا أو غربها « وان هـــذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (4) .

ومـا علـى الانسانيـــة المعذبـــة والشـــاردة، والمجتمعات البشرية الحائرة والتائهة الا أن تجـــرب معنا تعاليـم الاســلام الكفيلة بحـل جميع المشاكـل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدولية ، ومـن الخير لها أن تعود الى رشدها ، وتحد من كبريائها ، وتعترف بأخطائها « وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم، وان الذين لا يومنون بالآخرة عن الصراط لناكبون »(5)

أبعد هذه المقارنة المقتضبة والعرض المختزل يستطيع ذوو النيات الحسنة ومن يتوفرون على الضمير الحر النزيه الاقتناع بالفائدة العامة لهذه الحضارة والتسليم بأنها في مجموعها مدنية في صالح البشرية ؟

ولعل أحسن جواب هو الابتهال الى الله القوي العزيز أن يحمينا من شرور هذا الجنون الحضاري ، ويهدي البشرية كلها الى سواء السبيل ، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(4) سورة : الانعام : 153

(5) سورة : المومنون : 73 و 74

إلى دار الخلود

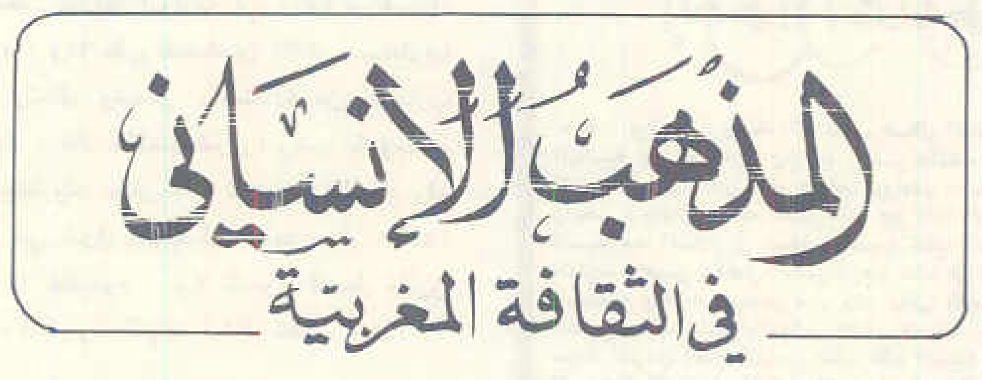
● ● توفي الى رحمة الله تعالى خلال الفترة القليلة الماضية عدد من خيرة رجالات الفكر والادب والعلم في المغرب ، لبوا داعي ربهم وخلفوا وراءهم أصداء الحزن والحسرة والالم . فلقد انتقل الى عفو الله العلامة المؤرخ السيد عبد السلام بن سودة صاحب كتاب (دليل مؤرخ المغرب الاقصى) الذي يعتبر مرجعا هاما في تاريخ المغرب وحضارته وأعلامه ومشاهيره . وقد وافى الاجل فضيلة القاضي والمستشار بالمجلس الاعلى السيد محمد بن سودة التودي الذي كان من كتاب هذه المجلة . كما توفي الى رحمة الله تعالى العلامة الكبير السيد مولاي عبد السلام الامراني رئيس المجلس العلمي بمكناس واحد كبار العلماء الوطنيين الذين ضحوا في سبيل قضية بلادهم . ووافت المنية العلامة الداعية مولاي عبد الرحمن الكتاني المستشار الدائم برابطة علماء المغرب وهو من كتاب (دعوة الحق) وصحيفة (الميثاق) لسان الرابطة . وكان رحمه الله من رجال الدعوة والفكر الاسلامي المشهود لهم بعلو الكعب وشدة الباس في الدفاع عن القضايا الاسلامية .

واختار الله سبحانه الى جواره الكاتب والشاعر والعالم الشاب الاستاذ ابا بكر المريني خريج دار الحديث الحسنية بينما كان بعد اطروحته لنيل دكتوراة الدولة في العلوم الاسلامية ، وكان قد نال ديبلوم الدراسات الاسلامية العليا في موضوع (الامثال في القرءان) . وهو من الشعراء الشباب الملتزمين بالفكرة الاسلامية .

وفجع المغرب بوفاة الاستاذ احمد الطيبي بنهيمة امين السر الدائم لاكاديمية المملكة المغربية في أحد مستشفيات باريس . وهو من أكفاء الدبلوماسيين المغاربة ، وقد تقلب في عدة مناصب عليا منذ استقلال المغرب . وكان رحمه الله من الشباب الوطني الذي لعب دورا مهما في الدفاع عن القضية المغربية بفرنسا في عهد الاستعمار .

و (دعوة الحق) اذ تنعي هذه الصفوة الطيبة والخيرة من رجال المغرب وعلمائه الافذاذ الى قرائها ، تسال الله لهم الرحمة والمغفرة ولذويهم الصبر والسلوان ● ●

وانا لله وانا اليـــه راجعـــون .



للأستاذ احسن السائح

> علامة حسن الخلق في قلة الخلاف ، وحسن الانصاف وترك طلب العثرات ، وتحسين ما يبدو من السيئات ، والتماس المعاذر ، واحتمال الاذى ، والرجوع بالملامة على النفس ، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون غيره وطلاقة الوجه للكبير والصغير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه .
>
> الاحياء للغزالي ج 3 ص 71

ما هو المذهب الانساني ؟

قد يجرنا تعريف (المذهب الانساني) وشرح مفهومه الى مناقشة قضايا فلسفية ولغوية واخلاقية تبعدنا عن الموضوع الذي نحن بصدده وهو المذهب الانساني في ثقافتنا الاسلامية ، ولذلك سنتجاوز ذلك الا ما تدعو اليه الضرورة ..

والمذهب الانساني تعريب لكلمة l'Humanisme وقد اختار بعض اللغويين العرب كلمة الانسية المنسوبة الى الانس بدل كلمة الانسانية التي تعرب بكلمة l'Humanité ويستأنس لهذا الاختيار بقول الشاعر العربي :

وما سمي الانسان الا لانسه
ولا القلب الا انه يتقلب

والمذهب الانساني بتعريف سهل هو مجموع التيارات الثقافية والفلسفية الهادفة الى تقوية المقومات الاخلاقية الانسانية عند الانسان ، فهي ليست اتجاها انانيا يتنكر لمساندة الآخرين ، أو انعزاليا رهبانيا او استعلاء سيرمانيا ،، فالابيقورية بمعنى اقتناص الملذات المادية ليست مذهبا انسانيا ، والرهبانية المنعزلة في الصوامع والاديرة ليست مذهبا انسانيا وحركة النازيين والفاشستية والسوبرمانية الآرية ليست كذلك مذهبا انسانيا ،، والواقع ان النزعة الانسانية بدأت واضحة في الديانات الشرقية القديمة والآداب الاغريقية والسامية القديمة كذلك ، وعلى انها لم تزدهر كفلسفة،

ومذهبا فى اوربا الا بعد ظهور اللوتيرية المتأثرة بالفلسفة الاسلامية .

ففي الآداب اليونانية القديمة نجد في اليادة هوميروس صورا ادبية تعكس الوجدان الانساني ، وفي الشهانامة الفارسية قصائد وجدانية تمجد الانسان وكرامته وفي المهابارتا الهندية احساسات انسانية ، بل وفي فلسفة سقراط تحليلات لاهتمامه بالانسان باعتباره محور التفكير الفلسفي الذي يجب ان تنصب عليه التحليلات الفلسفية وكان ارسطو اعظم فيلسوف اغريقي قدم للانسان انسيته المعتمدة على الفكر والمنطق اي سيطرة العقل التي يتميز به الانسان ،،، اما افلاطون فقد بين فى مدينته الفاضلة مجتمعا انسانيا تسوده السعادة ،،، وكان (شيشرون) وهو المفكر الكبير الذي استحوذت عليه الفلسفة الاغريقية، يرى ان الثقافة هي دراسة الانسانية والآداب ، ومع ذلك فليست بلاد الاغريق مهد الانسية (كما يقول مالرو) بل ان الديانات الشرقية والحضارات القديمة هي مهد (المذهب الانساني) حيث اعطت للانسان تكوينا انسانيا ليعمل من اجل الانسان ولاسعاد البشرية جمعاء ..

وقد ساعدت عدة فرق وطوائف منذ القديم على الاهتمام بالانسان وكانت (الفروسية) في القرون الوسطى تعني اسعاد الانسان وخدمته والترفيه عنه على ان المذهب الانساني لم يزدهر كفلسفة ومذهب ، الا في القرن السادس عشر معتمدا على الدراسات اللاتينية والاغريقية وبالاخص في الاداب الايطالية في انسانية الانسان وابراز مكانته العقلية والوجدانية، ثم ظهرت انسية مسيحية دعا اليها (سانفراسو ادوسال) Saint-François de Gales مستمدة من (رحمة المسيح وانسانيته) وبقيت تطبع الفكر المسيحي الى عصر لوثر وكلفان Luthers et Calvin اللذين فرقا بين ديانة المسيح والفلسفة المنادية بمكانة الانسان بطبيعته .

وكانت الحروب المسيحية الكاتوليكية والبروتسانية ذات تاثير على بلورة المذهب الانساني فلم يبق مدلوله حكمة الانسان وسعادته فقط بل اصبح متاثرا بمعطيات الثقافات الوطنية التي كان ازدهارها حدا فاصلا بين الاكتمال الذاتي والتبعية والتقليد ، كما كان التقدم العلمي اعطى نماذج جديدة للفكر الانساني الاوربي بدل زعامة الفلاسفة الاغريقيين واللاتينيين .

ولا يمكن ان نتجاهل جهود الكتاب الاوربيين عامة في بلورة المذهب الانساني فقد عرفت اوربا المسيحية ازدهار هذا المذهب على يد الكاتب المغربي (سان أوغست) وعلى يد المفكرين المسيحيين الذين لا ينكر جهودهم في هذا الميدان ، وبالاخص سان فرانسوا دوسال والذين تاثروا بنظرية لوثر وكلفان المفرقين بين النظرية المسيحية والافكار الفلسفية التي تعلى براءة الانسان بطبيعته .

غير ان المذهب الانساني في بدء انطلاقه لم ير تحديدا معقدا في اسعاد الانسان فكان هذا المذهب فى الغالب ابيوري النزعة ، مما نمى فيه الجانب المادي لاسعاد الانسان على حساب القيم والاخلاق ، ودعا شعراء التروبادور الذين تغنوا بحياة اللذة واسعاد الانسان عن طريق اغراقه في الملذات مما اثار حفيظة الكنيسة التي رات فى ذلك تحويلا للعروبية الى تمجيد الحب الانساني ، بل ان (دانتي) كان يرمز الى السعادة السماوية في صور ارضية ليعطي للانسان ابعاد سعادته المادية ولقد كان لابن رشد الفضل فى تعريف جامعات اوربا بالمذهب الانساني عن طريق اثار ارسطو حيث اعقب ذلك اهتمام بموضع الانسان وحياته اكثر من الاهتمام بمصيره الغيبي ، كما كان الامر في اتجاه الكنيسة ودراساتها ، ولقد كان اثر الفيلسوف المغربي ابن رشد عظيما على هذا المذهب فى اوربا، اذ اشاد به ميتراك وبالاخص بجانبه الانساني اكثر من جانب تفكيره ، فتعلم كتاب القرون الوسطي كيف ياخذون عن الاغريق التمتع السعيد الطبيعي السليم بخيرات الحياة في حضارة انسانية رفيعة دون شعور بالخجل والخطيئة وكان المثل الاعلى (كن كاملا) اي صحيحا عقليا وجسديا ،،، وبذلك حرروا الانسان من زهد الرهبنة والتفكير في آخرته ونسيان سعادته الدنيوية ،، ولاشك ان تعاليم ارسطو في الاخلاق علمت الفكر الغربي مبدأ الاعتدال الارسطاطالسي وانتصر هذا الاتجاه الطبيعي ليحول الانسان الغربي عن مبدأ (المحبة) المسيحية الباكية الى مبدأ الفرح باستعمال قوى الانسان العقلية ، والجسمية والوجدانية ، في تذوق جمال الطبيعة ، وقادت هذه المسؤلية الانسان الى الحرية بدل الخضوع المطلق للالم والخطيئة بالمفهوم المسيحي،، ولا غرو أن يظهر بعد ذلك (بيكو) ليقدم كتابه فى كرامة الانسان مركزا على اعتبار الانسان نقطة الكون

مرددا الفكرة المسيحية بان الله خلق الانسان على صورته ، فأعطى للانسان مكانته الدنيوية وضرورة تمثل الانسان فأصبحت الرهبنة قسوة وجورا، ثم جاء (رابيله) (Rabelais) ليعلن عن طموح الانسان في الملذات وحياة الفرح كرد على غلو الرهبان في الزهد والعبادة ، وكان كتابه مؤلفا رائدا (للمذهب الانساني) ، وظهرت اهتمامات بالانسان وآماله ، والتعبير عن سعادته وتآخيه ، وكان (الجنتلمان) نموذجا للانسان المزيج من الفارس البطل والانسان الرقيق العواطف المهذب الاخلاق الذكي العقل .

ومما لاشك فيه ان هذا المثل الاعلى غير القيم الاجتماعية ليجعل من الناس عاملين في حركه ذاتية لتطوير المجتمعات سياسيا واقتصاديا وثقافيا .

وباختصار فان (المذهب الانساني) اعتمد الادب الكلاسيكي وظهر بارزا على يد الكتاب والفنانين الايطاليين ، ويظهر عند (ايرازموس) الذي سعى لنشر عقيدة عقلية اخلاقية ، فتاثرت المسيحية بالمفاهيم الانسانية الجديدة واعلنت كرامة الانسان الفكرية والاخلاقية ،، كما كان للعلم اثر في تطور المفاهيم المحددة لوضعية الانسان في الكون ..،

واستوعب المسيحية اللوثيرية التيار الانساني فتقلص مفهوم الكنيسة في اتهام الانسان وخطيئته وانحطاط طبيعته ، وشددت الرونيسانس (في عصر التنوير) على قيمة الانسان واخضاع سلوكه وعاداته الى مقاييس العقل والمنفعة في هذه الحياة ، وكان للكاتب الفرنسي جان جاك روسو الفضل في ابراز ملامح المذهب الانساني بوضوح وهدم ضلالات القرون الوسطى ، واستفادت الكنيسة من هذا النقد فحولت الدين الى عقيدة تعتمد المنطق والعقل او النزعة الانسانية العقلية ، كما ويلاحظ عند كالفان (Calvan والبروستانتية بصفة عامة ، وكان لنيوتن اثر قوي في ظهور حركة علمية لا تؤمن بالتقليد وانما تومن بالتجربة ظهر اثرها واضحا في نهضة العلوم الانسانية والمجتمع البشري ، وبذلك تطورت العلوم الانسانية بصفة عامة سواء في ميدان علم النفس او علم الاجتماع او في الادب والفنون ، او العلوم الاخلاقية ، وظهر كتاب انسانيو النزعة مثل (هوبز) الذي طبع قرنه بطابع انساني قوي ، وغيره كثير ونتج عن ذلك في السياسة أفول نجم الملكية المطلقة ، وظهرت في المجتمع محاولة اقامة (فزياء اجتماعية) لتلبية المطالب الاقتصادية والسياسية مما ساعد على ظهور الحكم الديموقراطي الشعبي على اساس الحقوق الطبيعية للانسان ،،، وبرز مذهب الاخلاق العقلية المرتبطة بالعدالة الاجتماعية والمثل العليا لتحقيق عدالة متكاملة ، واذا كان التقدم العلمي حقق التطور المادي للمجتمع الاوربي فان اثره على المذهب الانساني ظل ضعيفا في الاداب الاوربية حتى اواخر عصر النهضة ثم عاد هذا المذهب الى الظهور من جديد ،، ويمكن ان تقسم (المذهب الانساني الغربي) الى اتجاهات ثلاثة : اتجاه أوجست كونت الفلسفي الداعي لفلسفة وضعية كدين للانسانية واتجاه تشيلر (Schilles) الذي يرى ان معرفة الانسان خاضعة لطبيعة تبعيته وحاجياته الانسانية وبان الراي يكون صائبا او خاطئا حسب قدرته التنفيذية ،،، واتجاه (الكلفانية) التي تأثرت الى حد كبير بالمذهب الاسلامي في الفلسفة والاخلاق .

الانسيه في الآداب الغربية المعاصرة :

واستمرت الانسية واضحة في الآداب المعاصرة تعبر عن حى نظرية فلسفية او اجتماعية او سياسية ، هدفها الاسمى هو التطور غير المحدود للطاقات البشرية ، واحترام شخصية الانسان وكرامته ماديا ومعنويا .

واخيرا نترجم باقتضاب وايجاز للمذهب الانساني المعاصر في ادب الكاتب مالرو الذي صور فلسفة هذا المذهب في الاداب الحديثة فمارلو يربط هذا المذهب بالقدر ، فيرى ان القدر هو كل شيء يدفع بالانسان الى وعي وضعيته وشروط حياته ، كلما شعر بعدمه (son néant) وعدم معقوليته son absurdité واذا كان الانسان حقيقة عدم غير معقول بسبب شعوره بانه انسان ، فانه يعرف وضعه ، وبالتالي لا يقبله ، وبذلك يصبح في صراع دائم ضد كل القوى التي تنكره في محاولة للهرب من هاوية العدم لبناء الانسان ، ولهذا فعلى الانسان ان يصبح قادرا على تحقيق شروط عيشه وكرامته التي لا يسمح القدر له بها ، ويتساءل مارلو في مذهبه الانساني كيف تظهر واقعيا عدم معقولية الانسان ، وما هي الحقائق التي يلتقي من خلالها الانسان بالقدر وبمصيره ، وكيف يمكن للانسان ان يصارع القدر ،

وفي اية ناحية يمكنه ان يحشد طاقاتـه حتى يعطي لحياته معنى ومدلولا .

وهل يمكن لقوته ان تجابه قوة العدم وتتغلـب عليها ؟ كل هذه الاسئلة التي يثيرها الانتاج الادبـي لمالرو تبين زاوية الصراع القائم بين الانسان والقدر لان القدر كلي الوجود ولهذا فعلى الانسان ان يصارعه على جميع الواجهات .

على الواجهة الاولى وهـي الانسـان نفسـه ، وتتكون من جميع القوى التي تهدم الانسان داخليا

وعلى الواجهة الثانية وهي اللا معقول الـذي يحيط بالانسان من الكون والكائنات والاشياء التـي تجهله وتسحقه .

وعلى الوجهة الثالثة وهي تاريخ الانسانية وهل وجوده ثابت ؟ وائم في الزمان والمكان ؟ .

ويقول جرزيف هوفمن Joseph Hoffman في كتابـه (l'Humanisme de malraux) ان هنـاك الطريقة الاولى التي تعتمد على دراسة موقف الانسان امام المظاهر الاساسية للقدر وذلك .

1 ـ داخل الانسان (الموت ، الغربة ، الزمان ، الخ)

2 ـ من خلال لا معقولية (الكون)

3 ـ من خلال التاريخ (الانسان مقيدا بماضيه) .

ويمكن دراسة كل هذه الجوانب حسب المسلسل التاريخي لكتب مارلو .

وهذه الطريقة في راي الكاتب ليست مقنعة لعدة اسباب :

اولا : التفريق بين « الجبهات » الثلاث ، التي يصارع منها الانسان القدر ليست الا تعريفا شكليـا حيث ان الانسان يصارع في آن واحد او بطريقـة متوالية ، الموت الغربة والكون والتاريخ ، فهو يعيش وضعه الانسـاني ككل غير مجزأ ، ولهذا فعلينا الا نفرق بين مظاهر القدر والا ندرسها بصفة متسلسلـة ،،، و (ثانيا) يمكن من احترام التسلسل العضوي لانتاج مارلو ، فاذا كان المشكل الرئيسي قد اثار مارلو في كتابه « اغراء الغرب » (Tentation de l'Occident فهذا لا يعني انه احاط بجميع جوانب القدر وبمختلف اشكاله بصفة دائمة ، اذ كل (عمل قضية) يثير نوعا من المشاكل وعلى العمل الذي يليه ان يجد له حلا .

الطريقة الثانية : تعتمد على دراسة الوسائل والاسلحة التي يستعملها الانسان في مواجهة القدر ، فلكي يعطي الانسان معنى لكيانه ، يحاول ان يستعمل عدة وسائل للثورة على القدر،نذكر منها ثلاث وسائل:

1) الثورة الميتافيزيقية Révolte métaphisique) وهي تعني التاكيد المطلق لشخصية الانسان ضد القدر .

2) الانسية الثورية التي هي عمل الانسان من اجل القيم والتطور اذ تغيير العالم شيء متناقـض مع القدر ، ولذلك فثورة الانسـان مواجهة للقدر .

3) الابـداع La création artistique الذي يمكن للانسانية بفضله ان تتحدى القدر وان تسمو بابداعها على الوضع الانساني condition humaine فهذه اشارة موجـزة عـن بعـض نظريـات المذهـب الانسـاني المعاصر في الآداب الغربية ، سقتها للتعريف بمدى قوته وتاثيره على الفكر الادبي العالمي المعاصر..

الانسان يبحث عن انسانيته :

منذ خلق الانسان وهو يجد باحثا عن سعادته ورفاهيته ،، ولذلك فقد ظل يعمل جادا لينظم حياته وسمو بشخصيته،وبحسن وضعيته اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وخلقيا ليحقق سعادة اجتماعية وتطـورا دائما ،،، ومن اجل ذلك سلك مختلف الاساليب والطرق والمناهج عساه ان يحقق مبتغاه ،، وما انتاجـه الفكري والوجداني والفني ،، وما بحوثه الدائمة فـي مختلف شعب المعرفة الا اثرا من هذا الجهد المستمر الذي لا يقف عند حد ،، وقد اختلف على المناهج كلها كما اختلفت عليه ، فهو تارة يجعل نفسه محور الكون،، وتارة خارجا عن الكون ، كما هو تارة يلائم بين نفسه والطبيعة ، وتارة يطوي الطبيعة خارجة عنه ، وهـو مرة ينسجم مع الكون كله واخرى يبتعد عن الكـون والتفكير الكوني ..

ثم هو احيانا يعتمد المعرفة العقلية واحيانـا المعرفة النفسية والروحية واحيانا اخرى المعرفـة التقنية ،، وهو في كل ذلك يعمل دؤوبا جادا كاشـد ما يكون الجد عساه ينتصر على المعوقات والمشاكل والحتميات ..

وهكذا سلك مختلف الطرق والمسالك وعــاش مختلف التجارب حتى اصبح موضوع هذه المعاناة قضية خاصة يهتم بها الباحثون في دراسة الانسان كما فعل الدكتور (كارليل) مؤلف كتاب (الانســان ذلك المجهول) وغيرهم كثير ...

لقد انطلق الانسان من عدة قواعد للبحث عن سعادته وتحقيق تطوره على ان علـمـاء الحضارات يقرون ما يلاحظون من وحدة الانطلاقة الاولى المعتمدة على البعدين العصبي والوجداني للانسان ، فلذلــك ظل القلب والعقل والايمان والفكر متآزرين اول الامر لانقاذ الانسان من حيرته وبدائيته ، فكان الايمان اصل العقيدة وكان العقل محقق الابداع ،، فالعقيدة هــي المحركة للانسان في دينمية هادفة .

العقيدة والانسيــة :

يكشف علماء البيولوجية عن ضرورة العقيدة لتطوير المجتمعات كشفا علميا مؤكدين عدم امكانية وجود مجتمعات دون عقيدة متحررة من الايديولوجيات،، ويقرر هؤلاء ان العقيدة من العناصر الاساسية فــي جهاز الوعي العصبي للانسان ، فالعقيدة ليســت ظاهرة عابرة او مؤقتة وانما هي ضرورة عضوية للفرد والمجتمع لتجعل من الانسان انسانا قادرا على التكيف مع البيئة بواسطة العقيدة التي هــي اصل القيــم الانسانية الماسكة بخلية المجتمعات ولا يستطيــع المؤرخ اثبات مجتمع بدون قيم ومثل عليا ، لان الانسان انما يستمد نشاطه وجديته من القيم ، ولانه يرغــب دوما ان يشرح وجوده واعماله ، ولا يتأتى لــه ذلك الا على اساس القيم والمثل العليا ، وقد تراءى لبعض الماديين امكان تفسير للعمل الانساني بواسطــة العلاقات الاقتصادية ، واذا كانت التغييرات الاقتصادية تساعد الآن على ذلك فسوف يشعرون بفشل هــذه النظرية حين يرون المجتمعات وقد خفقت توازنهــا الاقتصادي ومع ذلك ستظل لها قيم ومثل عليا ترتبط بها ، لان الصراع الاقتصادي انما هو ظاهرة اجتماعية ومرحلة عابرة ،،،

واذا ثبت علميا وجود العقيدة وضرورتها فان العقيدة هادفة لتحقق للانسان حياة افضل في تطور تصاعدي لا ينتهي ، ولهذا فالعقيدة القادرة علــى التطور والتطوير هي اسمى العقائد لانها تعطي ثمارها دائما ، وهي لا تستطيع ان تؤثر الا في الانســان المنسجم انسجاما قويا داخليا وخارجيا ، اي منسجما مــع مجتمعــه حتى يستفيد من مقوماتــه الفكرية والوجدانيه والاجتماعية والا فانه يظل يعيش المغامرة بكل ابعادها مهــددا بالانقــراض والانحــراف ،،، والانسجام يعتمد الفطرة التي تهذب الغرائز وتؤطـر الانسان في المجتمع ، وعندما تكون العقيدة في المجتمع الفطري السليم تحقق (الانسانية) وهي بدورهــا ضرورة توجد بتاثير الهرمونات الموازنة بين البشر ، ولذلك يلاحظ كيف توجب العقيدة نصرة المظلوم لان الجسم الانساني يفقد توازنه حين يرى الظلم ، ويصبح تحت تاثير ضغط دموي متولد عن افرازات هرمونيه،،، فالعقيدة غريزة لخليــه الفعاليــة وهــي تخضــع لتاثيرات بيولوجية مروضة ومخططــة لتنظيم حياة الانسان الفردية والاجتماعية حتى يكون عنصر توازن اجتماعي لارساء النظام الذي لا يكـون الا بالـعـدل والمساواة دون شـذوذ او انحراف ،، ولهذا فالعقيدة حاجة طبيعية لا محيص عنها وغريزة انسانية تعمـل لصالح الفرد في وحدته ، وتنسى الحياة الاجتماعية بين الافراد لتحقيق سعادة الانسان الفردي والاجتماعي بصفــة عامــة ،،، وعندمــا ينبذ الانســان العقيــدة يشعر بالعزلة والوحـدة والضياع ويعانــي ماساة وجوه ،،، وهكذا فان التنكر للعقيدة انما هو انحراف عن الخط الانساني الفطري والطبيعي .

واذا كانت العقيدة ضرورية للانسان سواء في فرديته وفي مجتمعه فان الدين هو اسمى نظام يعتمد العقيدة لانه اسماها واشملها واقدر الانظمــة تركيــزا سواء للفرد والجماعة .

وقد برهنت التجارب الحضارية الدينية ان الدين يهذب الانسان عقليا وسلوكيا واجتماعيا ويطــور عواطف البشر وعقولهم ، ويلائم بين الانسان والعالم المحيط به والكون كله وهو مدرسة لتكوين العقــلاء والحكماء الانسانيين العاملين على تفجيــر الطاقات الانسانية في البعد الداخلي وفي البعد الخارجي لــه ايضا ، ومهما اختلفت الدعوات الدينية منذ ظهورها ملة بسيطة الى دعوة مكتملة فان التعاليم الدينية تنص على اعتبار الانسان مخلوقا ساميا بلغ قمة الكمال .

المذهب الانساني في الاسـلام :

يقــرر الاسلام ان الانسان مديـن بوجـوده لخالقه ، وهو في اصله مخلوق من مادة اي مــن

(حما مسنون) ،،، وان الله تعالى نفخ فيه من روحه ،،، فهو اعلى من سائر المخلوقات لانه ارفاها واسماها ،،، وزوده خالقه تعالى بالعقل ، وهداه النجدين ، فأصبح قادرا على تحمل الامانة والمسؤولية في تعمير الارض والاختيار والكسب الارادي ،،، والقرآن الكريم يهدي البشر اجمعين للنزعة الانسانية في الانسان على اساس (الفطرة) التي معناها النزعة الطبيعية الانسانية المعتمدة على الذاتية (الانا) و (الغيرية) من اجل نمو انسانيته الذاتية من جهة وتعاونها مع المجتمع من جهة اخرى ، وكرم القرآن الانسا ن(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا) ، وامر الملائكة ان تسجد له اشعارا بقيمته الكبرى واستخلفه في الارض (اني جاعل في الارض خليفة) وجعل الشيطان يتحداه ليجلو مكامن الخير فيه ، (قال فيما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم) .

وكانت انسانية الانسان التي حددها القرآن الكريم في الخلق والتواضع والخير والاحسان والعدل والتسامح موضوع شرح وجدل بين المفسرين وعلماء الكلام ،،، وتساءل علماء اللغة والكلام عن حقيقة الانسان فذكر ابن حزم فى النحل ذلك النزاع الذي وقع بين ابي الهذيل العلاف والنظام حول مدلول الانسان ، فالعلاف يرى انه لا يطلق الا على الجسم وحده بينما يرى النظام انه يخص النفس وحدها ويرى آخرون انه الوحدة التي تجمع بين الجسم والنفس معا.

اما المذهب المغربي الذي ارتضاه ابن حزم فهو ان (الانسان) يطلق على الجسم لان الميت يبقى انسانا ، عكس اللغات الاوربية التي تسميه جثه حما يطلق الانسان على الروح لانها نواة الاحداث الشعورية والامزجة ثم هو وحدة الجسم والروح لان كلا منهما يكمل الآخر ،،، ويرى الاسلام ان الانسان كان هدفا للخلق الكلي ، ومنذ الازل صمم له مسلسل بيلوجيا لاستمراره فى سيره اللانهائي،لتطوير مداركه ومعرفته حتى يسمو باوضاعه الاجتماعية وانتاجه العام ، فمنذ اللحظة الاولى لوجوده وهو عامل باستمرار لتحقيق مثله العليا ، وكان جانب (الايمان) هو الركيزة في تقويم شخصه وتطوير انسانيته حتى يسلك في حياته مسلكا متعاطفا مع الجماعة الانسانية ، فالعقل ليس قادرا وحده على السمو بالانسان لانه المعرفة وحدها،

ولان العقل عند الانسان اداة لتحقيق مصلحته المحددة، فهو كالعين التي زود بها الجسم الانساني للرؤية الفردية لحفظ نوعه وتتجاوز النطاق المحدود لها ، وكالاذن التي لا تسمع الا الاصوات القريبة منها لتحقيق وظيفتها والدفاع عن الانسان نفسه ، اما الايمان فهو موجود كقوة لتاكيد الوجود الانساني ، واذا فقد الانسان الايمان ، فقد التصميم لتحقيق الهدف .

والانسان بطبيعته موجود لتحقيق هدف وجوده عن طريق تطوره وجدانيا وعقليا ، واستمراره في هذا التطور ليحقق تطور الوجود الكلي نفسه ، لان الخالق الواجب الوجود القديم والباقي هو الذي اوجد الوجود الانساني واوجد الوجود نفسه وهذا ما يفسر القدر الالاهي للانسان لان القدر يحقق ارادة الله الغيبية التي هي الصفة الكاملة المطلقة ولعدم تمكن الانسان من معرفة الارادة الغيبية فعليه ان يومن بالله وقدرته ، لان من الاسلام ان يقر المسلم بخير العالم وشره ، وحلوه ومره ، والاسلام لا يقر الايمان بالقول دون عمل ، لان العمل هو القول وبه يلمس الانسان الحقيقة ويدركها ، لانه يراها مجسمة في عمله واسهامه في تطور الانسان .

ان وجود الانسان بدأ بوجود ايمانه بالله ، فالايمان بالله فكرة ايجابية هادفة بها يحقق الانسان وجوده ،،، ويتدرج تطوره بالايمان بمفهومه العام لان الوحدة الوجودية تجعل الانسان منسجما مع التطور الشامل للوجود وللانسان ، لان التطور الحقيقي هو لمفهوم واحد (كحقيقة واحدة) يجب ان يدركها الانسان ادراكا واحدا ،،، اذ يبدأ حضور الانسان في الوجود غامضا مضطربا لعدم فهم الحقيقة في التجربة الانسانية ، فاذا صعد الانسان الى الانسجام في الفهم الذاتي والاجتماعي كانت له السيطرة على الوجود ، وكان متفائلا لسيطرته وثقته ، وبما ان الاسلام يقر اسبقية (الوجود) على (الماهية) عكس النظرية الفلسفية الوجودية التي تثير تعقيدات وتناقضات وبالتالي يظل الانسان اسير ماساة وجوده ، فالاسلام يتجاوز هذه التعقيدات لانه يغير اعماق الانسان تغييرا جذريا ، ويزاوج بين الفكر والوجدان وينطلق في (عدل) بينهما لتحقيق هدف وجود الانسان ، كما يقيم في نفس الوقت (عدلا) بين (الانا) والغير ، ليحقق هدفا انسانيا اجتماعيا .

وجعل الاسلام من حياة الرسول نموذجا (بشريا) يمكن اقتداؤه ليحقق السوبرمان في المفهوم الاسلامي، فالرسول بشر ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ، ويتزوج ويحب الحياة ، وهو انسان اجتماعي يحب ويكره ويكافح ويناقش ويجادل ويحاور ،،، فهو قد تلقى المعرفة القرآنية بالوحي ،،، ثم ظل في نفس الوقت بشرا سويا ، ومن ثم كان الرسول انسانا انسانيا بكل ابعاد معاني الانسانية ، عكس الانسان المسيحي الذي لم يجد في (المسيح) نموذجه الواقعي وانما المسيح مخلصه في خطيئته ، ليظل هو في اعماق المأساة ، وبهذا فقد كان من العسير ان تظهر للنزعة الانسانية في البلاد المسيحية الا بعد صراع مديد بين الفكر المسيحي واحرار المفكرين الغربيين ، .

ولم يختلف الفلاسفة وعلماء الكلام في حقيقة الانسان ومكانته وصلته بخالقه ، ولكنهم اختلفوا في حريته ازاء القدر الالاهي ، ومع ذلك فان الانسان حر في اختياراته البشرية التي هي طاقته ليبلو الخالق اعماله ويتحمل مسؤولية وجودية عظمى .

ومن حركة الانسان واختياراته يتحرك تاريخه في بيئه محدودة لان للكون نواميس لا تنحني وهي تتجاوز اختيار الانسان .

ويقر الاسلام المساواة بين البشر ، فلا استعلاء باللون او البيئة او المولد او العرف (وان هذه امتكم امة واحدة) وكل اركان الاسلام تركز المساواة المطلقة بين البشر وتحطم حدود الميز العنصري والطبقي والمالي والتفوق انما هو في التقوى والخير ،،،

وبذلك يصبح الانسان المسلم شحنة اخلاقية ، وبما ان الخير انما هو حوار مع المجتمع فصلة الانسان قوية بمجتمعه تصل الى الاتحاد الكلي بالجماعة الانسانية عن طريق وحدة الصف والانضباط في الصلاة والشعور بالرغبة الجسدية وكبتها في صيام رمضان ، والتكامل الاجتماعي في الزكاة ، واخيرا في المؤتمر الشعبي العام في الحج ، واخى الرسول بين الصحابة تطبيقا للنزعة الانسانية في الانسان في ترابط اخوي ، وجعل وطن المسلمين دارا واحدة هي دار الاسلام .

وكانت نزعة القدر في الاسلام محكا لتطور العالم الاسلامي او تاخره ، فكلما قويت نزعة الاختيار الارادي وحرية الاختيار تحرر عالم الاسلام ، وكلما ساد الخير التحمت الجماعة الاسلامية ، لان الانسان يتحرك باعماله لا بعقيدته ، والاسلام قول وعمل ، وعقيدة وسلوك وكما ان الشخصية الفردية تتطور في الاسلام باستمرار ، فان الجماعة الاسلامية قادرة على التطور كلما فهمت القدر فهما سليما ، واذا ساء فهمها للقدر وتعطل عملها سقطت في الدونية والاستيلاب ، ولن تغير حالتها حتى تغير نفسها .

فلسفة الانسية في القرآن الكريم :

وقد تنبه الفيلسوف اقبال الى خصوصية الذات الفردية في الاسلام فقارنها مع مذهب (برادلي) الذي قرر صدق الادراك الباطني للانسان ،، وركز (اقبال) على تاكيد المسؤولية الاخلاقية لكل كائن انساني مسترشدا بالآية القرآنية (ولا تزر وازرة اخرى) غير ان التطورات الاجتماعية والعلمية تفرض مراجعة دائبة لموقف الانسان من هذه التطورات وتحديد علاقته بها ، ولذلك فالمفكرون الاجتماعيون والسياسيون وعلماء النفس يعيدون النظر في كل الصيغ العلمية لتصور الانسان ومصيره ،،، وهدفهم ادراك ماهية الانسان سواء بالنسبة لذاته او لمجتمعه ، ولعل محمد اقبال من المع فلاسفة الاسلام الذين بحثوا عن الانسان في الاسلام وتكوين نظرة عن علاقته بالخالق والمجتمع، والجماعة الانسانية بوجه عام ، ذلك فالانسان قادر ان يكون علة شخصيته ، وبالمجاهدة يبلغ الغايات لان الخالق ذات مطلقة ، والانسان ذات محدودة ، ومصير كل انسان ليس قدرا خارجا عنه ، فالانسان بامكاناته المحدودة حر في تحقيق ارادته او عدم تحقيقها .

ويرى المتصوفة المسلمون ان الانسان لا يرتفع الى اسمى انسانيته ، ولن يصل ذاته بالذات اللانهائية الا اذا ارتقى اعلى الدرجات في سمو النفس ، واتباع طريق الهدى ، وذلك عن طريق الجهد الشخصي ، واذا كان الانسان الحق بفطرته نزاعا الى الحق ، فالانسان في الاسلام يكافح الشهوات ليسمو على نزعات الشر .

ولم يترك الاسلام الانسان ليعيش دون معوقات، وتتخلات عنصر الشر لابتلائه ، حتى يعيش المسلم في بحث متجدد ، فقد خلقه الله كما جاء في القرآن (في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين) فالتردي ناشيء عن اختيارات الانسان نفسه حيث يظل الطريق لظنه انه قادر على التحدي ، وتشكيل قوي الطبيعة

لتسير في غير مسارها الطبيعي ، وبما ان الانسان قادر على معرفة نفسه وتشكيلها ، وله قدرة على التحدي ، فهو بامكانه ان يشكل الطبيعة ايضا وفق غاياته الفطرية التي حددها الاسلام حتى لا ينزع الى الشيطان والى رعونة نفسه ، وحتى لا يتملكه الغرور كما جاء في القرءان (وغرتهم الحياة الدنيا) .

وكما ان الانسان في حوار مع الطبيعة فهو كذلك في حوار مع نفسه ، لانه لا يرتفع ويسمو الا في المجتمع ،،، ولا تسمو نفسه وتتعالى شخصيته بالتربية والتعليم الا في الشخصية الاجتماعية ، فالانسانية الاسلامية نواتها (الشخصية) التي هي حسب تعريف (كوكب الب) مجموع الافكار والمشاعر الموجودة في وعي المجتمع المتمكنة في وعي الفرد وتحقيقا لفلسفة الاسلام في (العدل) فان الشخصية الفردية تنجلي اثارها في المجتمع كله .

وتتضح اسس الانسية الاسلامية في الكلمة التي القاها احد المؤمنين المهاجرين الى الحبشة امام النجاشي وهي : (ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية ، نعبد الاصنام ، وناكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ونسيء الى الجار ، وياكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رجلا منا نعرف نسبه ، وصدقه وامانته ، وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبده نحن واباؤنا من الحجارة والاوثان ، وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحرمات والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، واكل مال اليتيم وقذف المحصنة وامرنا ان نعبد الله وحده ، وبالصلاة والزكاة والصيام الخ) .

وهكذا بدا المذهب الانساني في الثقافة الاسلامية منذ ظهور الاسلام ، لان اركان الاسلام كلها انسية اجتماعية ، فالصلاة مع الجماعة احسن من صلاة الفرد ، والصيام شعور مقترن بالجوع لتوعية الانسان، بما يعانيه الانسان ، والصيام تضامن اجتماعي ، وزكاة المؤلفة قلوبهم والغارمين لاحداث تعاطف انساني اجتماعي ، والحج مؤتمر يجرد الانسان من كل شيء الا من انسانيته ، ليسمو بها الى اعلى درجات التآخي والمساواة .

علاقة الانسان بالمجتمع في الاسلام :

ان الانسان في الاسلام هو جزء من الجماعة ، وهو مسؤول عن عمله لانه يعمل لها ليساعدها بعمل مثمر ، وبما انه جزء من المجتمع ، فكلما نما هذا المجتمع واستكمل اختصاصاته نمت شخصية الانسان ايضا لانها هي خلية المجتمع .

و (الانسان) في الاسلام متكامل مع (الغير) دون طبقية او لونية ، او اقليمية ، وفي وسع كل واحد ان يكون نموذجا انسانيا وله طاقة بها قوة الاختيار والبناء في حدود الامكانات ، ويمكن لها ان تندمج باستمرار في المجتمع ، وهو طاقة اجتماعيه لا تظهر انسانيته الا في التعاطف الاجتماعي ، لان الاسلام ايمان بالقلب وعمل ، ولا يفصل العمل عن الايمان الداخلي ، ولهذا كانت المرجئة التي ترى ان الايمان الباطني كاف من الفرق المبتدعة ، ولهذا ايضا انكر السنيون مبدا (التقيه) اي تستر الايمان ، لان الانسان المسلم قوة اجتماعيه عامله ،،، ولهذا ايضا قال الرسول عليه السلام لا هجرة بعد الفتح وانما هو جهاد ونيه ، وليوضح الاسلام عمله فقد اعطى للانسان نموذجا في شخصيه الرسول وهو اذا ينكر (النمطيه) اي ان الانسان على (نمط واحد) (فلكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات) يقر النموذج الكامل في الرسول عليه السلام ، ويقر حرية العمل الفردي (قل كل يعمل على شاكلته) وتبعا لذلك فلا وصاية ولا وسطية في الاسلام ، ولكن للانسان قوانين انسانية تضبط اتصاله مع الانسان وهي مصدر (الانسانية الاسلامية) وهذه القوانين المحددة للعلاقات هي المذكورة في قول الرسول (كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه) .

الانسية العربية :

تولد المذهب الانساني العربي عن طبيعة المجتمع العربي نفسه حيث كانت البيئة الطبيعية الصحراوية بما فيها من صفاء العقل تنعكس على العقل العربي ووجدانه الصافي البريء لتجعل منه شخصا انسانيا صافي الفكر والوجدان بكل ابعاد هذه الكلمة ودلالاتها،، فقد رقت مشاعره الوجدانية فكان شاعرا قبل ان يكون فيلسوفا ، بل تقاسم مع الاغريق (حيوية الانسان) فكان العربي صوفيا شاعرا ، وكان الاغريقي فيلسوفا مفكرا وليس معنى ذلك جفاف العقل العربي ولا جفاف

العاطفة اليونانية ، ولكن التفوق الوجداني كان من نصيب العرب ، بينما كان التفوق الفلسفي من نصيب الاغريق ...

والبيئة العربية بما فيها من شظف العيش جعلت سمو الاخلاق في الكرم والعطاء ، والتعاطف مع الانسان ومحبته ، في صوفية تلقائية ، وظهرت (المروءة) العربية التي تعني كرم النفس وعزتها وكرم الضيف وايواء الضيف ، والغريب والعطف على الضعيف والصبي ، ومحبة المرأة وتقدير قتها ، والتعاطف مع المجتمع سواء القبائلي او الانساني ، وصلة الرحم واحترام الجار .

وظهرت فى شعر امرىء القيس ، وفى شعر طرفة ، وزهير ، عواطف انسانية رقيقة كما كان فى شعر عنترة تحد للزنجية والعنصرية اللونية ، ولسنا بصدد تحليل الاخلاق العربية ، ولا بصدد تحليل مفهوم المروءة والشرف ، واكننا نقصد الى ظهور النزعة الانسانية العربية في الوظائف التي اضطلعت بها قريش ، من (سقاية) القاصدين مكة بالماء العذب (والرفادة) وهي تقديم الطعام للفقراء ، ومن (الاشناق) وهي الديات والمغارم لتؤدي على من يستطيع اداءها.

وحدة الانسية والشخصية العربية :

ان القيم الاخلاقية العربية القديمة تتشابه واخلاق المغاربة القدماء الذين استوطنوا شمال افريقيا متدفقين اليها من بلاد اليمن بعد استيعابهم للثقافة الفرعونية عبر رحلتهم الطويلة الى المغرب ، حيث اخذوا عن مصر انضباط الشعب وتماسكه الاجتماعي ، وفي المغرب تلاحقت الثقافة المغربية القديمة مع الثقافة الفنيقية التي حملت الى المغرب ديانات الشرق القديم ، حتى اذا جاء الاسلام كانت دعوته اساس المذهب الانساني المغربي... فلم يستسغ المغاربة الثقافة الرومانية لان هؤلاء لم يعرفوا الجوانب الانسانية في نظامهم ولان مجتمعهم اعتمد الاستعباد والاسترقاق، والعنصرية الوطنية . ولذلك لم يجد المغربي في (الرومان) حضارة انسانية يمكن ان يتاثر بها ويتعاطف معها .

وعندما بلغت الدعوة الاسلامية الى المغرب استجاب لها سكانه لما فيها من حيوية وتجديد، ولاتسامها بالعقلانية والوجدانية في آن واحد ، ولقدرتها على تحرير الانسان من القلق والخوف وتحييد المجتمع من الظلم مع السمو بالانسانية ، وانسية الانسان ، ولهذا تلاحقت طبيعة المغربي بالعوامل الحضارية الجديدة لتجعل من الانسان المغربي عنصر التطور والوفاء للمبادىء الانسانية ... لقد استفاد المغربي من تحدية لبيئته ، فكان انسانا اجتماعيا متعاونا ، واستفاد من الثقافة الفينيقية وبالاخص من جوانبها الانسانية الدينية كما استفاد من الثقافة الهيلينية ، وبالاخص في عصر البيزنطيين حيث وقف ضد زهد الكنيسة وتقشفها ليجعل من (الدوناتيزم) اتجاهه المسيحي الملائم لطبيعته ، ورغم ان (سان اوغست) المفكر المغربي حارب الدوناتيزم ، فاعتبره الشعب خائنا لوحدته الوطنية والدينية ، فان اعماله الادبية لم تخل من نزعة انسانية كما شهد بذلك (بتراك) .

ولقد انكرت صنهاجة تعاون (ماسينا) (ويوغورطا) و (يوبا) مع الرومانيين فقاومت اتجاههم كما لم يحفلوا باداب ترتريان وغيره من الكتاب المغاربة بالنسبة اللاتينية الاجنبية لانهم رأوا في ذلك تفويضا لشخصيتكم كذلك لم يستعملوا الحروف اللاتينية وارقامها الحسابية فى كتابهم .

وقد تمسك المغاربة بالاعراف المدرجة في (ايزرف) (والالواح القديمة) المنظمة لاعراف القبائل غير حافلين بالتقسيمات الادارية التي فرضتها روما ، كل ذلك توضيحا وتمييزا لشخصيتهم الصلبة .

اصول المذهب الانساني المغربي :

ما ان ظهر الاسلام ، وما يحمله من نزعة انسانية حقيقية مؤثرة في عقيدة دينية صحيحة متكاملة اجتماعيا وفرديا ، اقتصاديا ، واخلاقيا ، حتى حف المغاربة لاستجابة له ، فاسلموا بتلقائية ، ولم تكن هزائم ارتدادهم عن الاسلام الا كلمات لفقها المؤرخون الذين لا يعرفون طبيعة المغرب الذي لم يرتد عن المبادىء ، وانما وقف في وجه الغزو والتحريف للمبادىء التي آمن بها .

وهكذا تحولت الانسية المغربية الى ذاتية متاثرة بما حمله القرآن من تمجيد الانسان وتفضيله والشعور بكرامته ومكانته في الكون ، وتحول المغرب تحولا

كاملا الى الثقافة الاسلامية ، بل اصبح احد اعمدتها وحماتها والذائدين عنها ، والمناضلين دونها ، حيث برز منه جهابذة الانسية فى العالم القديم، من الشاعر المطماطي في عصر بني امية بالمشرق الى يحيى الليثي ، تلميذ الامام مالك ، ثم القاضي عياض اعظم مفكر انساني مسلم ، الى ابن طفيل وابن باجة وابن رشد ، ثم ابن الخطيب وابن خلدون وابن مرزوق ... وغير هؤلاء من الذين عمقوا الشعور الانساني والشخصية المغربية حتى اذا سقطت الاندلس ، ورث المغرب انسيتها ومزجها بانسيته ملما بادب ابن زيدون وفلسفة ابن حزم ، ولاشك ان موقع بلاد المغرب الجغرافي جعل امته نقطة التقاء الثقافة العربيه الانسانية ، والثقافة الغربية العلمية والتقنية ، والثقافة الافريقية الفنية كل ذلك وضع الانسان المغربي في مرضع (المسؤولية الانسانية) فكان النموذج الانساني المسؤول عن هذه الكرامة ، والمدافع عنها كلما هددها الظالمون البغاة ، وكذلك خاض المعركة ضد الاتجاهات الانسانية : ضد غطرسة روما بقيادة هانيبال وضد الحركة الصليبية في المشرق ضد غطرسة النازية معززا صفوف الحلفاء ، الى معاركه في الجولان ضد الصهيونية ، كما كان جهاز التقاط وتوجيه للثقافات الواردة من الشرق والغرب ، يلتقطها ويمحصها ويستوعبها ويوجهها تارة الى اوربا وتارة الى افريقيا ، وقد ظل المغرب باحثا عن شخصيته السياسية التي هددها الرومان والوندال والبيزنطيون لان الصراع القبلي حال دون الوحدة الوطنية وكان المغرب فى حاجة الى عمود فقري لتتوحد القبائل أو ليعطي الثقل لبعضها ووجد ذلك في الادارسة الذين كانوا اول من اسس للمغرب دولة وطنية مغربية فالمغرب رفض التبعية للامويين في دمشق ، وسارع الى تحقيق تجربة الاندلس التي اسست دولة اموية بها ، فلبى الدعوة الادريسية ، والتزم بالبيان السياسي ، الذي اذاعه المولى ادريس في المغرب وعن طريق حركة (الخرارج) بالمغرب اكد المغرب انفصاله عن المشرق ومهد للدولة الادريسية كي تؤسس به اول حكومة مغربية .

وظهرت دولة المرابطين كدولة مترامية الاطراف بل كدولة تمثل كل التطلعات المغربيه في الوحدة السياسية والمذهبية (المالكية) والعقيدة السنية ، ثم جاءت الدولة (الموحدية) لتقفز بالمغرب الى مرحلة النظرة الفلسفية في السياسة والتشريع ، واذا كان عصر المرابطين يمثله المفكر الانساني الكبير (القاضي عياض) فان عصر الموحدين يمثله الفيلسوفين الانسانيين ابن طفيل وابن رشد .

... وجاء عصر المرينيين لتبدو الشخصية المغربية واضحة في ثقافتها الشمولية الممثلة في فكر ابن خلدون وابن الخطيب وليتحملوا مسؤولية انقاذ الاندلس ، وعندما سقطت غرناطة فقد المغرب توازنه وارتمى في احضان الصوفية في غيبة عن العقلانية ، وتحولت الرباطات العسكرية الى زوايا ذات تصوف سلبي امتد طيلة عصر السعديين الذين امتدوا في افريقيا استجلابا للقوة ، وقطعا للطريق على البرتغاليين، وامتد ذلك طيلة عصر العلويين رغم محاولة كثير من العلماء والمصلحين ابراز السلفية الايجابية ، واصلاح التعليم المغربي ، لمقاومة انحلال الذاتية المغربية ، وعودا الى (التوازن الضروري) للثقافة الاسلامية.

عبد الله كنون

وأثره في الثقافة المغربية

-1-

للأستاذ مصطفى الشليح

مــدخل

لا جرم ، ان معاهدة الحماية التي وقعت سنة 1912 لا تشكل الا بداية الاستعمار الرسمي ، اذ اننا لا نظن ان هزيمة المغرب أمام فرنسا في موقعة (ايسلي) في 14 غشت 1844 ، وانكساره قدام اسبانيا في حرب (تطوان) سنة 1860 عامل شجع فرنسا على التخطيط لغزو المغرب وبالتالي لا نستطيع اتخاذه معيارا نقيس به حالة بلادنا وقتذاك لأن القوة ـ وان كانت مظهرا من مظاهر قوة الدولة وحصانتها ومناعتها ـ لا تعدو كونها بيئة جزئية من بيئة عامة كلية هي قطب الرحى ومحور الاهتمام .

(ان المغرب في أواسط القرن التاسع عشر لم يكن يتوفر على شيء يدعي به انه عصري) كما يقول « البير عياش » A. AYACHE (1) ، فالاقتصاد ابوي ، متهالك على نفسه ، ذو أساليب وادوات عتيقة، ومتخلفة ، والفلاحة وتربية المواشي همـا المورد الاساسي الذي يعتمد عليه رجل البادية لسد رمقه ، وضمان حياته .

ثم ، ان الانتاج الزراعي كان يتجه برمته الـى الاكتفـاء الذاتـي ، او التسويـق داخل المغـرب (2) وبعبارة أخرى كان يتحول من اكتفاء ذاتي الى اكتفاء جماعي داخل القبيلة .

اما في المدينة فقد كان الحرفيون الذين يمتهنون النجارة والحدادة والخرازة ،،، الخ يمثلون قاعـدة الهرم الاقتصادي الذي يعتلي قمته الاعيان ، والطبقة الميسورة التي تقوم بتجـارة محدودة بيـن الاقاليـم المغربيـة .

امام هذه الحالة المتخلفة التـي كـان شبحها الرهيب يجثم على المغرب ، وضعت فرنسا تخطيطها المحكم لغزو المغرب ، وترسيم هذا الغزو ـ كما بينا آنفـا ـ

وقد كـان هاجسهـا الاول هو توفير الاسواق الخارجية لترويج منتوجاتها ، والتنقيب عن مصـدر تضخ منه اليد العاملة البخسة الثمن التي لا تتبرم ، ولا تناهض ، او تطالب ، والسعي لايجاد منفذ تتسلل منه للاستيلاء على الموارد (3) لانها في عوز اليهـا .

ولبلوغ ذلك تفننت في ابتكار الاساليب لمحاصرة الطريدة المنشودة ، وتضييق الخناق عليها لكتم انفاسها ، وبالتالي اغتصابها في صورة زواج ، لقـد قال (اوجي ايتيان) مدافعا عن اطماع فرنسا فـي امتلاك المغرب : (ان لفرنسا حقوقا كبرى في المغرب، والسبب الاول هو الجزائر ، اننا لم نستول على تونس يوم غزوناها ، فالمظاهر خادعة ، لقد حاصرناهـا واقتحمنا قبل أن نستولي عليها (4) .

---

(1) A. AYACHE le Maroc

(2) IBID - P - 210

(3) يقول لينين Lénine : (كلما تطورت الرأسمالية، الا وازداد الشعور بالحاجة الى المواد الاولية) من كتابـه L'imperialisme Stade suprême du Capitalisme P 115

(4) A.AYACHE le Maroc P.60-61

ومعلوم ان اقتصاد فرنسا رأسمالي ، وان هذا الاقتصاد بدأ يعرف منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين عملية تركيز الرأسمال المتجلية في الامتدادات الاحتكارية (المونوبولية) للشركات التجارية التي تكونت في أوربا بأجمعها - وليس في فرنسا فحسب - بطريقة تتسم بالرعونة والطيش ، والاندفاع الى درجة أن الاسواق الوطنية عجزت عن تحجيمها وكفايتها .

ولان هناك بلدانا في افريقيا وآسيا تعيش على هامش النظام الرأسمالي ، ولا تملك قوة تدافع بها عن نفسها ، وتدفع عنها غائلة العدو المتربص بها ، فقد اندفعت البلدان الاوربية في عملية توسع واحتلال حتى تحقق لشركاتها مجالا حيويا ذا مكاسب وامتيازات تعتبر رئتها الجديدة التي تتنفس بها بعد ان كادت التراكمات والتضخمات تزهق أنفاسها .

وبذلك نجد أنفسنا أمام ولادة الامبريالية (المرحلة القصوى للرأسمالية) - على حد تعبير لينين - لان الامبريالية ليست الا نتيجة لوصول الرأسمالية درجة معينة من التطور الكمي يدفعها الى تغيير وسائل تعاملها الكيفي .

لم يكن مناص من ايراد هذا الحديث الموجز للرأسمالية ، وامتداداتها الاحتكارية الممهدة للامبريالية التي تهدف - فيما تهدف اليه - الى ضمان الاسواق الخارجية ، والمواد الاولية ، ونهب خيرات البلد المحتال ، ومصداق ذلك ما قاله « ساروت » متحدثا عن مستعمرات فرنسا : (أن مستعمراتنا تنتج ، وبامكانها أن تمدنا بالقطن والصوف والحرير والكاوتشوك والخشب ، ان أراضينا الرابضة وراء البحار تعج بالموارد ، ولا تتطلب منا سوى عصرنة الآلات المستعملة للزيادة في المردودات الحالية ، وفي ظرف سنوات قليلة - اذا أحسنا الاستغلال - فان المردود سوف يتضاعف ثلاث مرات باستخدام المعدات الاقتصادية الضخمة) (5) .

ولترسيخ أقدام ذلك الاقتصاد عمل الاستعمار على اغتصاب الحريات العامة ، واضطهاد المواطن المغربي ، واجبار الفلاح على تسليم أرضه بالقوة ، وبتقسيم العمل بطريقة موسومة بالظلم والاستبعاد .

وحري بنا أن نشير الى أن الاحتلال عمل - لاغراض سياسية - على المحافظة على البنى السوسيو - اقتصادية ، ولذلك لم يمنح المنتجين المغاربة الوسائل التقنية والمالية لتطوير الانتاج (6)

كما أنه سعى الى تقوية القطاع التقليدي القديم الذي يرتبط بالنمط القبلي ، لان استمرار هذا القطاع يمكن المستعمر من تكريس حضوره في المجال الاقتصادي ، ولذلك فقد القى بالفلاحين الصغار ، والحرفيين البسطاء في دوامة لولبية من الاستغلال والاحتكار والفقر المدقع مانعا اياهم من امتلاك أدوات الانتاج والتقنيات الضرورية لذلك (7) .

ويرى الاستاذ (فتح الله ولعلو) ان هناك صنفا من البورجوازيين سماهم « بالتقليديين » قد برز الى الوجود على الخارطة السوسيو اقتصادية ، وهم خريجو المؤسسات الدينية كالقرويين الذين ورثوا الحركة السلفية ، وتأثروا بالحركات الاصلاحية العربية والاسلامية (8) .

ولسنا ندري على أي مقياس اعتمد الاستاذ ولعلو في تحديد هذا الصنف من البورجوازيين ، وهل يمثلون فعلا طبقة بورجوازية بالمفهوم الاجتماعي الطبقي للبورجوازية ؟ أم انهم لم يكونوا سوى فئة ميسورة .

ان استعمال مصطلح « البورجوازية » في هذا السياق يعتبر تعسفا مفرطا لانه يجرده من محتواه الفكري والبيئري ، ويبعده عن اطاره الاجتماعي والحضاري ، بل الاقتصادي نفسه ، وفي ذلك غلو وشطط (9) .

---

(5) Connaissance du Tiers - Monde P 220

(6) A. AYACHE le Maroc P 233

(7) F. Oualalou : le Tiers - Monde et la troisième PHASE de domination P 16

(8) F. Oualalou - P. S. D

(9) لا نرى ضيرا من الاشارة الى اننا لا نفرق بين الاستعمال القسري لهذا المصطلح (البورجوازية) وبين ما يحاول بعض الباحثين اسقاطه على الادب العربي القديم من مفاهيم ومصطلحات حديثة كنعت الشاعر القديم الذي يصف الطبيعة عرضا في قصائده بالشاعر الرومانسي !!

ويذهب الاستاذ (توفيق الشاهد) في دراسته لـ (النقد الذاتي وأزمة التفكير السلفي) الى (أن السلفية الجديدة كانت بصورة أخرى نقدا للبورجوازية ،، نقدا لها على وجه التحديد من التحجر الاخلاقي والتزمت الديني ، وأحادية منظورها الاقتصادي، وتبعيتها السياسية ، وركودها الاجتماعي ،، (10) .

ونحن لا نتفق معه في كل ما ذهب اليه ، اذ أنه يحمل السلفية اكثر مما تستطيع تحمله ، ويؤولها تأويلا يكاد يكون معتزليا يتماشى ونمط تفكيره ! واننا عندما ندرس الحركة السلفية ، ونقوم بتفتيت بنياتها الفكرية والسياسية والاقتصادية ، فسنجد أن (بعث البورجوازية المتوسطة) لم يكن هدفها بتاتا ، وهذا ليس تبريرا ساذجا ، وسنبين فيما بعد مصداق ذلك .

ولعله من المهم الاشارة الى ان الاستعمار بمحاصرته للمغرب اقتصاديا ، وتسلله فتمركزه في السلطة سياسيا قد تمكن من وضع اليد على خيراته ، وبما أنه كان يحلم بامبراطورية أبدية تكون وراء البحار تابعة لفرنسا ، وبما أن مصالحه الاقتصادية تفرض عليه ذلك ، فقد هدف ــ منذ البدء ــ الى محاولة تهميش المواطن المغربي ، والنيل من شخصيته عن طريق محاولة محو ثقافته العربية الاسلامية بتوجيه اعتى الضربات لجامعة القرويين باعتبارها مصدرا للاشعاع الفكري والروحي . واتجه الى تخريب الدين بتشجيعه للطرق (الصوفية) المنحرفة ، وحاول القضاء على العربية بمحاربتها ، واحلال اللغة الفرنسية محلها ، وشفع كل ذلك باصدار الظهير البربري سنة 1930 للتمييز بين العرب والبربر .

وبعبارة اكثر تبيانا ووضوحا كان يتغيا مسخ مقومات الفكر والدين واللغة عن طريق فرنسة التعليم، وخلق موظفين تابعين له (11) ، وايجاد نخبة متغفة تؤمن بالفكر الغربي وتقدسه ، والقيام بعملية تزوير للتاريخ بالتشكيك في البطولات الاسلامية ، وتصويرها تصويرا مهلهلا يقطر سخرية ، وينضح تهكما ، وتشجيع صحافة تساير الاستعمار ، وتدافع عنه مع التصدي لكل محاولة وطنية تهدف الى اصدار صحف ناطقة باللغة العربية كمحاولات سعيد حجي المتكررة .

وقد كان الهدف من كل ذلك واضحا وواحدا ، وهو تشوية الشخصية المغربية ومحوها ، والالقاء بها في دوامة الاغتراب والاستيلاب والفرنسة ، حتى يسهل على المحتل ابعاد الانسان المغربي عن قيمته المتجدرة ، والضاربة في اعماق التاريخ ، وتجريده من قيمه ، واخلاقه ، ومعتقداته ، وبالتالي الباسه هويه جديدة بعيدة كل البعد عن مشاربه وتربيته .

وحتى ينفذ مخططه اتجه المستعمر بكليته الى جامعة القرويين يروم نسفها وتقويضها لانها كانت تشكل خطرا عليه ، ولانها ظلت على توالي العصور ، مركزا مهما من مراكز الاشعاع الفكري ، ومعقلا محافظا على الثقافة العربية الاسلامية ، فلقد جعلت من فاس كعبة يؤمها طلاب المعرفة والعرفان لينهلوا من معينها لا من شمال افريقيا فحسب ، بل ومن أطراف اوربا ايضا . وفي ذلك ما يبرز أهميتها ، ويوضح المهمة الجليلة التي كانت تنهض بها ، ويجلو للعيان الدور الحضاري الذي كان منوطا بها .

لقد أدرك المحتل ذلك تمام الادراك ، فالغى منها العلوم الهامة مكتفيا بالقشور والطحالب التي تظل طافية على السطح ، وتذهب كالزبد جفاء ، فحول جامعة (القرويين الى شبه مدرسة للاعراب والنحو لا تستغرق في العام اكثر من شهرين (12) .

وقال المارشال (ليوطي) لاحد أعوانه (اذا تم لفرنسا القضاء على القرويين ، فقد ضمنت لنفسها الخلود في المغرب) ، وقال السيد مارتي : (ان تجديد القرويين سيمكننا من الاحتفاظ في المغرب بهؤلاء الشبان النازحين من عائلات مرموقة ، بدل تركهم يذهبون الى الشرق لتلقي العلم الذي تحرمهم منه القرويين في حالة عدم تجديدها ، ماذا يمكن أن يأتي

---

(10) توفيق الشاهد : (النقد الذاتي وأزمة التفكير السلفي) مجلة « اقلام » عدد 8 1977 ، ص 23 ــ 24 .

(11) أنور الجندي : الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا ص 129 .

(12) انور الجندي ،، الفكر والثقافة ،،،، ص 140

به هؤلاء الشبان من المشرق ؟ الا يعودون محملين بميول الانجليزية ، أو بروح النهضة الاسلامية والتعصب الوطني ؟ (13) .

ماذا نستخلص من هذين النصين باستنطاقنا لهما ؟

1 ـ ان أولهما يرغب في هدم جامعة القرويين ، وتحطيم دعائمها ومرتكزاتها ، لانه يعي ان بقاء فرنسا بالمغرب مرهون بامية الشعب وجهله ، ولان الصفوة المثقفة (الانتلجنيسا) هي التي توعي الشعب وتحمسه ، وتدرس مشاكله ، وتسعى لتلافيها استقبالا لايجاد حلول لها ، ولان الثقافة مقرونة بالوعي ، وهذا الوعي ليس من مصلحة فرنسا أن يوجد لان من مبادئه الاساسية الحرية ، والتخلص من ربقة الاستعمار ونيره ، وبما أنها تريد أن (تضمن لنفسها الخلود في المغرب) ، فان ليوطي ـ الناطق الرسمي باسمها ـ يلح على تقويض منار العلم في القرويين لتكريس الجهل ، وحفر اخاديد الامية ، وجعل الشعب يحيا في غابة لامتناهية من اللاوعي واللادراك .

ولكن فرنسا التي لا تريد أن تجاهر بعدائها للاسلام قد سلكت مسارا حربائيا مغايرا ، اذ انها شجعت الطرقية المنحرفة الضالة التي تزرع وتقوي التواكل والاستسلام للمقادير والمكاتيب عن طريق تعزيزها بايات قرآنية وباحاديث من السنة النبوية ، فاتسعت رقعة « الزاوية » الدينية ، والطوائف المشبوهة التي مشت في ركاب الاستعمار ، وجندت نفسها لتمرير تلك المعتقدات الفاسدة الى المجتمع المغربي لتفجره من الداخل ، الا أن هذه الزوايا ـ الارضة زعزعت بالمقاومة اللاهبة التي وجهت بها اذ (أخذ التفكير في تطوان وفاس والرباط يتجه الى مقاومة الطوائف المصطبغة باسم الدين ، والتي تقضي السلفية بمقاومتها لما تخلفه من تشكيك في العقيدة ، ومن اشراك بالله كالطوائف الحمدوشية والعيساوية) (14) .

فتحامل فرنسا ليس جديدا ، بل في الامكان القول بان لاحتلال المغرب سببا ثانيا ـ غير الرغبة في توفير المواد الاولية واليد العاملة ، وايجاد الاسواق الخارجية ـ وهو جزء من مخطط صليبي يرمي الى النيل من الاسلام ، والعمل على تمسيح المسلمين ، وحسبنا برهانا ودليلا ما كتبه المفيم الفرنسي (سان) في مجلة « الاحياء » من (أن المغرب على أبواب تطور عظيم وان فرنسا ستخرجه بفضل مجهوداتها من ليل الاسلام الطويل الى بحبوحة المدنية الزاهرة) ، وما قاله (فوكو) من أن (هذا الشعب « المغربي » سيخرجنا من بلاده ، اذا لم نعرف كيف نجعل منه شعبا فرنسيا ، والطريقة الوحيدة لكي يصير فرنسيا، هي أن يصير مسيحيا) (15)، ففيهما تتضح نوايا المستعمر بجلاء .

واننا لا نستغرب عندما يحدثنا الدكتور عبد الهادي التازي بأن رجال القرويين قد تعرضوا (منذ أواخر القرن الثامن عشر على الخصوص لحملة هوجاء وجهها ضدهم بعض كتاب الافرنج ممن وردوا على المغرب في « بعثات خاصة » ، لقد نعتوهم بانهم يعادون كل تطور ، وطعنوا في معارفهم وكفاياتهم (16) .

ولا نستغرب ايضا من كون فرنسا سعت منذ 1914 الى الحد من سلطان الاسلام ، والى اخراج المناطق البربرية من دائرة نفوذ المخزن والشرع ، بل انه (حتى في المناطق العربية اتسعت سياسة تزوير الاسلام) (17) ، كما انها كانت تثبط همم الراغبين في أداء فريضة الحج ، وتجعل العلاقات بين البوادي والحضر مستحيلة (18) .

ان هدف « ليوطي » هو الاسلام ، وما استعماله للقرويين ـ في معرض حديثه ـ الا على سبيل الرمز والكناية ، لان العلماء المسلمين الذين يلقنون للشعب الغارق حتى أذنيه في الامية مبادىء الاسلام ،

---

(13) الادب العربي المعاصر في المغرب الاقصى للدكتور سيد حامد النساج ص 64 .

(14) عبد الكريم غلاب : تاريخ الحركة الوطنية ص 45

(15) فصلا أبوبكر القادري : سعيد حجي ص 5 .

(16) من مقالة «أحد عشر قرنا في جامعة القرويين» ،ونقلا عن النساج ص 140 ـ 141 .

(17) A. Laâraoui l'Histoire du Magheb Tome - 2 - P 16

(18) IBID

ويوضحون له الغامض منه ويرفعون اللبس عن المشكل ، ويفصلون المجمل ، هم ورثة الانبياء كما يقول الحديث النبوي الشريف ، واذا قضى على القرويين ، فان ذلك يعد قضاء على العلماء أنفسهم . واذا لم يعد لهم وجود ، فان الشعب سيصبح ـ حتما ـ ذا اسلام مهلهل ، واذا هلهل اسلام الشعب ، فمن السهولة تجريده من عقيدته . وذلك ما كانت الصليبية تطمح اليه منذ الازل والى الابد .

ب ـ اما ثانيهما فقد كان يريد اصلاح القرويين لتجنب خطر الوافدين من الشرق ، الماتحين من ينبوع السلفية ، والداعين الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولكننا نتساءل : أي « اصلاح » يدعو اليه السيد « ماري » ؟ أمن المعقول ان يتسرب الى نفوسنا ان « رغبة انسانية » في اخراج هذا الشعب السادر في الجهل ، والغارق في التخلف الى رحاب المدنية والعلم والحضارة ؟ اذ متى كان المنطق الاستعماري منطقا انسانيا وانقاذيا ؟ .

اننا لا نرتاب في كون « الاصلاح » الذي دعا اليه « مارتي » « اصلاحا » مصلحيا يواكب خطوات المستعمر ، ويتماشى مع سياسته ، وينعم في احضانه ، ويوظف نفسه لخدمته ، ويعمل على خلق « حاملي شواهد » ـ ولا نقول « مثقفين » يخدمونه ويدورون في فلكه .

ولعل خير ما يوضح ذلك الرفض المطلق الذي ووجه به ، والعزوف الحاد الذي ركبه العلماء لتأكيد احتجاجهم ، وعدم رضاهم على هذا « الاصلاح » ، هو ان عائلات عديدة ذات مركز عريق في العلم والمعرفة هاجرت من فاس ، ومن بينها عائلة كنون (19) .

ان قولتي « ليوطي » و « مارتي » متباينتان على السطح ، ولكنهما متحدتان ومتعانقتان في العمق ، وتتغيان هدفا واحدا : القضاء على الاسلام .

وبالاضافة الى ذلك كان الاستعمار يصبو الى مسخ اللغة العربية وتشويهها ، وبالتالي العمل على محوها ، واقتلاع جذورها ليسهل قتلها وابادتها .

وغير خاف ان اللغة هي المظهر الخارجي للفكر ، وان بينهما علاقة جدلية تقابلية (سيمترية) ، فكل منهما يؤثر في الآخر ، وفي نفس الان يتأثر به ، فاذا انحط الفكر وانحطت اللغة ـ وفي تاريخ الاداب العربية ما يوضح ذلك ـ وبالمقابل اذا فقدت اللغة سماتها المميزة وخصائصها الدالة عليها تبعها الفكر ليغدو مستلبا عن ذاته ، ومغتربا في وطنه ، وأجنبيا عن وطنه .

ومن هذه الارضية انطلقت فرنسا ، وما فرض اللغة الفرنسية كلغة أولى ، والتقليل من شان اللغة العربية ، والتهوين من أمرها ، بل الانتقاص من قدرها وقيمتها الا شاهد يعزز ما تذهب اليه .

لقد دعا المستشرق « ماسينيون » عام 1926 ، والمستشرق « كولون » الى اللغة العامية المغربية ، مناديا باتخاذ اللغة العامية لغة الثقافة ، وكتابة هذه اللغة ـ مع تحفظنا في استعمال لفظة « اللغة » ، اذ من المفروض ان تدعى لهجة ـ بالحروف اللاتينية كخطوة أولية يليها الاستغناء عن هذه اللغة الدارجة ، واتخاذ الفرنسية لغة الثقافة (20) .

ان الهدف جلي وواضح ، فالدعوة الى استعمال اللهجة المحلية العامية جسر لفرض اللغة الفرنسية كأداة للتفكير والتعبير والتدبير ، ورغبة في طمس اللغة العربية لانه (اذا استعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما دامت محتفظة بلغتها) كما قال « غوستاف لوبون » ، ولانه (اذا حافظت أمة على لغتها كان بيدها مفتاح من اعظم مفاتيح الاستقلال (21) .

لكن المستعمر لم يفلح في كل ما خططه ، اذ أن جامعة القرويين التي كان ينوي تحطيمها تخطت وظيفتها الاجتماعية الى القيام بدور طلائعي في الحركة الوطنية ، (فمن طلبتها) ومتخرجيها كان الدعاة ينتشرون لبث الفكرة الوطنية ، والتبشير بها ،

---

(19) ستوضح بتفصيل عند دراستنا لحياة عبد الله كنون في الفصل الاول من الباب الاول من هذا البحث .

(20) انور الجندي : الفكر والثقافة ،،، ص 169 .

(21) الشيخ محمد رضا الشبيبي الحنفي : الامثال البغدادية ج 1 ، ص 1 .

أو تكوين الحلقات السرية في البوادي والجبال والصحاري والقرى النائية التي لا يستطيع غير ابنائها الدخول اليها ، متعرضين للسجن والضرب والاضطهاد والقضاء على مصالحهم ومستقبلهم) (22) ، فانطلق مشعل الحركة الوطنية يتوهج ويأتلق متحديا الاستعمار واذنابه ، مواجها من يحاول شل الايدي عن الحركة ، وتكميم الافواه وعصب العيون ، وعد الخطوات غدوا ورواحا بقوة واباء .

وكان أول ما قام به أن سافر وفد يوم 26 غشت 1930 بعد اعلان الظهير البربري حاملا عريضة تتضمن أهم المطالب التي تشكل معارضة قوية لاهداف الظهير البربري (23) وهي :

- توحيد برامج التعليم في سائر المدارس ، سواء في المدن أو في القرى .
- تعميم اللغة العربية ،
- تعميم التعليم الديني والاسلامي .
- احترام اللغة العربية في الادارات والمحاكم .

ويبدو ان الحملة المسعورة التي كانت تقوم بها فرنسا لتشويه شخصية الانسان المغربي بمحاربة الدين واللغة والثقافة ، والرعبة التي حامت تحتدم في دواخلها في رؤية المغربي مسلوب الثقافة ، دائم الشخوص في الفضاء كأنه يبحث عن اشياء افتقدها ، لان رسالتها (في المغرب يمكن اعتبارها فريدة من نوعها ، فهي تقوم أولا على تزييف تلك الاسطورة التي تقول : « انه لا أحد يستطيع أن يغير الشخصية المغربية لانها أقوى الشخصيات في افريقيا » تقول يبدو أن هذه الحملة المسعورة دفعت الكثيرين من ذوي العلم والفكر الى مواجهتها مواجهة واحدة ، وذلك عن طريق القيام بحركة تعريف وبعث للثقافة المغربية،

فاهتم عبد الله كنون باماطة الحجاب عن الادب المغربي القديم - الذي يمثل وجها من وجوه حضارة المغرب الفكرية والحضارية الضاربة في أعماق التاريخ - بتأليفه « النبوغ المغربي في الادب العربي (24) .

كما الف المرحوم محمد بن العباس القباج كتابه (الادب العربي في المغرب الاقصى) ، ترجم فيه ، وعرف بالادباء والمفكرين المغاربة المعاصرين ، وهو كتاب نفيس حقا ، واذا جمعناه « بالنبوغ » فان عملا تكامليا يهدف التعريف بالادب المغربي - قديمه وحديثه - سيمثل أمامنا دونما شك .

ونخلص الآن للحديث عن الادب المغربي ، أو بعبارة أكثر دقة وايضاحا ، عن الثقافة المغربية على عهد الحماية ، لان لها ارتباطا وثيقا ببحثنا ما دام عبد الله كنون قد تلقى ثقافته وظل الاستعمار مبسوط على المغرب .

ونبادر - منذ البدء - لنسجل اختلافنا مع « فرانز فانون » (25) الذي يقول : (ان الوضعية الاستعمارية توقف الثقافة الوطنية ، فليس من الممكن الحديث عن ثقافة وطنية ، أو عن حياة ثقافية وطنية ، أو ابداع ثقافي ، أو تحول ثقافي في اطار التسلط الاستعماري .

فالثقافة الوطنية تحت السيطرة الاستعمارية مراقبة بشكل منظم) ، ونقرر أن في هذه القولة جانبا من الصواب ، وجانبا ثانيا من الخطأ .

فأما أولهما فلقد بيناه آنفا ، وذكرنا بأن الاستعمار يسعى الى محاربة الثقافة الوطنية ، ويهدف الى محوها ، وتدجينها للسير في ركابه ، وثانيهما ان الصفوة النابهة ، والنخبة المثقفة في المجتمع تقف في وجه الاستعمار ، وتعمل بكل قوتها وجهدها على ابراز تلك الثقافة ، وتجذيرها محافظة منها على تراثها الرافد الاول لشخصيتها الذي يعمل المستعمر على طمس معالمها واقبارها (26) .

---

(22) محمد ابراهيم الكتاني : دعوة الحق عدد 4 سنة 4 يناير 1961 ص 41 .
(23) عبد الكريم غلاب ،، تاريخ الحركة الوطنية ص 75 .
(24) سنفصل الحديث عنه في مكانه من هذه الدراسة .
(25) معذبو الارض ص 178 ، ونقلا عن الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية للدكتور ابراهيم السولامي ص 47 .
(26) نشير الى أن أقوى برهان على بطلان ادعاء « فرانز فانون » هو الادب الفلسطيني الذي رغم القمع المتغطرس الذي تمارسه اسرائيل ضده استطاع أن يغدو أدبا خلاقا مبدعا ، يحبل بالعطاءات والتحولات .

وفي المغرب (استطاعت السلفية المغربية رغم اتجاهها المحافظ ، ان تساهم في تطوير الافكار ، وخلق وعي جديد ، وهكذا لمعت اسماء شيوخ مغاربة مثل ابي شعيب الدكالي ، ومحمد بن العربي العلوي وغيرهما) (27) .

لقد كان للسلفية دور خطير في بعث الثقافة المغربية ، وتخليصها من الجمود الذي كان يخيم عليها، فدعت الى التلاقح الثقافي ، والى الاستفادة مما انجزه الغرب استفادة تتواءم ومقوماتنا ، وتتلاءم وشخصياتنا، فنقبل الجيد بعد عرضه على محك البحث ومناقشته فوق طاولة التشريح ، ونلفظ ما لا يسوغ لنا ، ولا يتماشى مع مبادئنا .

وهذه خطوة مهمة قامت بها السلفية بعد فشل الارساليات التي بعثها المغرب الى أوربا للبحث والتحصيل ، ولهذا الفشل اسباب : أولها أنه (لما ورد على المولى عبد العزيز بعض المتعلمين من تلك البعثات ـ وقد أتموا دروسهم ـ لم يجعل لهم قيمة ، ولم يقدر لهم قدرا ، والقاهم في زوايا الاهمال فضاعت معارفهم ، وخسرت صفقة المغرب) (28)، وثانيها عدم اهتمام الناس بهذه الارساليات ، ربما لانهم كانوا يخشون بعث ابنائهم الى اوربا مخافة أن يمتد اليهم الكفر والزندقة ظنا منهم ان كل علم غير علوم الاسلام هو علم كافر ، وفي ذلك ايضاح لما ترسب في عقولهم من دعاوي الطرقيين المنحرفين الجاهلين الذين كان الناس واقعين تحت مغناطيس تاثيرهم قبل قيام السلفية بتبيان بطلان دعواهم ، وضلالهم المتجلي في اشاعة المعتقدات المهترئة ، وبث الخرافات الاسطورية التي ترسبت في بواطنهم ، وحفرت اخاديدها في ذاكراتهم. فلذلك (ما كان الناس يبعثون اولادهم لاوربا من رغبة) (29) ، وثالثها ان ما كان يدرسه طالب البعثة لم يكن دسما وقويا فهو الى التكوين اقرب منه الى الثقافة ، (واكثره فيما يتعلق بالفنون العسكرية) (30) ورابعها وهو تتمة للاول (انه لم يقع التفكير على ما يظهر في فتح مدارس لهؤلاء المتعلمين ليعلموا فيها ما حصلوا عليه من المعارف الجديدة لغيرهم من المواطنين حتى تعم الفائدة بذلك ، وينتشر العلم على أوسع نطاق) (31) .

ولئن كانت مهمة السلفية تقتصر على ايقاظ الهمم الخائرة ، واستنهاض العزائم الهامدة ، وتقوية النفوس الكليلة ، وشحذ القرائح المجدبة ، وخلق مجال حيري خلو من الزوائد والشوائب للفكر والثقافة ـ وان ظلا مشدودين الى الماضي بخيط رفيع ، وذلك امر طبيعي ـ فانها تعد عملا جليلا ، ومهمة سامية نهضت بأعبائها بكل شجاعة ، وامانة تاريخية .

اما التعليم فقد كان محصورا في الكتاتيب القرآنية المتوزعة في المدن والقرى والمداشر ، يدرس فيها القران بطريقة عتيقة صرف تقوم على اعتلاء الفقيه مصطبته ، واشرافه على (الطلبه) الذين يحفظون كل سورة قرآنيه على حدة سواء عن طريق السماع ، أو بواسطة الالواح المكتوبة بـ « الصماق » ، حتى اذا حفظ القران ، « وحذقه » يقيم أهل الحافظ « الحاذق » مادبة يستدعي اليها الاحباب ، ويكون على راسهم الفقيه .

ومن الجلي أنه لم يكن منتظرا من هذه الكتاتيب أن تخرج لنا ادباء نابهين ، أو شعراء نوابغ ، وفي كلمة واحدة شبابا مثقفين يمدون الثقافة الوطنية بدم جديد يسري في شرايينها لينعشها،ويقوم أودها (32).

الا انه قد يحدث الاستثناء الذي يشذ عن القاعدة ، فينبغ « طالب » ليسافر الى كلية ابن يوسف

(27) محمد زنيبر : (الى اين يتجه الادب في المغرب الاقصى) مجلة الآداب سنة 26 ، عدد 3 مارس 1978 ص 7 .
(28) محمد السائح : دعوة الحق سنة 3 ، عدد 2 ـ 1960 ، ص 31 .
(29) محمد المنوني : يقظة المغرب الحديث ج 1 ص 305 .
(30) عبد الله كنون : أحاديث عن الادب المغربي الحديث ص 21 .
(31) نفس المرجع ونفس الصفحة .
(32) لعل رواية (بوتقة الحياة) للبكري السباعي قد سلطت الاضواء الكاشفة على هذه النقطة .

بمراكش ، أو جامعة القرويين بفاس لاستكمال دراسته العليا .

وتبقى الاشارة الى المدارس الحرة التي تعهدتها السلفية بالانشاء والرعاية والحدب (لمواجهة الفرنسة والدفاع عن الدين) (33)ـ وقد بينا ذلك آنفا باسهاب ـ وقد اهتمت هذه المدارس بتعليم تلاميذتها ابجدية القراءة والكتابة ، فقدمت لهم دروسا أولية ، الا أن سنوات الدراسة بها لم تكن تتجاوز السنة الرابعة من الثانوي على أقصى مدى ، وقد بلغ عددها حتى السنة الاولى من الاستقلال ثمانين مدرسة (34) .

وقد أسهم عبد الله كنون بنصيب وافر في هذا المنحنى ، حيث انه أسس المدرسة الحرة المعروفة في طنجة تحت اسم (مدرسة عبد الله كنون) سنة 1936 ، ومنها تخرجت أجيال جدت وثابرت فنبغت.

ومرة أخرى ، فانه من المستبعد ان يدلي متخرجو هذه المدارس بدلوهم في ارساء ثقافة وطنية اذا اقتصروا على مالقنوا في تلك المدارس ، ولم يحاولوا تجاوز ذلك بالقراءات الخاصة ، والعمل العصامي المستديم الذي يجد في ما تنتجه المطابع في الشرق خير زاد تعب منه المعرفة ، وينهل منه العرفان .

وقد لعبت المجلات (الرسالة والمقطم والمقتطف والهلال ،،، الخ) دورا خطيرا في تحقيق التواصل الثقافي ، والالتحام الفكري بين المشرق والمغرب ، فكنت ترى الشباب يتعاورون فيما بينهم هذه المجلات، ويعقدون حلقات وندوات لمناقشتها حتى يرسب فى الاذهان جيدها ، ويرسخ في النفوس قويمها .

وقد ساعدت هذه المجلات قارئيها على اقتحام عوالم اخرى أكثر فساحة ورحابة تموج بالجديد ، وتحبل بالمغاير ، وتنضج بالتحولات التي تتحدى الثوابت ، فلم يعد الدرس وقفا على القديم ، وحصرا على ثقافة الاعادة والتكرار التي تدور ضمن عالم مغلق ، محدد قبليا ، لا حركة فيه ، (35) بل تجاوز لذلك ، وسعى الى قراءة جديدة تتباين بتباين الكتاب ونزعاتهم ، ومناهجهم الشديدة الارتباط بثقافتهم .

كما أن الاهتمام بالآداب الاجنبية أصبح طاغيا فترجمت روائع عن الآداب الفرنسية والانجليزية (روسو ، ديكارت ، سانت بوف، تين ، شكسبير ، باون ، كولردج ، شلي ،،،)

وعلاوة على ذلك ، فقد قدمت تلك المجلات أسماء جديدة عملت على تأسيس الثقافة المعاصرة وبنائها ، فقرىء الثالوث الادبي في مصر العقاد وطه حسين ومحمد حسن هيكل ـ على حد تعبير سعيد حجي(36) واطلع على قصائد البارودي وحافظ وشوقي ومطران،، الخ ، فتمكن القوم من رصد جيل آخر حديث مخالف للقديم ـ بطريقة أو بأخرى ـ في اتجاهاته ونمط ابداعاته ، وعرفوا آدابا أجنبية كانوا يجهلونها جهلا مطبقا (37) ، أملا فى القبض على (الحلقة المفقودة فى النهضة الفكرية بالمغرب) (38) .

وتأسيسا على ما سبق ، تتضح لنا الاهمية الحساسة التي خولت للصحافة لتقوم ببعث الثقافة ، ونشر الادب وترسيخ الوعي ، وبناء أعمدة حضارة فكرية حديثة من المشرق الى المغرب في تواصل روحي ، وتناغم ثقافي وفكري .

لكن سؤالا مهما يظل يطن فى الذاكرة متسائلا بالحاح ؟

1 ـ ما مدى تأثير هذا التواصل على الكتابات المغربية ؟

2 ـ وما هي المهام الثقافية التي حققتها الصحافة المغربية ؟

أما عن التأثير ، فلا مندوحة من الاقرار بوجوده، لان محمد العربي العلوي وأبا شعيب الدكالي يعدان

(33) ابراهيم السولامي : الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ص 42 .
(34) انظر نفس المرجع ، صفحات 43 ـ 44 ـ 45 .
(35) أدونيس : زمن الشعر ص 22 ، (بتصرف)
(36) أبوبكر القادري : سعيد حجي ص 73 .
(37) من حديث أجريناه مع عبد الله كنون .
(38) أبوبكر القادري : سعيد حجي ص 65 .

امتدادا لمحمد عبده في نشر السلفية ، والاخذ بالاسلام من مظانه الاولى (39) .

وفي الادب نؤكد بأن التلاقح الفكري والثقافي بين مشرق الاسلام ومغربه ليس جديدا ، اذ انه موغل في القديم ، ويعتبر في نظرنا تلاقحا متبادلا ، اي تلاقح تأثر وتأثير ، ارسال واستقبال ، أخذ وعطاء ، وان كره المشارقة الاقرار بهذه الحقيقة الصارخة التي تطل عبر امتدادات الزمن التاريخي ملوحة بأصالتها ، وتفرد نموذجها ، وثبوت خصوصيتها ، وعدم استنساخها لما كان في المشرق ، وسعيها الى اعطائه أبعادا أخرى بحثا عن التجذير والاخصاب .

وان المغرب في تعامله الثقافي مع المشرق لم يكن أبدا أسير الانبهار ، وسجين التقليد والاتباع ،، بل اننا نؤكد انه في العهد الذي كان الانحطاط ـ بشتى مظاهره ـ يسحب ذيوله على الشرق قدم المغرب نبغاء عديدين ساهموا في بلورة الثقافة ، وامدادها بنفس جديد آخر ،، ولعل السجلماسي الناقد الفذ أقوى مثال على ذلك .

وعلى هذه الشاكلة استمر تعامل المغاربة مع المشارقة ونتاجاتهم ، فلقد كانوا متتبعين لما يضطرم به الشرق من فكر وأدب ، مستوعبين وهاضمين له ، الا انهم ـ على المستوى الابداعي ـ كانوا يصدرون عن طبيعة مغربية ، وذات مغربية ، تتأصل جذورها في تربة مغربية ، وتعبر عن فكر مغربي ، وتصور شخصية مغربية بتعبير مغربي ، ومنهج مغربي يستمد منهجه وحضوره من أدب مغربي يضرب في أعماق المرابطين والموحدين والعلويين .

ان القارىء المغربي المتتبع للمجلات الثقافية الشرقية كان يقرأ لطه حسين، ويطالع للعقاد،ويسافر مع شوقي في رحلة ابحار الى مدن الابداع ، ويعود مع المازني الى حلبة المناجزة والعراك ، ويظل متمليا ومتمعنا في كل ما قرأه وتصفحه ، أي ان قراءته لم تكن تلقائية وعفوية واستقبالية فحسب ! بل كانت تنم عن توجس فكري تدعمه ذائقة نقدية ، وحس يتميز باحتمال القبول أو الرفض .

أما الصحافة فقد لقيت كبير عناء من اجل تثبيت اقدامها ، والحصول على ترخيص لها بالكينونة من قبل الحماية الفرنسية ، فلقد رفضت طلبات عديدة ترغب في انشاء مجلة ، أو اصدار جريدة ، ودليل ذلك ما حدث لسعيد حجي عندما رغب في اصدار مجلة « مراكش » الفكرية ، والرفض الذي قوبل به ، والاحتجاج الذي وجهه الى المقيم الفرنسي « بونسو » (40) ، ولجنة المطالبة بالصحافة التي تأسست عقب ذلك ، والمكونة من سعيد حجي ، وابراهيم الكتاني ، ومحمد اليزيدي ، وقد وضعوا لمشروع فتح هذا الباب بيانا يتضمن اربعة وعشرين بندا (41) .

ونشير ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ ان جرائد وطنية تمكنت من الصدور رغم محاولات المستعمر الاحباطية ، ونذكر منها :

1 ـ « الحياة » ويديرها الاستاذ المرحوم عبد الخالق الطريس .

2 ـ « عمل الشعب » ويديرها الاستاذ المرحوم محمد بلحسن الوزاني .

3 ـ « المغرب » ويديرها الاستاذ المرحوم سعيد حجي ، وهي غير مجله « المغرب» التي كان يرأسها محمد صالح ميسه الجزائري .

ومن باب الانصاف أن نشير الى أن هذه المجلة (المغرب) قدمت خدمات جلى للثقافة المغربية ، ففضلا عن المقالات والابحاث المتنوعة التي كانت تنشرها ، فقد كانت تولي عناية خاصة للادب والنقد ، اذ ان صفحاتها عرفت معارك نقدية حادة خاصة بين محمد بن العباس القباج (ابن عباد) والشنقيطي ، وهي معارك اكسبها رونقها أسلوب القباج الساخر ، و (لذعاته القاسية) ، وردود الشاعر الشنقيطي المسنونة التي تعتمد أسلوبا دراميا حادا ، ولغة حبلى

---

(39) حري بنا أن نشير الى ان محمد كنون جد عبد الله كنون كان أول داعية للسلفية ، ولكننا قدمنا محمد العربي العلوي وأبا شعيب الدكالي(لموافقتهما لمقتضى الحال) مادمنا بصدد الحديث عن التأثير المشرقي في المغرب .

(40) ابو بكر القادر(: سعيد حجي ص 28 .

(41) نفسه ، صفحات 31 ـ 32 ـ 33 ـ 34 .

بالنتوءات تطفح بالنار ، وتقدح بالشرر ، كما حدثت خصومات نقدية أخرى ليس هذا محل ايرادها .

وتبقى الاشارة الى أن رحى الخصومة كانت تتمحور حول ثنائية القديم والمحدث ، فابن عباد يمسك بمعوله ليهوي به على صرح شعر النمطيـة الجاهزة ، والقالبية المجترة ، ويقوض دعائم شعر الكشاكيـل اللغوية ، والمحاكاة والكلمات المصففة ، لان (ادباءنا وقفوا ، بينما الحياة تقدمت خطوات ، فاستحـال وقوفهم الى جمود ، بل الى نوم وتلاش ، وخير لهم أن يفسحوا المجال أمام عقولهم ، ويدركوا هاته الحياة التي تشاء اليوم ان نخترقها ونعبر عنها ، ونأمل فى الحصول على غاية سامية منها ، كما ارجو أن يفهموا جيدا أننا في دعوتنا الادبية لا نرغب في الجديد لانه جديد ، ولا نزيف القديم لانه قديم ، بل لا نتطلع ، ولا ننشد الا أن نمثل الحياة خير تمثيل فى انتاج ادباء المغرب كما قال مرة محمد بن العباس القباج (42) .

هذا الجمود الذي كان مخيما على الادب المغربي كاد يدخله متحف القرون الوسطى (ولم لا نكون متحفا؟ وكل شيء لدينا يمثل الماضي اغرب تمثيل ، ولا يتصل بالحاضر في شيء ، ولا يعبر عن اي اتجاه مـن اتجاهات المستقبل ،، فالماضي الذي يمثل ليس هذا الماضي الحافل ، ولا تلك المرحلة التي اجتازتها أمتنا، وهي تعدو وراء الرفعة ، وتصبو الى المجد ، بل هذا الماضي ، وتلك المرحلة التي ارتخت اعصاب الامة المغربية فيها ، واصبحت جامـدة يسيرهـا التيار ، وتتلاعب بها الامواج ، (43) كما هتف سعيد حجي .

ان هاتين القولتين كافيتان ـ في نظرنا ـ لاعطاء خارطة للفكـر المغربـي ـ وقتذاك ـ تكفـي لتعرية تضاريسه ، والرحيل عبر تلافيفه لاستكناه أغواره ، وللبرهنة على ان القداسة التي كانت يتسربل بهـا القديم ، والتهيب الذي كان يقابل به قد امحيا واصبحا في خبر كان ، لان الادباء المغاربة ـ كمـا يبدو ـ تجاوزوا حدود الصراع بين القديم والمحدث ، ـ كما حدد في الاطار العباسي ـ باعطائه بعدا آخر يتسم بالرغبة في مواكبة التطور ، ومجاراة التمدن ، وتلقيح الفكر والادب ، والخروج على قانون الطوطم ، والشكل الاصح علما .

ونظن أن شعراء مثل عبد الله كنون ، ومحمد المختار السوسي ، ومحمد العثماني ، وعبد المالك البلغيثي ، ومحمد القري ، وعلال الفاسي ، ومحمد بن ابراهيم ، ومحمد الحبيب الفرقاني ، وعبد القادر حسن ، ومحمد الحلوي ،، الخ قد اعطـوا للقصيدة المغربية نفسا جديدا ، وأسعفوها بدم فوار يغني في شرايينها ، فيكسبها نضارة وبهاء ، ويزيدها عمقـا واشراقا .

ولا مشاحة من التذكير بأن معظم المفكريـن والادباء المغاربة كانت تتوزعهم اختصاصات عديدة وتتقاذفهم اهتمامات ومهمات جسيمة ، فلقد كان بعضهم شاعرا يحمس الشعب ، وخطيبا يوعيه ، ومرشـدا يربيه ، وسياسيا ينخرط في التنظيمات وكاتبا يدبج المقالات للدفاع عن مصالح بلاده ، ومن بين أولئك القوم كان عبد الله كنون .

ومن هنا يبتعد كثيرا عن العلمية ، والمنطقية ، والموضوعية ، والسلامة الرؤيوية ما ادعاه الدكتور سيد حامد النساج من أن الحديث عن تلك المرحلـة يكاد يقترن بسيل لا متناه من النعوت والاحكام التي تعني كلها الفراغ، والعقم، والابتـار ، والهروبية(44) لان فى حكمه هذا شيئـا غيـر قليل من الغلـو والغلواء ، ومجانبة الصواب ، ومجانية اصـدار الاحكام :

1 ـ يصف المرحلة (مرحلة ما قبل الاستقلال) بالفراغ ، وهي لم تكن كذلك ، والابداعات المغربيـة التي خلفتها تلك المرحلة أكبر شاهد على ذلك ، وخير ترجمان للمشاركة الصميمة التي كانت بين المبدع والجمهور .

---

(42) احمد زيـاد : لمحـات ،،،، ص 61 .
(43) أبو بكر القادري : سعيد حجي ،،، ص 20 .
(44) سيد حامد النساج : الادب العربي المعاصر فى المغرب الاقصى ص 87 .

2 ـ ينعتها بالعقم ـ والتاريخ ينكر ذلك ، فهي ـ وان تميز ادبها بجنوحه الى التقليد « الجيد » (45) لم تكن مرحلة عقم ، بل كانت مرحلة مواجهة وتحد ، ومحافظة على الشخصية المغربية ، واصالتها مـــن الضياع والتغريب .

3 ـ يقول عنها انها تتسم بالابتسار ، وتظل هذه اللفظة في حاجة الى توضيح وتدقيق أكثر .

4 ـ وفي نهاية المطاف يسمها بالهروبية ، وهنا نتساءل : ماذا يقصد بهذه « الهروبية » يعني التملص من مواجهة المستعمر ؟ أم يرمي الى أن الادب لـــم ينزل الى المعركة ؟ ان علال الفاسي ، وعبد اللـــه كنون ، ومحمد الحبيب الفرقاني ، ومحمد المختار السوسي ، ومحمد الوديع الاسفي ... الخ ـ وقـد ذاق بعضهم مرارة المنافي ، وتجرع منغصات السجون والزنازن ـ لاقوى دليل يفند هذه « الهروبية » التي يحاول النساج الصاقها بتلك المرحلة ، فمن أين اتت، اذن ، هذه الهروبية ؟ يبقى السؤال مطروحا .

واجمالا فاننا نشير الى أن الفكر المغـربـي ـ وعندما نقول الفكر ندمج فيه بطريقة آلية الادب ـ كان جنوحا الى القديم « الجيد » حرصا منه على تراثه من جهة ، وتاثرا بالسلفية التي داهمت ميدان الادب من جهة ثانية ، ولا يعني ذلك ان الاجماع قد وقع على

ضرورة تفضيل هذا المضمار ، بل لقد شهدت الساحة الثقافية صراعات نقدية حادة وجادة ، كل منها يسعى الى طرح وجهة نظره ، والمنافحة عنها بكل ما اوتي من جهد ، واننا نظن ان مجرد الصراع الثقافي هو ظاهرة صحية تساهم في تطور الادب وازدهاره ، لان تبادل الآراء ومحاولة طرح البدائل ، والنقاش المثمر، والحوار الجاد معالم تعبد الطريق ، تقتحم الابواب الموصودة ، وتقتلع الطحالب والطفيليات لتعطي للادب مجالا أوسع وأرحب ، وأفقا أغنى واخصب في مناحي العطاء ، والخلق والابداع .

ـ يـتـبـع ـ

---

(45) التقليد الجيد فى نظرنا هو التقليد الذي يتم عبر خصوصيات ومميزات المقلد ، ومثال ذلك ما حبلت به سوس من محاكاة الآداب العربية فيعصرها الجاهلي حيث القوة والجزالة والمتانة تمشيا مع البيئة التي كان يعيش فيها السوسيون، وهي تشبه الى حد كبير بالبيئة الجاهليـــة بصحرائها وواحاتها ونخيلها ، وبناء على ذلك تسقط دعوى المشارقة القائلة بان المغرب يعتبر في نهضته الفكرية عالة على النهضة المشرقية.



الإعلام الإسلامي

منطلقات وأهداف

2

. للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

ومن اجل ان نهيء المناخ الملائم والتربة الخصبة للصحافة الاسلامية فتطلع لنا فى ليل الضلال الاعلامى اصباح الهداية سخية كريمة وتنبت فى بلقع الهجير دوحة الخير مثمرة سخية وجب انشاء ما يلى :

(1) معاهد وكليات للصحافة الاسلامية وهى ستضطلع بتكوين الرجال الاعلاميين الاسلاميين الماهرين تكوينا متينا فى مجال الدعوة وفى مجال الاعلام الحديث مع التكوين المتين ايضا فى اللغات الحية ولغات الشعوب الاسلامية وبذلك نكون قد اعددنا اطرا اعلاميا اسلاميا تنهض باستراتيجية العمل الاعلامى الاسلامى على الوجه المطلوب واحتياطا مما يمكن ان يبدر من الرجال الاعلاميين غير الملتزمين من اساءة الى الاسلام بقصد أو بدون قصد .

(2) وكالة اسلامية عالمية للانباء وينبغى ان تمولها الحكومات الاسلامية على اساس ان تتميز بالاستقلال التام عن كل هيمنة معينة وبعبارة اوضح ان تتميز بالاستقلال التام عن نفوذ الحكومات لتعمل فى جو من الحرية وتكتسب ثقة المسلمين وينبغى ان يكون مقرها الرسمى فى مكة المكرمة قبلة المسلمين ويكون لها فروع فى كل عاصمة اسلامية وتقوم هذه الوكالة بجمع الاخبار على مستوى العالم الاسلامى والعالمى وبتوزيعها على كل فرع من فروعها وتقوم كذلك — وهذا هام — وهام جدا — بتغطية اخبار المسلمين فى جميع الارض وتسليط الاضواء عليها وفضح ما يبيت من تآمر على امة الاسلام وكشف ما يدبر من تعتيم اعلامى ضد الاحداث الاسلامية فى العالم .

(3) قمر صناعى اسلامى تستعمله الدول الاسلامية فى الاتصالات السلكية واللاسلكية وبواسطته يشاهد اهل الارض مثلا برامج تلفزيونية اسلامية وشعائر الله فى الحج واستطلاعات عن البلاد الاسلامية فى انجازاتها الحضارية وغير ذلك .

(4) رابطة الصحافة الاسلامية يكون مركزها الرسمى فى مكة المكرمة للاعتبار السابق ويكون لها فروع فى كل عاصمة اسلامية ويجب على الحكومات الاسلامية ان تساعدها ماديا بعيدا عن كل هيمنة او مساومة ولا ريب ان مهمة الرابطة تنحصر فى القيام بأعباء الصحافة الاسلامية فى انحاء العالم الاسلامى تلك الاعباء المتمثلة فى النظر فيما يعترض صحافتنا من عراقيل وتذليل الصعاب لها ماديا وأدبيا .

وسعيا الى استقطاب ما يمكن تصوره من

دعائم ترسو عليها قواعد الاعلام الصحافى الاسلامى ليشق طريقه نحو افاق السيادة فانه يتطلب وضع مشاريع صحافية عديدة ومتنوعة تنوع اهتمامات الناس ومتباينة تباين مواهبهم لتغطى الاحتياجات ولذلك اقترح :

(1) صحفة اسلامية سياسية وتهتم بالاخبار اليومية الداخلية والخارجية وتهتم بالتعليقات السياسية على الاحداث الجارية فى العالم وتقدم الحكم الاسلامى فى كل ما تتناوله من قضايا السياسة على مستوى العالم الاسلامى ومستوى العالم وتنتقد الاوضاع السياسية المخالفة للتصور الاسلامى سواء فى الداخل أو الخارج وتواجه الظلم بكل أصنافه مما قد يفرزه الاستعباد السياسى وهكذا .

(2) صحفة اجتماعية وتحتفل بالدراسة الاجتماعية والقضايا المجتمعية من تخلف وتشرد وتسول وانحراف وفقر وغيره وتحليل ذلك تحليلا علميا واعطاء الحلول الناجعة على ضوء ما يقترحه الاسلام من احكام فى المسالة الاجتماعية التى تحتل فى منهجه الخالد مساحة هامة جدا ولا نبالغ اذا قلنا انها شغله الشاغل لكونها تتعلق بالانسان والانسان عنده خليفة الله فى الارض سخر له الكون وأمره بأن يستغل مواهبه ويمارس حريته ويثور على الظلم الاجتماعى قال تعالى « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (31) .

(3) صحافة اقتصادية وتضم فى رحابها شؤون الاقتصاد المختلفة فى العالم والسياسة المالية للحكومات الاسلامية وتنقد منها ما هو على طرق نقيض مع الاسلام وتتناول قضايا المصارف والبنوك ومشاكل الربا ونظام الشركات والتأمين وغير ذلك مما يؤلف الآن الجهاز العصبى فى حياة الامم وينبغى الى كل ذلك ان تدلى صحفتنا الاسلامية الاقتصادية برؤيتها الاسلامية فى كل هذه الامور وتدعو الى جعل الحياة الاقتصادية فى الوطن الاسلامى والمحيط البشرى كذلك حياة اقتصادية اسلامية لانها تقوم على العدل التام فى اكرام الانسان .

(4) صحافة اسلامية علمية وتتناول قضايا العلم فى شتى فروعه المختلفة وتجعل قوانينه مسرحا لعرض القدرة الالهية وتحاول ربطه بما جاء فى كتاب الله تعالى من حيث مظاهر السنن الكونية المحكومة بالمشيئة الربانية وعلى الا يتعدى ذلك التنبيه واثارة الملاحظة اذ ان كتاب الله تعالى ليس كتاب رياضيات وفزياء وكيمياء وطب وانما هو كتاب هداية وارشاد وتعليم منهج للحياة فاقتحام القرآن الكريم فى البحوث العلمية التى تتطور يوما بعد يوم يعرضه الى تكذيب الحاقدين ويكفى القرآن الكريم انه يلفت الانظار وينبه الاحساس ويثير التامل وعلى الانسان أن يجد فى البحث والنظر والغاية طبعا هو انه لا يحجر على العقل البشرى ويترك له الحرية فى ارتياد آفاق العلم والمعرفة ولو انه ذكر بالطريقة العلمية والبحث النظرى قوانين المعارف المتعددة لوقف العقل البشرى عن الحركة وهيمن عليه العقم وهذا ليس من رسالة الاسلام ابدا .

(5) صحافة اسلامية ادبية فنية وهى تعالج الفن الاسلامى فى كل جوانبه شعرا وقصة ومسرحا وخاطرة وتتميز خصائصه فى انه يحتفل بكل مظاهر

---

(31) سورة النحل 12 و 13 و 14 .

الوجود تبعا لشمولية التصور الرباني تكون كلـه لـذلك يضـم في معـايـيه شتى مشـاهد الحيـاة في فقـرنفلـة وهـي تستقبـل ضيـاء الدنيـا ومـن البـحـر وهـو في مـده وجـزره . ومن الشمس وهي ترسل اول شعاعها الى الارض الى الانسان في نقاوة سريرته يمارس انسانيـه ويتعالى عن التعلق ويتملى لحظة الاستعلاء الايماني الى الانسان في مباذله يمارس حيوانيه تهيمن عليه لحظة الهبوط في غيبة الايمان بالله تعالى الى الانسان المعذب يسومه الظلم السياسي سوء العذاب ويعذبه الفقر والجوع اشد العذاب وهكذا .

ويمكن ان تصدر في هذا الصدد مجلـة تخص بنشر الشعر الاسلامي القديم والمعاصـر ونشـر دراسات نقدية عليه ومجلة تخص بنشـر القصـة الاسلامية ونشر دراسات نقدية عنها ومجلة تخص بنشـر المسرحية الاسلاميـة ونشـر دراسـات نقدية عنها ويمكن ان تصدر مجلات تحوي كل اصناف الفن الاسلامي فالمسالة اولا واخيرا ترجع الى ظروف العمل ومدى استعدادنا في تحقيق امثال هذه المشاريع الهـامـة

(6) صحافة اسلامية نسوية تعالج قضايا المراة في الوطن الاسلامي وفي كل بقاع المعمور وتكشف عما خوله الاسلام للمراة من حقوق وضمانات لصيانـة حياتها عجزت عن تحقيقها كل القوانين وتكشف كذلك عما يهدد الاسرة المسلمة من كوارث اجتماعية وعرض وجهة نظر الاسلام في القضاء عليها .

من بين ما يمكن أن تتولاه صحافتنا الاسلامية النسوية في عملها نحو تحرير فتياتنا مـن الخلاعـة والتبرج والدعوة الى التزام اللباس الاسلامي ووضع تصميمات له تنشر صورها على صفحاتها كنمـاذج تحتـذى .

ويجدر بها أن تعقد صلات بالمجلات النسويـة في العالم وتتفق معها على أن تخصص لها يعنـى هذه المجلات قسما من حيزها تعرض فيه الازيـاء الاسلامية واعتقد ان هذا سيكون له اثر واضح في اقناع فتياتنا اللواتي لا يزلن تحت تاثير عقدة الانبهار بحضارة الشعوب بالاحتجاب كما امر الله تعـالـى وحتـى تكـون لهـذا النـوع مـن الصحافة آثارها الطيبة وشهرتها الواسعة فانه يجب أن تحرر بلغات الشعوب الاسلامية واللغات العالمية الحية .

(7) صحافة اسلامية للطفل وتقدم للطفل المسلم ما يحبب اليه دينه ويشحن شعوره بالتصور الاسلامي الحق للانسـان والحيـاة والكون تستحث بذلك استعداداته الفكرية ومثريا طاقاته المتعددة ومنميـا قدراته العقلية وينبغي ان تحرر بلغات الشعـوب الاسلامية واللغات العالمية تعميما للفائـدة وتوسيعا لنطاق هذا النوع من الصحافة . ومما يجب ان يقدم في صحافتنا الاسلامية هذه للطفل المسلم العبادات وبعض المعاملات والتاريخ والفن الاسلامي الطفولي.

(8) صحافة اسلامية اذاعية وتتولى نشر ما تذيعه الاذاعة الاسلامية من انتاج في كل مجال كمـا تتولى نشر اهم ما يذاع من انتاج في الاذاعات الاسلامية الاخرى ومتابعة اهم ما تذيعه الاذاعات الجاهليـة من احاديث تحارب الاسلام ونشره سمعته بجانب ما تعلن عنه من برامج متعددة بتواريخها وساعاتها.

(9) صحافة اسلامية تلفزيونية وتتولى ما يقدمه التلفزيون الاسـلامي من انتاج في كل مجال وتعمـل بالاضـافة الى هذا على نشر اهم ما يقدمه التلفزيون من انتاج في باقي البلاد الاسلامية وتحاول ان تتصدى لما تثيره تلفزيونات جاهلية عن الاسلام من بهتـان بجانب ما تعلن عنه من برامج مختلفة بتواريخهـا وساعـاتهـا .

(10) صحافة اسلامية سينمائية وهي تقوم بنشر الفلم الاسلامي وتقديم المضمون الكامل له وتقديـم دراسات نقدية عنه من حيث محتواه وتقنيته وتحاول هذه الصحافة ان تقدم لقراء المسلمين دراسات نقدية اسلامية عن الفلم الجاهلي وموازنته بالفلم الاسلامي.

وسائل اعلامية اسلامية مساعدة :

(1) المسرح :

ان المسرح المعاصر بكل اتجاهاته ان هو الا مرآة تمثل الفعاليات الحضارية للقرن الذى نحيا له وتمثل التحولات الانسانية فى جميع مناحيها وهو جهاز من أجهزة الاعلام لكونه يعبر عن رؤية الفن حول ما يؤمن به من قيم شتى على نحو ما نجد عند كبار المسرحيين مثل المسرحى الناقد الالمانى برتولدبريشت 1898 — 1956 فى مسرحيته دائرة الطباشير وعلى نحو ما عند كتابنا المسرحيين مثل توفيق الحكيم فى مسرحياته العديدة .

او ليس من الواجب على الفن الاسلامى ان يأخذ مركزه بين الفنين الجاهليين ليعرض هو كذلك رؤيته الاسلامية الفذة التى تتميز بالشمولية والواقعية والايجابية مما ينعدم بناتا فى الرؤية الجاهلية .

أو ليس من الواجب عليه ان يسهم بنصيبه الوافر فى هذا الميدان وهو يملك رافدا ثرا غنيا فيطلع على قومه بما يمحح المفاهيم الخاطئة وينشر بين البشر التصور الاسلامى الحق فى شتى ميادين الحياة وهذا يستلزم بالقطع اعداد الفنان المسرحى الاسلامى الماهر الذى يستطيع ان يقدم لنا عملا مسرحيا يطرح فيه المضمون الاسلامى بالصورة التى تخدم الدعوة خدمة جلى حتى يتسنى له ان يدعم المسرح الجاهلى الملىء بالتيه والشرود والصديد سواء فى بلدان المسلمين او فى غير بلدان المسلمين من بقاع الارض .

فالمسرح ينبغى تشكيله على الصورة الاسلامية ليؤدى هو دوره فى تبليغ الفكرة الى البشر ونشرها على اوسع نطاق اذا كان هنالك ما يساعد على دفع المسرح الى الامام وتشجيعه بوسائل الاعلام الاخرى كالاذاعة والتلفزيون والصحافة وكتاسيس معاهد للتمثيل تخرج الممثل المسرحى الاسلامى .

(2) الاشرطة (كاسيت) :

وهى تسهم بدون شك فى مجال بث الوعى الاسلامى والثقافى ويمكن استعمالها فى تعليم القرآن للكبار والصغار وتعليم الحديث الشريف والعبادات والتفسير وغير ذلك مما يكون رؤية ثقافية اسلامية .

(3) انشاء رابطة للناشرين الاسلاميين :

يكون مركزها بمكة المكرمة للاعتبار السابق ومهمتها بكل ما يتعلق بمسألة النشر للانتاج الاسلامى قديمه وحديثه وتدرس كل ما قد يعترض طريق الناشرين الاسلاميين من عقبات مادية وغير مادية وتعمل على تنسيق الجهود بينهم وتوحيد نشاطهم لاجل تحقيق هدف واحد هو بلورة الفكر الاسلامى فى شتى مجالاته بعيدا عن كل تخبط أو تشكيك أو تهور .

وفى هذا الصدد ينبغى ان ننبه الى ان رابطة الناشرين ينبغى ان تلتحق عضوا بالاتحاد الدولى للناشرين بسويسرا لتفيد من تجربته ولا شك ان ذلك سيفسح للرابطة افاقا رحبة للعمل الجاد فى ميدان النشر .

ويجب على الحكومات الاسلامية أن تساعد هؤلاء الناشرين فى عملهم وخاصة منهم الذين لا يملكون راس مال كبير على سبيل السلف بدون فائدة طبعا .

(4) اقامة معارض دائمة للصحافة الاسلامية والكتاب الاسلامى القديم والحديث :

وهذا دون شك سيعمل على نشر التوعية الاسلامية وتحبيب الانتاج الاسلامى للجيل الصاعد على الخصوص .

5) انشاء مكتبات متنقلة للناشئة :

وعملها انها تقوم بالطواف على المدارس الابتدائية والثانوية وتزود الناشئة بالكتب الاسلامية

عن طريق الاعارة ولا تتعدى عملية الاعارة هذه اسبوعين ثم تبدا المرحلة الثانية للاعارة وهكذا وقد عايشت مثل هذا العمل الطيب حينما كنت طالبا فى المدرسة الابتدائية فكانت تزورنا مكتبة متنقلة توزع علينا كتبا فى شتى المعارف والحق ان هذه المكتبة المتنقلة كان لها اثرها المذكور اذ عودت بعض التلاميذ على القراءة وحببت اليهم العلم وخصوصا من لم تكن ظروف البيت تساعده على تحصيل العلم .

(6) اقامة مخيمات اسلامية للشباب :

وعمل هذه المخيمات هو انها تستوعب عددا من الشباب المسلم لتربيته على السلوك الاسلامى اياما واياما حسب الظروف والملابسات وتلقنه التربية الاسلامية بمعناها العام يعنى تلقنه كيفية معاملة الفرد للاخر منذ الصباح الى الليل وفى هذه المخيمات يتلقى الشباب محاضرات واحاديث من طرف المشرفين وغير المشرفين من الدعاة كما يتلقون دروسا فى التربية الاسلامية بمعناها الخاص كدروس فى العبادات والتاريخ الاسلامى ويتلقون كذلك دروسا عملية فى الرياضة البدنية بمختلف انواعها كالسباحة والعدو والتزحلق وغير ذلك .

وفى الحقيقة ان الشباب يزود فى هذه المخيمات بالتربية الاسلامية فى مضمونها النظرى ومضمونها العملى وهنا يقع التلاحم بين النظرية والتطبيق وبهذه الوسيلة يتهيأ لنا انشاء عناصر قيادية اسلامية بين الشباب المسلم ومثل هذا العمل الطيب تقوم به الان الندوة العالمية للشباب الاسلامى اذ اسهمت فى دعم مخيمات شبابية اسلامية ولكن هذا غير كاف فلا بد من توسيع نطاقه وتشجيعه من الحكومات الاسلامية بعيدا عن كل هيمنة ونفوذ .

(7) تنظيم لقاءات اسلامية للشباب الاسلامى :

فى هذه اللقاءات سيتعارف الشباب الاسلامى وهذا من الاهداف التى يتطلع الاسلام الى تحقيقها قال تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » (32) ويتدارسون فيما بينهم امر دينهم وما يعترض سبيل الدعوة من عراقل وما يبيته العدو من مؤامرات لعقيدتهم .

(8) تكوين مكتبة اسلامية :

تحتوى الانتاج الاسلامى قديمه وحديثه يكون مقرها المدينة المنورة قاعدة الدولة الاسلامية الاولى على ان تكون لها علاقة مستمرة بالمكتبات الوطنية الاخرى فى كل دولة اسلامية وتتعاون معها لاجل تنسيق الجهود والنشاط فى ميدان تشجيع الكتاب الاسلامى والترويج له وبحث الوسائل لتحبيبه والاقبال عليه .

(9) تكوين دار اسلامية للترجمة :

تضطلع بترجمة الانتاج الاسلامى الى لغات الامم الاسلامية واللغات العالمية الحية ويكون مركزها باحدى العواصم الاسلامية ومن المستحسن ان تكون لها فروع فى كل عاصمة اسلامية وتتولى الحكومات الاسلامية تمويلها ريثما تشب عن الطوق ويخضر عودها وتقف على رجليها .

(10) تكوين جمعية اسلامية لحقوق التاليف :

ويكون مقرها الرسمى باحدى العواصم الاسلامية ويجدر ان يؤسس لها فروع فى كل الاقطار

---

(32) الحجرات : 13 .

الاسلامية لتسهيل الامر على المؤلفين الاسلاميين وسيكون عملها الاساسى هو السهر على حقوق التاليف الاسلامى ويمكن لهذه الجمعية أن تتعاون مع جمعية حقوق التاليف العالمية والاستفادة من تجربتها وخبرتها .

(11) انشاء وكالة اسلامية للتوزيع :

ذلك ان الكتاب الاسلامى لا يقراه الا الاسلاميون والمجلة الاسلامية تدور فى نطاق ضيق وان مهمة هذه الوكالة ستعمل على توسيع رقعة الكتاب الاسلامى والمجلة الاسلامية بجلعها فى متناول جميع الناس عن طريق شبكة المكتبات والاكشاك وغيرها وبذلك سيتحرك الانتاج الاسلامى فى نطاق واسع .

(12) تاسيس نوادى اسلامية للشباب :

وستقوم هذه النوادى بدور حسن هو استقطاب مجموعة من الشباب المسلم وملء فراغه بما يفيده فى دينه وعقله وجسمه وبعبارة اخرى ان نهيء لهم انشطة اسلامية موازية يملأون بها فراغهم ومن جملة ما يمكن ان يتلقوه فى هذه النوادى دروس عملية فى الرياضة البدنية كرفع الاثقال مثلا وتعليم رياضة الجودو وبتخلل هذه البرامج فترة استراحة يشاهدون فيها عروضا سينمائية اسلامية تشتمل على استطلاعات جغرافية وروايات تاريخية واجتماعية وفكاهية بريئة ويشاهدون أيضا عروضا مسرحية اسلامية وهلم جرا.

(13) تاسيس مدارس اسلامية لينية :

وهى ستتولى تزويد الطلبة بدروس فى التربيه الاسلامية ودروس فى الثقافة الاسلامية والعلوم الاخرى كالرياضيات والفزياء والكيمياء على ان يعطى ذلك بتصور اسلامى صحيح وذاك ما نسميه بالتربية الاسلامية بمعناها العام ويمكن أن يخصص فى هذه المدارس اقسام للاطفال يتعاطون هم كذلك مواد مختلفة بالطريقة التى سلفت وكل هذا من اجل تقوية الناشئة فى الميدان المعرفى والاسلامى فيستطيعون متابعة دراستهم فى المدارس الرسمية فى جو ملائم وبذلك يحصلون نتائج حسنة .

(14) انشاء دار الطباعة الاسلامية :

ويكون مقرها المدينة المنورة قاعدة الدولة الاسلامية الاولى ويجدر ان تؤسس لها فروع فى الوطن الاسلامى وستقوم هذه الدار بطبع الانتاج الاسلامى فقط قديمه وحديثه ويتعين ان تمولها الحكومات الاسلامية ريثما تيفع وتشق طريقها الى الامام .

(15) توظيف الطابع البريدى :

كاداة للدعوة وذلك باستعمال فيه معلومات تتعلق بالسيرة النبوية والتاريخ الاسلامى وباصدار اصناف منه فى المناسبات الاسلامية الكبيرة كفاتح المحرم وذكرى غزوة بدر العظيمة .

(16) توظيفة السكة النقدية والورق النقدى كاداة للدعوة وذلك بالطريقة التى اتبعناها فى الطابع البريدى .

(17) استعمال وسائل الايضاح السمعية والبصرية فى تعليم العبادات :

المعالم الجمالية فى الاعلام الاسلامى :

اود ان اختم هذ البحث بالحديث عن جانب هام له نصيب لا يستهان به فى دفع ركب الاعلام الاسلامى الى الامام وهو المعالم الجمالية فى الاعلام الاسلامى .

هذا الحديث فى الواقع له ارتباط وثيق بموضوع الفلسفة الجمالية ويتطلب ذلك الخوض فى المعتقدات الفلسفية والنظريات الشائكة فى الاصول الجمالية عند الفلاسفة اليونان وعند المفكرين المسلمين وعند المفكرين الاوروبيين ويجرنا الحديث بجانب هذا الى قضية الشكل والمضمون عند نقادنا القدامى والمحدثين وما

دار بينهم من نقاش حول تفضيل احدهما على الآخر كما عند الجاحظ وابن سنان الخفاجى (33) وغيرهما من الذين طلعوا علينا بنظريات جمالية تتعلق بالنص الادبى لذا لا أريد أن أعرج على هذا الموضوع فذلك له مجال غير هذا المجال ومكان غير هذا المكان وحسبى فقط الاشارة مما يوضح المعالم الجمالية فى الاعــلام الاســلامــى .

ان المعالم الجمالية فى حقيقة الامر تمثل اسلوبا خاصا ينهض باثارة الحس الجمالى لدى الانســان ولا يخفى ان اثارة هذا الحس يشيع فى النفس فيضا من البهجــة لانــه يتسال الى اقطارها فيحركهــ بــحــســب تــفــاوت درجــات الــشــعــور والوعى بالجمال وبحسب تميز الفرد عن الآخر فى تجاوبه مع المحتوى المتلقى . ولا شك ان الاســلام دعوة صريحة الى تحريك الاحساس الجمالى لــدى الانسان فالقرآن الكريم تضم آياته الوسيعة المضيئة مشاهد شتى من الجمال التعبيرى يتألق فى رحابهــا الاداء اللفظى فخذ وتنساب عبــر ظلالهــا رفرفات نغمية تؤلف فى تناغــمها لمعجز اجواء موسيقية على غير مثال مسبوق ولن يكون لها قطعا مثال لاحق وهذه المقومات الجمــالية تبــرز المضاميــن القرآنيــة وذلــك ما يشــكل — عنــدى والــلــه اعــلــم — الاعجاز البيانى للقرآن الكريم .

بجانب هذه الاضواء الجمالية التى تفرد بهــا القرآن الكريم فانه دعا الى تملى الجمال الآخر وذلك حين شد الانتباه الانسانى عبر افواج من آياته الى ما فى الكون من معارض الجمال من ذلك قوله تعالى عارضا لوحة من لوحات الطبيعة فى اخراج بديــع ينطق بالربانية فى الابداع « وهو الذى انزل من السماء فاخرجنا به نبات كل شىء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغيــر متشابه ، انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ، ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » (34) .

ومن ذلك قوله تعالى « الذى جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء مــاء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى » (35) .

من اجل هذا كله أيقظ القرآن الكريــم الحس الادبى واللغوى العربى وفتق وعيه للنظر فى معالم الاعجاز البيانى تألق فى صورة غير مسبوقة داعيــة الى تملى الجمال فى أسمى صوره الجميلة الآخاذة .

واذا كان القرآن الكريم قد فتح منافذ الاحســاس البشرى على آفاق الجمال فان السنة المطهرة هــى بدورها لم تأل جهدا فى ارهاف الشعور الجمالــى وتربية الذوق وترويضه على استطابة ما يمتع وينعش يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله جميل يحب الجمال) (36) وقد جاء رجل الــى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الراس واللحية فأشار عليه كأنه يأمره باصلاح شعره ففعل ثم رجع فقال النبى صلى الله عليه وسلم اليس هذا خيرا من

---

(33) أورد الجاحظ نظريته عن المعنى واللفظ فى كتابه (الحيوان) ج 3 ص 131 تحقيق عبد السلام هارون الطبعة الاولى 1356 هـ / 1938 م وأورد ابن سنان نظريته فى كتابه (سر الفصاحــة) ص 60 — 61 طبعة 1350 هـ / 1932 م القاهرة .
(34) الانعــام 99 .
(35) طــه 53 .
(36) رواه مسلم وابن ماجة وابن حنبل فى المسند .

ان ياتى احدكم ثائر الراس كانه شيطان) (37) وقال عليه السلام (من كان له شعر فليكرمه) (38) وكان عليه السلام يغير الاسم القبيح الى الاسم الحسن (39) وعن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما اسمك ؟ قال حزن قال فذكره قـال لا السهل يوطأ ويمتهن قـال سعيد فظننت انه سيصيبنا بعده حزونة (40) .

وغايتنا فى هذا الحديث هو الدعوة الى ضرورة التزام الذوق الجمالى فى مسيرة الاعلام الاسلامـى لكونه من احدى مميزات هذا الدين الكريم وعاملا من العوامل الهامة فى التاثير والاقناع ولو لم يكن كذلك ما اعتمده الاعلام الجاهلى فى خطته فاحرز الحظوة والقبول برغم ان ما يدعو اليه بهتان سافر وقلمـا نلتزم الوجهة الجمالية — نحن اهل الحق — فى عرض الحق فالكتاب الاسلامى والصحيفة الاسلامية لا تزالان عموما فى حاجة الى اخراج يناسبه مقامهما ومكانتهما ولا شك ان الاعلام الاسلامى ان استطاع ان يطور اخراجه فى مظهر جميل فانه سيكون له الصولة والجولة فى معركة الاقناع وما اجمل ان يقدم الحق فى الصورة الانيقـة .

وقد يظن البعض بأن الشكل لا علاقة له بتاتا بالمضمون اذا كان المضمون فى حد ذاته جميـلا اذ الشكل وسيلة من وسائل الخداع والتحايل وهـذا يتنافى والتصور الاسلامى فى الالتزام الصدق علـى عكس الباطل من طبيعته انه يتوسل بالخداع والمكر لاجل ان يسود وقد صدق احد الاعلاميين الجاهليين حين قال معرفا الاعلام بأنه اعطاء الشكل .

قد يبدو هذا الظن صحيحا فى ظاهره بادىء الامر ولكن لمتأمل ينكشف خطأ الظن ذلك ان الشكل فـى الحقيقة لا يمكن فصله عن المضمون لانه يؤلف شطرا منه او ليس هو وعاءه وما ينبغى ان يكون المضمون جميلا ووعاؤه رديئا فلو فرضنا ان كتابا ما جيد المضمون غير ان اخراجه لا تستريح له النفس ومنهجيته فى ترتيب الفهارس لا يخلد اليها الفكر لانها مرهقة فهل يجد القارىء فيه متعته كلا ثم كلا ان رداءة الاخراج ستجنى على المضمون وتحول بينه وبين القارىء .

ان الاحساس الجمالى من فطرة الانسان فاى تحريك لاشواق هذا الاحساس فانه يدغدغ النفس ويبعث فيها اشتاتا من البهجة والاسلام دين الفطرة لذلك فالاعلام الاسلامى مدعو بالضرورة الى التزام العناصر الجمالية فى عمله ولكن كيف يمكن لنا ان نوفر للمادة الاعلامية العنصر الجمالى ؟

لتوفير العنصر الجمالى فى المادة الاعلاميـة يجب ان نتوسل بكل وسائل الجمال والاناقة لابـراز الحقائق فى صورة محببة اسرة ولنسق لذلك مثـالا تتميما للفائدة وزيادة فى البيان .

عندما نود ان نحرر حديثا اذاعيا فما هى العناصر الجمالية التى يجب ان نوفرها له ؟ يجب ان تكـون صياغة الحديث صياغة جميلة واضحة التعبير تتضمن اساليب مشوقة ومثيرة فى آن واحد والتشويق والاثارة يكمنان فى القدرة على التصرف فى أوجه التعبير كتكرار الكلمات حين يجب التكرار لاجل ترسيخ الفكرة فـى الذهن على ان يكون التكرار غير ممل على نسـق ما نجده فى القرآن الكريم كتكرار قوله تعالى « فباى

---

(37) رواه مالك فى الموطا .
(38) اخـرجه ابـو داود .
(39) اخرجـه الترمـذى .
(40) رواه البخارى وأبو داود واحمد وهناك احاديث اخرى فى هذا المعنى كلها تقرر حب الاسلام لمشاهد الجمـال .

آلاء ربكما تكذبان » وكجعل التركيب ذا مسحة ادبية من غير اسراف حتى يكون مقبولا ومستساغا وكاستعمال اساليب الاستفهام والجواب مما يدفع الى ايقاظ الحدس الذهنى وبالاضافة الى هذا ينبغى ان يؤدى الحديث بصوت جميل ذى نبرات مؤثرة تلك النبرات التى يتحتم ان تتشكل حسب طبيعة الموضوع فالاستفهام الانكارى له نبرته والاستفهام التقريرى له نبرته والجملة والاستفهام للامر له نبرته والاستفهام للوعيد له نبرته وانواع الانشاء الطلبى فى البلاغة العربية كالتمنى مثلا لها كذلك نبرتها وصيغ التعجيب لها ميزتها الخاصة فى الاوتار الصوتية وهكذا.

ويضاف الى ذلك امر آخر هو ان على المذيع وهو فى غمرة الالقاء ان يحترم قواعد الترقيم الحديث فى الوقف كالفصلة والنقطة وهكذا فان فن الالقاء يؤلف العناصر الجمالية فى الحديث الاذاعى .

ولنسق مثالا آخر زيادة فى الايضاح وهذه المرة عن الصحافة لنفرض اننا كلفنا باصدار صحيفة فما هو عملنا فيها من حيث الواجهة الجمالية ان عملنا سينصب على امرين المادة الصحافية والشكل الذى سنتقدم به هذه المادة للقراء فالمفروض علينا اذا هو ان نهيء الصحيفة من حيث الاخراج والمادة وخطواتنا فى هذا هى اتباع اسلوب جميل فى توزيع مواد الصحيفة توزيعا ينعدم فيه التنافر ويبرز فيه التناظر وهو التناسب فى مسافات الخطوط ومسافات الفراغ بين الابواب وحسن استعمال الالوان من اسود واحمر وازرق والحرص على استعمال الخط الجميل وكيفية استعمال العناوين المثيرة الملونة بالالوان المناسبة للموضوع المطروح وكل ذلك يكون تناغما فنيا يهب الصحيفة مميزات جمالية خاصة تحرك المشاعر وتجعل الصحيفة تحظى بالقبول والرضى وتكتسب ثقة القراء ومحبتهم .

هكذا يمكن للاعلام ان شاء الله تعالى فى الوطن الاسلامى ان يصبح اسلاميا فى مظهره وعمقه فى شكله ومضمونه ويحقق ما يصبو اليه من اهداف وما يتطلع اليه من غايات فى تصحيح المفاهيم الخاطئة وتكوين الراى العام الاسلامى على اسس سليمة والتصدى للفكر المستورد الهدام وتطويق الاعلام الجاهلى واحكام الحصار عليه وفضح تهافته والكشف عن واقعه المرير وتمزيق الاقنعة التى يتستر خلفها الكثير من المسؤولين المنسوبين على الاسلام ورفع الظلم عن الانسان فى كل مكان والقضاء على الجور السياسى فى كل اشكاله ثم اعلان انتصار دولة القرآن الهادية الراشدة .



الشاعر الهجّاء

أبو زيد عبد الرحمن الخطيب

(ت: 963 هـ. 1555 م)

للأستاذ عبد القادر العافية

هذا احد الشعراء الجبليين الذي نبغوا في القرن العاشر الهجري وهو ـ بكامل الاسف ـ لم يحظ بعناية مؤرخي الادب المغربي ، ولعل ذلك يعود الى ضياع شعره ، لاننا لا نجد من شعره الا نتفا قليلة هنا وهناك ، وحتى هذا النزر اليسير هو في ضرب واحد من الشعر وهو « الهجو » .

ومن المعلوم ان تاريخ الادب المغربي مازال يشكو من هزال المادة التي يتوفر عليها ، ونرى أن مؤرخي الادب المغربي يتعبون انفسهم في البحث عن النماذج التي يقدمونها ، ويرجعون من أجل ذلك الى عدة مظان هنا وهناك ... مخطوطة ومطبوعة علهم يعثرون على ما يلبي رغبتهم .

والحقيقة هي أن كثيرا من ادبائنا لم نتعرف عليهم لحد الآن ، ومعظم الذين تعرفنا عليهم انما نعرف نتفا قليلة عنهم ، وعن آثارهم ، وعن اخبار حياتهم ...

وقضية البحث في الادب المغربي موكولة اليوم الى الباحثين الجدد خاصة وقد تمهد لهم السبيل بمجهودات من سبقوهم في هذا الميدان .

واعتقد أن قائمة ادبائنا ، وكذا المادة الادبية ، اعتقد ان كل ذلك سيعرف نموا في الفترات المقبلة ، وما ذلك الا لان البحث في الأدب المغربي أصبح هدفا لكثير ممن يعنون بالدراسات الادبية ببلادنا .

وشاعرنا الذي أقدمه اليوم هو : ابو زيد عبد الرحمن ابن الخطيب الزرويلي ، الشفشاوني ، فهو ينتمي الى (بني زرويل) التي هي فرقة من الاخماس السفلي قرب مدينة شفشاون ، وهي غير قبيلة بني زروال الواقعة شمال فاس ، فشاعرنا يقال فيه الزرويلي، ومن المعلوم ان بني زرويل هذه قد نبغ منها عدد من الفقهاء والعلماء والادباء ... ومن أدبائها المرموقين : الشاعر ابو الحسن على مصباح الزرويلي (1) والشاعر ابو اسحاق الزرويلي أيضا (2) ومن فقهائها المشهورين: ابو الحسن الصغير الزرويلي (ت : 719 هـ) شارح المدونة ، والفقيه مصباح ابو الضياء (ت : 750 هـ / 1349 م) الذي تنسب اليه المدرسة المصباحية بفاس ، والقاضي أبو الحسن علي ابن القاضي عبد الواحد اليلصوتي الزرويلي وغيرهم ... (3)

وكما ينسب مترجمنا الى بني زرويل ينسب كذلك الى شفشاون فيقال فيه الشاعر الشفشاوني .

(1) انظر حديثنا عنه ، والتعريف به في مجلة دعوة الحق العدد : 1 السنة : 21 .

(2) الاستاذ عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ج : 1 : 261 ط : 2 ببروت سنة 1961 .

(3) انظر حديثنا عن (الاسرة اليلصوتية بشمال المغرب) بمجلة دعوة الحق العدد : 10 السنة : 19 ص : 41 .

وشاعرنا هذا ترجم له ابن القاضي في جذوة الاقتباس وفي درة الحجال ، فقال عنه ما يلي : « عبد الرحمن ابن الخطيب الزرويلي الشفشاوني ، كـــان شاعرا هجاء ... » (4)

وقال عنه في درة الحجال : « عبد الرحمن ابن ابي القاسم الشفشاوني ويعرف بابن الخطيب ، كــان شاعرا هجاء ، لم يمدح احدا من خلق الله قط ... (5)

وترجم له كذلك العباس بن ابراهيم المراكشي في الاعلام نقلا عن ابن القاضي في الجذوة (5) .

حياتـــه :

يبدو ان شاعرنا عاش حياة مضطربة ، وكـــان كثير التنقل لا يستقر على حال ، فهو قد ولد ببنـــي زرويل ، وقضى شطرا من حياته بمدينة شفشاون ، ثم قام بالرحلة عبر مدن المغرب وقراه ؛ فهو بعدما مكث في (القصر الكبير) خرج منـــه وهـــو يهجوه ، وينصح بعدم التعريج عليه ، ثم نجده بمراكش وقـــد ضاقت نفسه بها ، ويكاد يختنق فيها اختناقا .

عاش صاحبنا في صميم النصف الثاني من القرن العاشر الهجري ، وعاصر عهد احمد المنصور الذهبي الى سنة : (993 هـ / 1585 م) وفي هذه الفترة كـــان البلاط المغربي بمدينة مراكش يعج بالشعراء والادباء والكتاب والفقهاء والعلماء ... يحجون اليه مـــن مختلف انحاء المغرب ، بل حتى من البلاد البعيـــدة كمصر ، والشام ، والحجاز ، (6)

ويبدو ان صاحبنا لم تتح له الفرصة للاتصال بالبلاط السعدي او ربما كان هو نفسه لا يبحث عـــن ذلك ، لان البلاط يبحث عن المداحين أو يبحث عنـــه المداحون ، اما الهجاؤون مثل صاحبنا ، فانهم كانوا يعانون البؤس والحرمان ، وهذا ما يستفاد من قصيدته التي هجا بها مدينة مراكش ، وهي في ايام ازدهارها التاريخي ، وفي ايام شموخ (بديعها) ، وازدهار عمرانها ، وابهة وعظمة جيشها ...

في هذه الفترة بالذات نجد شاعرنا يهجو عاصمة المنصور الذهبي ويصورها من زاويته هو ، لا مـــن زاوية الحاشية ورجال البلاط .

فنراه في هجوه لمدينة مراكش ، يعبر عن قلقه البالغ لوجوده في هذه المدينة ، ويصور بؤســـه فيها ، وقتامة الحياة التي يحياها ، بل يتوق الـــى الخلاص والنزوح عنها . !

ونستغرب من كون مباهج مراكش في عهـــد المنصور لم تأخذ بلبه ، ولم تستهويه ، بل نراه يصور نفسه فيها وكانه اسير ينتظر الفرج ، ويترقب الفرصة المواتية للبعد عنها ... !!

ويبدو أن صاحبنا ضاق ذرعا بوجوده في مراكش، كما ضاق ذرعا من قبل بوجوده في القصر الكبير .

ويبدو من مقطوعته في هجو مراكش ان بعض اخوانه بهذه المدينة كانوا يعملون على تمديد اقامتـــه بها ، او ان ظروفا خاصة كانت تستدعي تمديد اقامته بها ، ولذلك نراه يبدأ مقطوعته هكذا :

« ما كان ظني وحق الله فرقتكم
لو أن مراكشا كانت تواتينـــي»

ومهما يكن من أمر ، فان صاحبنا عاش حيـــاة قلقة مضطربة ، متنقلا عبر المدن والقرى ، هاجيا هنا وهناك ... وساخطا على الحياة والناس ...

شعـــره :

اورد له ابن القاضي ثلاثة نماذج :

ـ النموذج الاول في هجو مدينة القصر الكبير بشمال المغـــرب ،

---

(4) (جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعـــلام مدينة فاس) ج : 2 : 413 ط دار المنصور الرباط 1974 .

(5) درة الحجـــال في أسمـــاء الرجـــال : 3 : 98 ط :القاهرة ، بتحقيق الدكتور محمد الاحمدي ابـــو النور : سنة 1970 .

(5) (مكرر) الاعلام بمن حل مراكش واغمات مـــن الاعلام : ج : 8 : 112 : المطبعة الملكية بالرباط 1977 .

(6) مناهل الصف للفشتالي : ط : وزارة الاوقـــاف والشؤون الاسلامية ، والنبوغ المغربي : 1 : 260 .

ـ والنموذج الثاني في هجو مدينة مراكش ،
ـ والنموذج الثالث في هجو ابن عسكر .

والنماذج الثلاثة تشهد بقذاعة هجو صاحبنا ، وتدل على انه كان شاعرا هجاء ، له مقدرة في فـــن الهجاء .

ولاشك ان فن الهجاء الذي تفوق فيه بعـــض الشعراء كالحطيئة ، وابن الرومي ، وغيرهما ، يعتبر من الناحية الاخلاقية فنا ممجوجا ، الا انه من الناحية الادبية قد ياتي فيه الشاعر بصور بالغة الدقة فـــي الوصف ، خاصة وان الهجائين يتمتعون بحاسة عجيبة مرهفة الى حد بعيد ، فهـم ينظـرون الـــى الاشياء والاشخاص من زاويتهم الخاصة بهم ، ولذلك فهـم ياتون باوصاف كثيرا ما تكون باعثة على الضحك ، والاستغراب ، ولعل قصيدة ابن الرومي في هجـو اللحية الطويلة العريضة تعد من روائع القطع الفنيـة في الادب العربي . (7)

ومع ذلك يبقى الهجوفنا ممجوجا الى حد بعيد ،

ولعلنا نستطيع ان نقول : ان الهجو يعبر عـــن نفسية مريضة ، وعن عقد نفسانية مزمنة ، تولدت لدى الشاعر من ظروف قاسية مرت به ، ومن منعطفات في حياته ، جعلته ينظر الى الحياة والنـاس بالمنظـر الاسود القاتم .

فالشاعر الهجاء هو في الحقيقة انسان مريض يعاني من نوع من الشعور بالنقص ، وهو في شتائمه المنظومة الموزونة يحاول ان يقوم بعملية تعويض ، او بعبارة اخرى يحاول رد الاعتبار .

والشاعر الهجاء يجد في الهجو ميدانا يتنفس فيه ، ولذا فهو يريد ان يهجو ليتنفس ، وقد يهجـو اقرب الناس اليه ، او من اسدى اليه معروفا ، او مـن يعطف عليه ويشفق من حاله ،،، !! قد يهجـو هؤلاء جميعا بل ربما هجا نفسه ، كما فعل الحطيئة فـــي الابيات المشهورة عنه في هجاء نفسه ، !!

وشاعرنا ابن الخطيب الزرويلي الشفشاوني هو احد الشعراء الهجائين في القرن العاشر الهجـــري السادس عشر الميلادي ، وهو لا يختلف عن باقـــي الهجائين الا في كونه لم يمدح احدا قط ، كما يقول ابن القاضي .!!

ويبدو أن صاحبنا كانت له عدة قصائد في هذا الميدان ، لان ابن القاضي المعاصر له ، يصفه بكونه شاعرا هجاء ، ويتحدث عنه وكان بعض قصائـــده معروفة ، ومشهورة ، وغير بعيد أن يكون لشاعرنـا ديوان كامل في الهجو ، او له عدة قصائد في هـــذا المجال ،،، وقد تكشف الايام عن ذلك .

ومهما يكن من امر ، فان النماذج التي بيـــن ايدينا ، وشهادة المعاصرين له ، تشهد انه احـــد الشعراء الهجائين في هذه الفترة .

نماذج من شعره :

جاء في المقطوعة التي يهجو فيها مراكش قوله:

« ما كان ظني وحق اللـه فرقتكـــم
لـو أن مراكشـا كانـت تواتينـــي »

« أظل في نصـب مما اكابـد مـــن
نفض الغبـار ومـن طرد الذبابيـــن »

« وطول ليلـي في كـد وفي تعـــب
ما بين بق ونامـــوس يناغينـــي »

« أبيت أحـرس فرشـي من عقاربهـــا
والقلـب في فكـر منهـا وتخميـــن »

« اذا رأيـت سـوادا مربـي واتـــى
ظننتهـا عقربـا دبـت لتؤذينـــي »

« لم يبق في الفـم ضـرس استعـدبـه
افنـاه مضـغ الحصى من ذي الطواحين »

« منـوا علـي باطلاقـي بفضلكـــم
هـــذا المجـاج يكـاد يعمينـــي »

« لم يبق في الكيـس فلس استعين بـــه
افنيت مالـي في غسـل وتصبيـــن » (8)

وهذه المقطوعة في هجاء مراكش نقلها الشيخ العباس بن ابراهيم في الاعلام ، وعقب عليها بقوله :

« قلت لما قرات هذه الابيات ، أجبته عنها بمدح مراكش في قصيدة على وزن قصيدته ورويها ، مـــع التشجير بلفظ مراكش المحفوظة بتاريخ 22 صفر الخير عام : 1330 هـ وهي هذه :

---

(7) انظر : ديوان ابن الرومـي .
(8) جذوة الاقتباس : 2 : 413 .

« مراكش البهجة الحمراء تسقيني
بمائها السلسبيل العذب تشفيني »
« راقت لناظرها جناتها وحوت
كل الازاهر من نوع الرياحين »
« رام الحسود لها عيبا فما نفثا
الا بما كان من وحي الشياطين »
« اهل المجادة والتقوى بها سكنوا
وأحمدوها لدى كل الاحايين »
« كل الفضائل في بطحائها اجتمعت
مما يعين على الخيرات والدين »
« شاقتني الغداة الغراء اذ سكنتي
فيها وانجلت في تلك البساتين »
« اسوارها كالحديد في حصانتها
ابراجها قد غدت مثل الاواوين »
« لها مساجد لا تنفك عامرة
بالذكر والعلم في نشر وتلقين »
« ما أمها نازح الاوطان مغترب
الاوفاز ، بما يبغيه في الحين »
« حوت قديما كراسي الملك وابتهجت
بالواردين من اقصى الغرب للصين »
« واهلها ملئوا علما ومعرفة
بثوا الصلاح بتذكير وتبيين
« طارت مناقبهم في كل ناحية
حازوا المعارف في عز وتمكين »
« تمت معارفهم عمت عوارفهم
بهم أرجي المنى مع نيل تأمين » (9)

وبعد ما أورد قصيدته التي عارض بها مقطوعة ابن الخطيب الزرويلي ، قال « وكثيرا ما هجيت المدن مع عظمتها فمن ذلك قول الحصري فيما نسبه اليه ابن دحية :

ضاقت بلنسية بي
وذاد عني غموضي »
رقص البراغيث فيها
على غناء البعوض » (10)

ثم أتى بابيات في هجاء (المرية) ، وباخرى في هجاء (رندة) ثم في هجاء صنعاء ، واتى بمقطوعة نثرية لابن المعتز يهجو فيها بغداد (11)

وهكذا نرى ان مقطوعة شاعرنا الزرويلي حركت في الشيخ العباس بن ابراهيم ذكريات ، وجعلته ينظم مقطوعة لطيفة في الرد على هجاء مراكش .

أما النموذج الثاني من هجاء شاعرنا ، فهو قوله في هجاء القصر الكبير :

« ارحل من القصر واسمع قول ذي ثقة
ان المقام به ضرب من الحمق
« ان لم تمت في أوان الحر محترقا
لم تنج فيه أوان البرد من غرق » (12)

واذا كان شاعرنا لم يمدح احدا قط ، فلا ينتظر منه ان يقول غير هذا .

اما النموذج الثالث من هجائه ، فبيتان من الشعر اوردهما له ابن القاضي في درة الحجال حيث قال : « وله يهجو بعضهم — اسمه ابن عسكر » :

« لج ابن عسكر يهجو في الانام وقد
اضحى لهم علما في كل مذموم
« ان قلت ديوثا فاسم ليس ينكره
او قلت يوتي فاخبار بمعلوم » (13)

ووجدت هذين البيتين على هامش (كناشة العلميين) الموجودة بالمكتبة العامة بتطوان ، فقال صاحب الكناشة انهما في ابن عسكر صاحب الدوحة حيث كان يتكلم عنه وعن خصامه مع العلميين بشفشاون (14) .

ومن خلال هذه النماذج اليسيرة التي سجلها ابن القاضي في الدرة ، والجذوة نتبين ان صاحبنا كان سليط اللسان لا يتورع عن التلفظ بالبذيء من الكلام ، ومع هذا نتمنى ان نعثر على نماذج مختلفة من شعره حيث يبدو انه كان شاعرا مطبوعا ، وموهوبا .

---

(9) الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام : 8 : 113 .
(10) نفس المصدر ص : 114 .
(11) نفس المصدر ص : 115 .
(12) درة الحجال : 3 : 99 .
(13) درة الحجال : 3 : 99 .
(14) كناشة العلميين بشفشاون ، المكتبة العامة بتطوان تحت رقم : 656 .

ب: الأوضاع الثقافية والأدبية في عهد المرابطين

للأستاذ عبد الكريم التواتي

... انه اذا كان فى الامكان تسجيل ظواهر متنوعة ومتعددة للحركة الفكرية والثقافية العامة ، فى بلاد الاندلس أثناء انضوائها تحت راية المرابطين ، وبعد ان اصبحت مجرد اقليم من اقاليم هذه الامبراطورية المغربية الشاسعة الاطراف المتعددة الاجناس ، من امثال مدرستى ابن رشد وابن ميمون الفلسفيتين اللتين كانتا تتغييان التوفيق بين العقل والدين ، مع ملاحظة أن ابن رشد كان يحاول ذلك بين الفلسفة والاسلام ، بينما حاول ابن ميمون تطبيق ذلك بين الفلسفة والموسوية اليهودية .

... ومن امثال مدرسة المتصوفين التى كان يتصدرها ويتزعمها ابن العربى والحاتمى وابن سبعين وابن رشد الكبير وابن على بن حرزهم .

... ومن امثال مدرسة الموسوعيين التى كان من ابرز من يجسمها كل من ابن الصائغ وابن بكر بن باجة الفيلسوف والموسيقى والطبيب ..

اذا كان ذلك ، فان ظاهرتين اثنتين تسترعيان الانتباه فيما يخص اوضاع الثقافة الادبية لعهد هذه الدولة فى المغرب :

الاولى أن جل حملة الثقافة والفكر — وفى مختلف الميادين ان لم نقل كلهم — كانوا من اصول اندلسية مولدا ونشأة واقامة او تلقيا او انتماء واصلا مع نفر قليل من سبتة او طنجة او فاس .

والظاهرة الثانية ان المجالات الادبية ، شعرا ونثرا — فيما عدا الترسل — كانت لا تمثل من الحركة الثقافية العامة سوى المرتبة الثانوية ، وقل هذا ايضا بالنسبة للعلوم وللفلسفة ، التى لم تهمل فحسب فى هذا العهد ، وانما حوربت واضطهد اصحابها ، وكانوا محط امتحانات عصيبة ، بلغت فى عهد على ابن يوسف بن تاشفين حد ازعاج امثال ابى الحكم ابن برجان الاشبيلى الملقب بغزالى المغرب ، ومثل ابى العباس على فى العريف ، ومثل الميورقى ، ازعاجهم الى النهوض الى مراكش عاصمة المرابطين للمثول امام لجن شكلت خصيصا لمحاكمة الفلاسفة وتأنيبهم او تاديبهم بما فيهم اولئك الذين تهافتوا على تدارس كتب ابى حامد الغزالى بالخصوص كتابه الاحياء .

واذا كان على بن يوسف — فيما يتحدث عن

التاريخ – قد ندم على ما بدر منه فى حق اولئك الفلاسفة ، فان اصول فكرة محاربة ما عدا العلوم الفقهية ، ومبدا المطاردة لمن يشتغل بغير هذه العلوم كانت فكرة مسلمة ومبدا معمولا به لدى الراى العام بما فيه القمة الحاكمة ، خضوعا لراى الفقهاء الذين كانوا يكونون يومئذ شبه سلطة كهنوتية فيما يخص انواعا من العلوم والافكار .

... ثم بالنسبة للظاهرة الاولى نلاحظ بالخصوص انه حتى كتاب يوسف بن تاشفين كانوا كلهم – وبدون استثناء – من الاندلسيين ، وعلى راسهم ابو بكر بن القصيرة كاتب المعتمد بن عباد سابقا ، ومحمد بن عبد الغفور ، وابو محمد عبد المجيد ابن عبدون صاحب القصيدة المشهورة فى رثاء الاندلس وسقوط بنى الافطس والتى مطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر

فما البكاء على الاشباح والصور !

... وابن عبدون هذا قد كتب قبل ذلك للامير سيرين بن ابى بكر بن تاشفين .

... وكتاب على بن يوسف بن تاشفين هم ايضا اندلسيون ، وفى مقدمتهم ابو عبد الله محمد بن ابى الخصال وابو القاسم بن الجد بن الاحدب ، وابو بكر محمد بن القبطرنة .

ويقول المراكشى صاحب المعجب فى هذا الموضوع : « ولم يزل امير المسلمين من اول امارته يستدعى اعيان الكتاب من جزيرة الاندلس ، وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك »، ثم يقول المراكشى : « فانقطع الى امير المسلمين من الجزيرة من اهل كل علم فحوله ، حتى اشبهت حضرته حضرة بنى العباس فى صدر دولتهم » (1).

وحتى كتاب امراء هذه الدولة والمنتمين لاسرتها هم كذلك من ارومة الاندلسيين ، اذ نجد مثلا ان كاتب ابى بكر ابراهيم المعروف بابن تيفلويت والذى هو صهر على بن يوسف وواليه على تلمسان وسرقسطة ، وكاتب ابراهيم بن يوسف بن تاشفين، والامير عبد الله بن مزدلى ، كانوا كلهم اندلسيين ، فقد كتب لابن تيفلويت ابو بكر فى باجة وكتب لابراهيم ابن يوسف بن تاشفين الفتح بن خاقان صاحب كتابى المطمح وقلائد العقيان ، وكتب لابن مزدلى الوزير ابو جعفر بن مسعدة .

وكان ابن مزدلى هذا ، بالخصوص ، مقصود مدائح الشعراء ومناط آمالهم ، وكان ابن عطية ابو محمد المفسر والقاضى ممن خصه بمدائحه ، ومن اروع ما قيل فيه قصيدة الوزير ابى عامر بن أرقم ، ومنها :

سريت ، والليل من مسراك فى وجل

مبرا العزم من اين ومن كلل

وسرت فى جحفل ، يهدى فوارسه

سناك تحت الدجى والعارض الهطل

والبدر محتجب لم تدر انجمه

اغاب عن سرر ام غاب عن خجل

هوت اعاديك من سار يؤرقه

ركض الجواد وحمل اللامة الفضل

اذ الملوك نيام فى مضاجعهم

مستحسنون بهاء الحلى والحلل

لله صومك برا ، يوم فطرهم

وما توخيت من وجه ومن عمل

نحرت فيه الكماة الصيد محتسبا

وحسب غيرك نحر الشاء والابل

اذا سرير المدارى هزهم طربا

الهاك عنه صرير البيض والاسل

وان ثنتهم عن الاقدام عاذلة

مضيت قدما ولم تاذن الى العذل

كم ضم دا العيد من لام به غزل

وانت تنشد اهل اللهو والغزل :

فى الخيل والخافقات البيض لى شغل

ليس الصبابة والصهباء من شغلى

ظللت يومك لم تنقع بـه ظمـا

وظـل رمحـك فى عـل وفى نهـل

وكلما رامت الـروم الفـرار اتـت

مـن كـل اوب وضمتها يـد الاجل

فصـار مقبلهم نهبا ومـدبـرهـم

وعـاد غانمهم مـن جملـة النفـل

وكـم فككت من الاغـلال عـن عنق

وكـم سددت بهذا الفتـح مـن خلل

انت الامير ، الـذى للمجـد همتـه

وللمـراليـك تحـمـزهـا وللـدون

وللـمـواهـب وللـحـظ انمـلـه

مـا لـم تحـن الى الخطيـة الذبل

.. حتى اذا جئنا نبحث عن ادباء مغاربة اصلاء لم نعثر فى هذه الفترة الا على العدد الضئيل ، من بينهم افراد من الاسرة المالكة ، ففى فاس — وقد كانت العاصمة العلمية حتى لعهد هذه الدولة — لا نجد من الادباء والشعراء حتى من نعدهم على رؤوس الاصابـع .

على ان من اشهر ادباء الاسرة المالكة نجد اثنين فحسب ، ابن تيفلويت ، وام طلحة تميمة بنت يوسف بن تاشفين اخت على .. ومما نسبوه مـن شعر لابن تيفلويت الابيات الآتية التى قالها — فيما زعموا — حين راى على بن يوسف بن تاشفـين يهـز سيفا :

هـززت حسـامـا فشبهتـه

غـديـرا مـن المـاء ، لكن جمد

فلمـا بـدا لـى افـرنـده

لهيبـا مـن النـار ، لكـن خمـد

فلـولا الجمـود ، ولـولا الخمـد

ود لسـال لـدى الهـز او لاتقـد

ونسبوا لام طلحة ببتين يتيمين قالـوا انهـا انشدتهما فى حالها مع كاتب امرت بمحاسبته ، ولما برزت لـه بهت لروعة جمالها ، وحين فطنت هـى لما عراه اومات الى نفسها تقول :

هـى الشمس مسكنهـا فى السمـاء

فعـز الفـؤاد عـزاء جميـلا

فلـن تستطيـع اليهـا الصعـودا

ولـن تستطيـع اليـك النـزولا !

اما الادباء المغاربة الاصلاء فلم اعثر من بينهم الا على ثلاثة انفار مع تجاوز فى عدهم من الادباء الشعراء ، وهؤلاء الثلاثة هم : ابن زنباع — وابن القابلة السبتى ، ويحيى بن الزبتونى الفاسى الذى سنفرد له حديثا خاصا .

.. وابن زنباع من مواليد القـرن الخـامس الهجرى ، وكل ما ثبتوه له من آثار مما عثرنا عليه القطعة الشعرية الآتية التى يصف فيها الربيـع ، والتى تلد فيها الاندلسيين مع وصفه للواقع اعتمادا على الصور والحركة اكثر من الاعتماد على الاصباغ والقوالب ، ويبدو على القصيدة تاثر صاحبها بالقرآن والدين عامة ، وقد اورد اصحـاب التراجـم تلك القصيدة على الشكـل الآتى :

ابـدت لنـا الايـام زهـرة طيبهـا

وتسربلـت بنضيـرهـا وقشيبهـا

واهتـز عطف الارض بعـد خشوعها

وبدت بهـا النعمـاء بعـد شحوبها

وتطلعت فى عنفـوان شبـابهـا

مـن بعـد ما بلغت عتـى مشيبهـا

وقفت عليهـا السحب وقفـة راحـم

فبكت لهـا بعيـونهـا وقلـوبهـا

فعجبت للازهـار كيف تضـاحكـت

ببكـائهـا وتبـاشـرت بقطـوبهـا

وتسربلت حلـلا تجـر ذيولهـا

مـن لرنهـا فيهـا وشق جيوبهـا

ولقد اجـاد المـزن فى انجـادهـا

واجـاد حـر الشمس فـى تربيبهـا

ما انصف الخيرى يمنع طيبه
لحضورها ، ويهيجه لمغيبها

وهى التى قامت عليه بدننها
وتعاهدته بدرها وحليبها

فكانه مرض عليه مؤقت
ووجوبه متعلق بوجوبها

وعلى سماء الياسمين كواكب
ابدت ذكاء العجز عن تغييبها

نادر كؤوس الانس فى حافاتها
واجمل سديد القول فى مشروبها

تحديث اخوان الصفاء لذاذة
تجنى ويؤمن من جناية حوبها

واركض الى اللذات فى ميدانها
واسبق لسد ثغورها ودروبها

اعريت خيلك صيفها وخريفها
وشتاءها ، هذا اوان ركوبها

اولا ترى الازهار ما من زهرة
الا وقد ركبت فقار قضيبها

والطير قد خنقت على افنانها
تلقى فنون الشدو فى اسلوبها

تشدو فتهتز الغصون كانما
حركاتها رقص على تطريبها

اما ابن القابلة السبتى ابو محمد عبد الله بن هارون فقد ترجم له صاحب الذخيرة .. وذكر ابن سعيد المغربى انه من شعراء القرن الخامس ، كما ذكره ابن دحية فى كتابه المطرب من اشعار المغرب ، وابن القابلة هذا ، ليس هو ابن القابلة الآخر المدعو محمد بن يحيى الشلطيشى المذكورة اقرباؤه فى الصلة وصلة الصلة لابن بشكوال ، ومما نسبوه لابن القابلة الذى نعنيه من شعر قوله يتغزل :

ووجه غزال راق حسنا اديمه
يرى الصب فيه وجهه حين يبصر

تعرض لي عند اللقاء به رشا
تكاد الحميا من محياه تقطر

ولم يتعرض كى اراه وانما
اراد يرينى ان وجهى اصفر

وفى هذا المناخ الذى يسجل فيه هذا النضوب الذى تشكو منه الحياة الادبية تشاهد خصوبة عظيمة متزايدة فى ميدان العلوم التشريعية والدينية ، وخاصة علوم الفقه المالكى الذى بذلت محاولات فردية مهمة من طرف بعض العلماء لحمل الدولة المغربية على فرض هذا المذهب اواسط القرن الرابع ، وقبل ظهور المرابطين بزمن كثير ، والى الدرجة التى اصبح معها عدد من افراد البيت المالك يتخرجون فى علوم الحديث والسنة بل ويتبوأون فيهما مراكز كراسى التلقين ويتصورون كراسى التدريس حتى فى الاندلس.

فهذا ميمون بن ياسين الذى كان سمع اثناء حجه سنة 497 هـ صحيح البخارى من سماع ابى مكتوم عن ابى در الهروى عن اسحاق المستملى ، كما سمع من ابى عبد الله الطبرى صحيح مسلم ، يتصدى لتلقين مسموعاته .. والامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الملقب بابن تعيشت يقوم هو الآخر بنفس الدور ، وعن طريقه تروى كلمة الرسول عليه السلام التى قال فيها : « لا يلقى مسلم مسلما فيبش به ويرحب به وياخذ بيده الا تناثرت الذنوب بينهما كما يتناثر ورق الشجر اليابس » .

ومثل ذلك ابن تقسوط زاوى بن مناد فى كثرة السماع والاخذ عن جلة العلماء كابى الصدفى ، ثم فى لقيام بدور التدريس والتلقين .

وبلغ الاهتمام بالفقهيات المالكية ان تجاوز عدد المشتغلين بها وبعلوم القراءات والحديث والتصوف والكلام المئات بينما لم يتجاوز غيرهم ممن يشتغلون بالطب والرياضيات والادب رؤوس الاصابع ، وحتى ان صاحب النبوغ المغربى — فيما اعتاده من اتيان

مجرد لاهم مؤلفات كل عصر من عصور الادب المغربي عبر اطواره ، عندما اورد اسم عشرين مؤلفا مما وضع في هذا العهد كان ثمانية عشر منها في علوم الفقه والديانات ، وكان المؤلفان الباقيان ديواني خطب واحد لمروان بن سمجون الطنجي والاخر للقاضي عياض (2) .

واذا نحن ذهبنا نتساءل عن السبب او الاسباب التي اصابت الساحة الادبية في مغرب المرابطين بالمحل والنضوب لم نجد اسبابا طبعية تعود الى المناخ او جدب الارض من دواعي التغني بالطبيعة وتملي مختلف مظاهرها . فهنالك الجنان والبساتين المزهرة ، وهناك الجداول والانهار المتدفقة ، وهناك الشلالات ، وهناك جبال الاطلس المجللة قممها بالثلوج على طول السنة ، وهناك الشطان والبحار وهناك الجمال المغربي الاطلسي الفتان الاخاذ ، وهناك كل ما يجعل الحياة اغنية دائمة وانشودة مرقصة وشعرا رقراقا ، كما ان ليس هناك شيء يعود الى تكوين الانسان المغربي يعوقه عن ارتياد ميادين الادب والثقافة الانسانية العامة ، فالانسان المغربي ذو احساس مرهف وذكاء وقاد حاد ، وكرم منعدم النظير ، وهو ذواقة لكل ما هو جميل ، وهو متعلق بكل ساحر اخاذ ، ونظرة واحدة الى فنون العمران والزخرفة والموسيقى والرقص الشعبي الفولكلوري والاعتناء بلجنان والحدائق والرياض تكفي للتدليل على ان الانسان المغربي لا تتجافى طباعه عن فنون الادب والشعر ومجاملاتهما ، فاذن ما هو السبب فيما امتازت بــه الحياة الادبية من محل ونضوب لعهد المرابطين ؟ لقد فكرت طويلا علني اقف على هذا الشيء الذي حال دون قيام لسوق ادبية لهذا العهد ، ولقد انتهيت اخيرا الى الاسباب التالية، وقد تكون هناك اشياء اخرى غابت عني انا آمل ان يتوصل اليها الباحثون والمنقبون والدارسون ، اما هذه الاسباب في نظري فهي :

اولا ميلان المؤسس العملي لدولة المرابطين اعني عبد الله بن ياسين الى علوم الفقه والدين اكثر من ميلانه الى سواهما من العلوم ، الشيء الذي حمل المتشوفين الى تولي مراكز الدولة، وتسلم مراقيها العليا يهتمون بما يظهرهم في عين صاحب الامر ، اهلا لتحمل المسؤولية ، والاشراف على توجيه الحركة السياسية الى ما يحقق اهدافها ، وهكذا رجحت كفة الفقهاء على كفة سواهم ، واصبح النظر الى آرائهم ومواقفهم تجاه الاشياء كلها يتخذ صبغة التقديس والاحترام بالامتثال حتى انه عندما وصل كتاب الاحياء للغزلي الى المغرب وراى فيه الفقهاء مالا يتفق ووجهة نظرهم ولم تستسغه فهومهم الدينية لايامئذ لم يتورعوا عن اصدار قرار قاطع بحظر تداول هذا الكتاب ويمنع ترويجه مما حمل الدولة ازاء موقف الفقهاء منه — ومسايرة منها لهم — على اصدار امر رسمي لا يمنع الكتاب وتداوله فحسب ، ولكن بتحريقه وابتلافه .

وزادت دعائم الفقهاء توطيدا عند ما تقيدت الدولة في سياسة اسناد مراكزها العليا لخصوص الفقهاء فكان ذلك دون شك ، مما صرف الناس عن الاهتمام بالادب والشعر وحفزهم الى الاقبال على علوم الفقه واصوله وعلم الكلام وبحوثه ، وعلوم القرآن والقراءات ومناشئهما ، وعلوم الحديث رواية ودراية ، حتى انهم ليتحدثون بأن مالكا بن وهب لم يتربع على كرسي وزارة علي بن يوسف حتى ارتدى مسوح الفقهاء .

ويصف المراكشي صاحب المعجب ولوع علي بالفقه والفقهاء فيقول : « واشتد ايثاره لاهل الفقه والدين ، وكان لا يقطع امرا في جميع مملكته دون

---

(2) النبوغ ج 1 ص 94 .

مشاورة الفقهاء ، فكان اذا ولى احدا من قضاته كان فيما يعهد اليه ان لا يقطع امرا ولا يبت حكومة فى صغيرة ولا كبيرة من شؤون الحياة والناس الا بمحضر اربعة من الفقهاء ، فبلغ الفقهاء فى ايامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله فى الصدر الاول من فتح الاندلس ، فعظم امر الفقهاء وانصرفت وجوه الناس اليهم ، فكثرت لذلك اموالهم واتسعت مكاسبهم » ثم اورد المراكشى بكلمات معبرة ـ كدليل على حنق الادباء والشعراء على ما خص به الفقهاء من حظوة وما نالوه من شفوف ابيات ابى جعفر احمد بن محمد المعروف بابن البنين وكان من اهل مدينة جيان ، والتى يقول فيها ، تعريضا بقيدوم الفقهاء ليومئذ القاضى ابى عبد الله محمد بن حمدين قاضى قرطبة :

اهل الرياء لبستم ناموسكم
كالذئب ادلج فى الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك
وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب الدواب باشهب
وباصبغ صنعت لكم فى العالم (3)

واورد المقرى فى نفح الطيب لهذا الشاعر فى نفس المعنى ابياتا اخرى يقول فيها :

قل للامام سنا الائمة مالك
نور العيون ونزهة الاسماع
لله درك من امام ماجد
قد كنت راعينا فنعم الراعى
ومضيت محمود النقيبة طاهرا
وتركتنا قنصا لشر سباع
اكلوا بك الدنيا وانت بمعزل
طاوى الحشا ، متكفت الاضلاع
نشكوك دنيا لم تزل بك برة
ماذا رفعت به من الاوضاع ! (4)

وقد ادى تخلى المغاربة فى عهد المرابطين عما سوى المغلق من علوم الفقه والدين الى انهم عند ما دعوا الى مناظرة المهدى بن تومرت الذى كان احضر امام على بن يوسف لدحض ما نسبت اليه من اقوال فلسفية تناقض الدين فى مفهوم اولئك الفقهاء ولا تساوقه ، لم يجدوا من بين الذين حضروا المناظرة من يحاجج ابن تومرت سوى الوزير مالك بن وهيب .. قال المراكشى يصف الحادثة : « .. فلما دخلها ـ اى ابن تومرت ـ احضر بين يديه وجمع له الفقهاء للمناظرة ، فلم يكن فيهم من يعرف ما يقول حاشا رجل من اهل الاندلس اسمه مالك بن وهيب ، فقد شارك فى جميع العلوم الا انه كان لا يظهر الا ما يتفق فى ذلك الزمان » (5) .

ثانيا ، نشأة الدولة : لقد قامت اساسا على مبدا الدعوة الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتحفيظ القرآن ، وتعلم الحلال والحرام ... ونشاة كهذه تقتضى التقشف والزهد فى مظاهر الحياة اللاهية، وتقتضى عدم الخوض بل الابتعاد عن مناهج الحضارة والرفاهة ، ولا تدع لمعتنقيها مجالا يوجهون اليه بعض عنايتهم اللازمة لطرق ابواب الادب والشعر ، والاشتغال بما يعد بعيدا عن الجدية والصرامة ..

والمجالات الشعرية والادبية انما تزدهر فى الغالب ، حيث الحضارة الزاهرة وربما حيث الاخلاق الماجنة والفوضى الاخلاقية وانعدام المسؤولية الواعية، الا عندما يتحول الشعر الى التزامية مذهبية ويصبح سلاحا من اسلحة التوحيد او الانتقاد كما يحاول شعراء العصر الحديث ان يحصروا مجال الشعر فى

---

(3) المعجب ص 171 .
(4) نفح الطيب ج 4 ص 411 طبعة مصر .
(5) المعجب للمراكشى ص 187 .

خصوص هذا الجانب الالتزامى اولا ، فهو عندهم شعر ترف لا مبرر له وليست له قيمة او مضمون .

وظهور بعض النوابغ فى الاندلس — فى هذا العهد — لم يكن وليد الوجود المرابطى بقدر ما هو استمرار وتواصل للحركة الادبيـة التـى صاحبت الوجود العربى فى الاندلس ، وبما نالته من تشجيع على يد الامراء الامويين ، او وجدته من دواعـى واسباب فى غفلة عن الحكام ، ولـم يكـن الوجود المرابطى ساهم فى تشجيع اولئك الشوامخ علـى المضى فى دروبهم لاداء رسالتهـم وبالاخص حـين استقدمهم اولئك المرابطون الى حضرتهم ، وزينوا بهم مجالسهم وقصورهم ، واتخذوا منهم الحاشية الخاصة والبطانة المحظوظة واختاروا منهم الكتبـة وفوزراء ثم اغدقوا عليهم وافـر النعـمـة وجمـيل الاستقبـال .

ويضاف الى نشأة المرابطين الدينية ما صاحبها من اهتمام خاص بالطبقات الشعبية المدعرة بحرارة اولا وبالذات — لمساندة الحركة الاصلاحية التـى كانت تبنها الدولة الناشئة وتسعى جاهدة لتثبيـت اركانها ، هذه الطبقة يغلب عليها — وربما فى كل زمان ومكان — البساطة والسذاجة ، ومحصولها اللغوى لا يتجاوز البربرية يومئذ او العربية الدارجة كما يقال ، ثم هى موجودة فى هذه التربة المشحونة مناخيًـا بالتـأهـب للحـرب والاستـعـداد لكـل التحديات ، وكل ذلك ما كان ليوجد التربة الخصبة الصالحة لانبات شجرتى الشعر والادب .

ثالثا : بساطة حصيلة قيدوم المرابطين أبـى يوسف بن تاشفين من اللغـة العربيـة الفصحـى ذات التعبير الفنى ، وعدم تمكنه منها التمكن الذى يحمله على الزامها الآخرين واعتبارها وحدها مجال التفريخ الحضارى لوجود دولته ، ولعل هذا هـو الذى جعله يهتم بخصوص الحروب فى حياته او فى معظمهـا علـى الاقـل .

واذا كنا نحن لا نستطيع ان نساير باطلاق رأى القائلين بجهل ابن تاشفين تماما للعربية ، فانا من جهة اخرى لا نستطيع ان نعتبر تقرير ابن تاشفين للغة العربية على انها لغة رسمية اداريا ، كما لا يمكن ان نعتبر مجرد سماع ابن تاشفين لقصائد مادحية او ايرد المنسوب اليه على رسالة الادفونش السادس فى وقعة الزلاقة ، والذى صيغ فى اسلوب التوقيعات كما لا يمكن ان نعتبر ايضا وصفه لجزيرة الاندلس بتلك العبارات الوصفية المنسوبة اليه والتى جاء فيها حسب تعبير المؤرخين « شبه بلاد الاندلس بعقاب راسه طليطلة ، ومنقاره قنعة رباح ، وصدره جيان، ومخاليه غرناطة ، وجناحه الايمن بلاد المغرب ، وجناحه الايسر بلاد الشرق » .

ان نعتبر كل ذلك دليلا على تمكن يوسف بن تاشفين من اللغة العربية الفصحى ، اذ لا دليل محسوس يؤكد ان وصف ابن تاشفين لبـلاد الاندلس كان صدر منه بالعربى الفصيح ، مع العلم بأن الافكار والمعانى ووسائل التعبير ليست وقفا على الاوضـاع الثقافيـة لعهـد المـرابطين او وقفـا علـى هـذه الامـة دون تلك او علـى هـذه الطائفة من الناس دون الاخرى ، ولا على هـذه اللغة دون سواها ، خاصة لدينا نحن ابناء القـرن العشرين الذين نشاهد ونسمع ونحسن ان العقـل والادراك قائم مشترك بين جميع من انعم الله عليهم بهما . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان تقرير اللغة العربية رسمي كلغة الادارة ولمراسلات انما كانت اولا رمزا لنشأة الدولة القائمة على القرآن والحديث، وقطعا لا يمكن لحماة القرآن والحديث ان يجفوا اللغة التى نزل بها القرآن ، مع القطع بأن معنيه اى القرآن لا تفهم لفهم جيد بدون فهم لهذه اللغة ، واننا ليس فى المؤكد ان لغة المراسلات كانت من اللغة الفنية لمستعملة عصر عصور تاريخ اللغة العربية لغـة الشعـر والادب .

ومن هنا رأينا كيف اقتصر تعلمهم من العربية وبالدرجة الاولى على ما يسمى بالعلوم الآلية اى القواعد : نحوية وصرفية وبلاغية ، ثم ما يوضح العقائد وشرائع الدين او يعين على تدوين ونهذا فنحن لا نعثر فى هذا العصر على دراسات أدبيـة مستفيضة حتى فى الكتب التى وضعت تحت هـذا الشعار ، وانما تاتى على شكل كتب الجاحظ والمبرد وابى على القاضى .

ولكن مع كل ذلك نبادر الى القول بأن مناقشتنا هذه ليس معناها ان المرابطين ولوا ظهورهم للعربية او وضعوها جانبا ودبر آذانهم ، فان كثيرين منهم ، وقد اومانا الى بعضهم سابقا ، اهتموا بخصوص المفاهيم الادبية لذلك العصر وكانوا من ابرز رجالاتها مثل تميم وعلى ابنى يوسف ، ومثل افراد من اسرة ابـن الحـاج .

كما ان الحركة الثقافية والفكرية على وجـه العموم شهدت فى عهد هذه الدولة ، وخاصة فـى الاندلس ، نشاطا عظيما وعملا دائبا تجلى فى نبوغ رجال تلك المدارس التى اشرنا لبعضها فيما مضى ، كما تجلت فى تشجيع حركة تنقل الطلبة ورجال العلم بين مختلف الاصقاع والاقاليم التى كانت تحت نفوذهم مما اعان على خلق شخصيات فذة من امثال القاضى عياض وابراهيم بن جعفر اللوانى ، وابى عبد الله التميمى ، وعبد الله بن سعيد الوجدى ، وعيسى المجوم ، واحمد بن الحطيئة ، وعلى بن حـزم وابى القاسم المعافرى .

ثم يتجلى اهتمام هذه الدولة ايضا بالثقافة فى تشجيعاتها المادية والادبية لكل الذيـن ابدوا بوادر طيبة للاهتمام بالعلم والفكر ، ولكن دون ان يتجاوز ذلك الى طور انشاء المدارس الخاصة لرجال العلم وطلبته كما سنرى ذلك فى عهد الموحدين ممن جاءوا بعدهم ووجهوا الحياة فى هذه الارض الطيبة المعطاء .



نحن والإنجليز ونقط الالتقاء

للأستاذة ليلى بوزيد

يعتقد الانجليز ان المغرب يقع فى امريكا اللاتينية وان سكانه بدو يعيشون فى الخيام ويقتاتون بالتمر ولبن الابل . وهى صورة اليفة عندهم يصيبهم تصحيحها بالخيبة . وقد وجدت بعجب عجاب ان المغاربة فى اعتقادهم شعب من الشعوب الزنجية وارجعت ذلك الى موقع المغرب فى القارة الافريقية حتى عثرت على تفسير معقول آخر فى كتاب TheMoors للباحث الاجتماعى الانجليزى ماكينز . ومفاده ان التصور الانجليزى للمغاربة يأتى من خلال عطيل ، مغربى البندقية الذى لا يمثل المغربى الاصيل بل يعد زنجيا فى واقع الامر وان الخطأ شاع فى عصر شكسبير وانطلى عليه حتى انه ساهم بشخصية عطيل فى تثبيته على غرار الشاعر مارلو الذى كان يقول عن المغاربة « انهم سود كالفحم » ومن ثمة تداول الانجليز المثل الذى ما يزال موجودا بينهم Black a Moor ومعناه اسود مثل مغربى .

كنت ابذل قصارى الجهد لتوضيح ان المغاربة بيض البشرة برغم انف عطيل لانهم من سلالة عربية بربرية ، وان البربر ليسوا بيضا وحسب بل هم شقر بعيون زرق كأنهم نزلوا لتوهم من الدانمارك وان كانت شقرتهم مشربة بلفح الشمس فى الجبال ، وان العناصر السوداء فى المغرب اصلها افريقى مثل غناوة الذين جىء بهم من غينيا (1) كما يدل اسمهم. ون هناك عنصر هى نتاج اختلاط السلالة البربرية والافريقية مثل دراوة الذين انطلقوا من وادى درعة كما يدل اسمهم مرة اخرى (2) .

ولما كان الخطأ لا ينفك يتكرر والشرح يطول فقد كنت كثيرا ما استغنى عنه واقول : « تبا لانجليزكم يلتصقون بالافكار البالية » .

ويزيد ماكينز فى شرحه ان ما ساعد على اثبات الخطأ ما كان يشاهده الرحالة الانجليز فى المغرب من تمتع العبيد بوضعية اجتماعية جيدة نقلوا اخبارها

(1) (2) هذا الاستنتاج راجع لماكينز الاجتماعى الانكليزى الذى عاش فى اواخر القرن 19 وبداية القرن العشرين .

الى بلادهم فتوهم الناس ان هؤلاء الزنوج احـــرار وان المغاربة بالتالى زنـــوج .

وقد وجدت فى كتاب ماكينز هذا تحليلا طريفا آخر لاصل التسمية التى عرف بها المغرب فى اللغات الاوروبية والتى تعود الى كلمة Marruecos الاسبانية المأخوذة من مراكش وهو الاسم الذى عرف به المغرب فى المشرق الى حين . ولما كان اسبـــان الاندلس لا ينطقون حرف ك فى آخر الكلمات فقد اخذها الانجليز عنهم وحرفوها الى Marocco ثـــــم . Morocco بينما اختصرها الفرنسيون الى Maroc واخذت اسم اخرى اللفظة « الانجليزية بكتابات مغايرة.

أما كلمة Moro او .. او Maure فقد جاءت بدورها من Marruecos للدلالة اصلا ليس على سكان المغرب وحدهم وانما على كل العرب لان المغاربة هم اول من عرف الاسبانيون من العرب ثم شـــاعت اللفظـــة علـــى يد البحارة الاسبانييـــن والبرتغاليين الذين أوصلوها الى الهنـــد وسيـــلان وماليزيا . وما زال مسلمو ماليزيا يعرفون الى اليوم ب Moor Men رغم انهم من اصل عربى ولا علاقـــة لهم بالمغرب على غرار قبائل الهنود الحمر فى أمريكا الذين سموا هنودا وهم ابعد ما يكونون عن الهند .

فيما عدا عطيل سئلت عن نقط الالتقاء بـــين الانجليز والمغاربة ورايت لاول وهلة ان السؤال فى غير محله . اذ فيما يمكن أن يلتقيا ؟

فى الطباع ؟ أو فى السلوك ؟ أو فى العقلية ؟ أو فى العادات ؟.

ووجدت انهما لا يلتقيان الا فى المكانـــة التـــى يحتلها لديهما شرب الشـــاى .

فى انجلترا لن يحول بين الانجليـــزى وكـــوب شايه حائل . وهم يخصصون له موعدا فى الخامســة مساء . وشـــاى الخامســـة يصحب بالحلويات ويعد من الشعائر التقليدية عند بعض الاسـر العريقة . وتقدمه هذه الاسر فى أوانى الفضة الخالصة وضروب من الطقوس . وهناك قاعات الشاى العمومية التى تفتح فى الموعد المقدس ويعد ارتيادها سلوكا اجتماعيـــا له متعة . وأنت ان زرت لندن ولم تر هذه القاعات ، لـــم تـــر شيئا .

وعتاد الشـــاى عندهم مجال للابداع والخلق ، لهذا يعد رواق الفضة من درر لندن الفريدة . وهـــو رواق يضم مجموعة من الدكاكين تبيع عتاد الشـــاى المصنوع من الفضة التى لم تخلط بمعدن آخر .

وفـــى المغـــرب كـــان بامكـــان البـــدوى ان يعيش دون اللوازم كلها باستثناء ثلاثة اشياء : الخيمة والبندقية وكاس الشاى . وما زلنا الى اليوم لا نكل من احتساء الشاى طول النهار .

على انه اذا كان الانجليز يشربـــون الشاى صرفا فنحن ، برغم التسمية نشرب النعناع فى واقع الامر ، ونعمد احيانا الى تعطيره بورق الورد وماء زهر البرتقال والليمون وأنواع من النباتات العابقة(*)

وعلى غرار الانجليز نفرغ عبقريتنا فى اعداده كما نفرغ اصالتنا فى صنع اوانيه ونفرح بجلساته التى تصل بسكان المناطق الصحراوية الى حد الانتشاء .

التشابه اذن قائم فى هذه النقطة بيننا وبـــين الانجليـــز .

ولكـــن لماذا وكيف ؟ .

بحثت عن الجواب فوجدته فى كون الشاى الذى دخل

(*) كان المغاربة قبل 1854 يشـربون النعناع او الشيبة لانهم لم يكونوا قد اكتشفوا الشاى بعد عن André Launoy فى كتابه Morocco صفحة 57 .

الى المغرب على يد الانجليز بالذات وهذه تفاصيل الحكاية كما ترويها كتب الاجتماعيين :

في 1854 ادت حرب كريميا الى اغلاق منفذ بحر البلطيك وحالت دون وصول سفن الشاي الانجليزية الى اسواقها المعتادة فالزم اصحاب البضاعة بتفريغها في مينائي طنجة والصويرة ريثما يدبرون امرها ثم بدا لهم ان يكون المغرب هو البديل لسوقهم التقليدية .

ولان المغاربة لم يكونوا يعرفون الشاي . قرروا أن يعرفوهم به وبداوا حملة لتعميمه فانتشرت الموضة من طنجة في الشمال والصويرة في الجنوب وزحفت على البلاد بأسرها (*) .

وفي اعقاب تجار الشاي جاء من منشيستر رجل يدعى رينشارد وايت وهو صناعي يختص في اواني الشاي الفضية التي تحمل اسمه . جاء ليقدم منتوجاته ويخبر ان المشروب شعبي، نعم، ولكن هذا لا يفرض أن يتجرع بابتذال بل ان له قواعد واصولا وانتشرت اواني رايت بين الاثرياء واصبحت من سمات المجتمعات المتمدنة . وما زالت بعض الاسر تحتفظ بها وما زالت ادوات الشاي المصنوعة من الفضة الخالصة تعرف بين المغاربة « بالرايد » وهو تحريف لاسم صناعي مانشستر .

(*) كتاب André Launoy Morocco ص 57 .

إقرأ في العدد القادم



دلالات الروافد المحورية في "اليد السفلى"

للأستاذ مصطفى بوهلال
(تونس)

الدكتور محمد عبده يماني ، علامة بارزة في الحياة الثقافية بالمملكة العربية السعودية ، ذلك انه يشرف — حاليا — على دواليب وزارة الاعلام ببلده، من ناحية ، كما ويساهم في اثراء انشطة المعرفة ، بالكتابة المتزنة في مجالات مختلفة من ساحة الوعي الانساني ، ومنها الميدان القصصي (1) .

وقبل ان الامس مضامينه القصصية ، اود استكشاف ركائز رؤيته ، في تعميق الادراك الذهني، والاحساس الروحي ، بغية النهوض بانسان العصر.

وانك لواجد الكاتب ، حاملا قلمه ، لا لتكلف الترف الفكري والتسلي) او الانسياق في (تيار ايديولوجي ما) بل هو برفعه ارضاء (لالحاح الفكرة) وتلبية عفوية (لمخاض المعاناة) (2) وتبعا لذلك ، تصدر الكتابة ، عند الاستاذ يماني ، انبجاسا من معين (توظيف الكلمة للخير والحق والعدل) (3)

ومن ثمة ، وازاء عالم (ملىء بالتيارات والضلالات ، ونبه ما فيه من بصيص خير ، ولكن ماديات الحياة تطغى عليه وتدفع بالحياة الانسانية الى الوان مختلفة من الشقاء) (4) بين النور ، نور الكلمة المسؤولة ، تتوجه الهمة نحو المساهمة (في تخفيف آلام الانسانية بتقديم المثل الطيب الصادق والقدوة الحسنة) (5) .

صدورا من هاته العهد ، تتصدر (اليد السفلى) ككتابة متقومة بما سبق ، وكتعبير متخرب لشرائط الصدق والواقعية ..

*

---

(1) (اليد السفلى) مجموعة قصصية للدكتور محمد عبده يماني ، صدرت طبعتها الاولى سنة 1399 هـ 1979 م ، عن (المطابع الاهلية بالرياض) في 309 صفحة .
(2) انظر مقدمة (اليد السفلى) .
(3) دليل الوفود الاعلامية للحج ، د . محمد عبده يماني صفحة 6 .
(4) و (5) نفس المرجع ، ص 7 .

(اليد السفلى) خلق قصصى ، من نتاج الادب العربى المعاصر فى السعودية ، تغطى قصته الاولى — وهى بهذا العنوان ، عنوان المجموعة — مساحة 130 صفحة صقيلة ، مضافة اليها رسوم فنية بارعــة (6) .

تعالج القصة محورا طريفا هو (كفالة خادم شاب ، ضمن اسرة بها فتاة) الى جانب ما تبسطه — اثناء حركة شخوصها — من مشاغل اجتماعية ، وهموم حضارية ، ومسارب سلوكية .. فى مساحة مكانية هى البقاع المقدسة ، وعلى امتداد فسحــة زمانية هى ما بعد الثلاثينات من القرن العشرين .

وتراني مستعرضا شخصيات القصة ، لمصادرة المواقف والابعاد ، ذلك ان احمد طفل يلقى به والده القروى المعدم فى خضم (سوق الشغل) بمكة ، فيعمل متنقلا من اسرة لاسرة ، الى ان يبلغ به المطاف الى بيت عريق — علما وثروة — فيخلص له الخدمة ، مما دفع بصاحبه الى احاطته بالرعاية المثلى حيث ارسله الى المدارس ، ثم الجامعة ، فيتخرج طبيبا ... انما الخيط المدود ، كمؤشر يشدنا باتجاه العقدة دوما — هو الحب ! حب احمد لعزيــزة ، كريمــة مخدوميــه ..

ولعلك سائل ، فى شىء من الامتعاض ، اى حب تعنى ؟ اهو المقارنة المادية ؟ وعشق اليافعين اللا اسوياء .. ؟ هنا تتحدد وجهة « توظيف الكلمة » وتتجمع ملامح التصور ، وانت تحاصر هذا الاثــر وترصد صاحبه : تفتيشا عن دلائل التقويم ..

ان « عيضة » — والد احمد — مثــال للاب الفلاح الذى لا تشغله مصاعب السعى لتوفير الغذاء عن توفير التربية القويمة لهم ايضا .. فقد مكن احمد النافع ، واللباس الواقى ، لافراد عائلته العديدين ، من فرصة التعلم بالقرية ، فى الكتاب ، كما نفث فيه من روحه الاسلامية الطاهرة ، كلمــا سنحت لــه الفرصة بذلك . قال الطفل احمد :

(وانتبهت من خواطرى على صوت ابى وهــو يقــول لــى :

— هيا بنا للطواف تحية المسجد ..

ودهشت لقول ابى هذا ، فلقد تعلمت من قبل ان تحية المسجد — اى مسجد — هى ان نصلــى ركعتين عند دخولنا اليه ...

وقلت ذلك لابى ، فابتسم فى عطف وهو يجيبنى :

— هذا صحيح يا احمد .. ان تحية المسجــد هى ان تصلى فيه ركعتين اما تحية البيت الحــرام فهــى الطــواف ...) (7)

وتراه — مخطرا اخاك لا بطل — حين يدفع بابنه الى (باقيس) صديقه بمكة ، ليبحث له عــن عمل بمنزل ما . فيقفز بذهنك التساؤل التالــى : اليس فى هذا طغيان تاثير المادة ، واهمال لحــق الطفولة ؟ لكن الحدة ، ستتلاشى بعد سماعك هذا الحوار : (— انك اكبر اخوانك يا احمد .. واكثرهم فهما ووعيا .. واحسب ان حالنا لا تخفاك بصــورة لا اجد معها داعيا لان اشرحها لك او ازيدك عنها ايضــاحا ...) (8)

وتشير شخصية « باقيس » — الوسيط لاحمد فى الشغل — الى شهامة الصداقة ، ونقاء التعارف ، وتقدير الامانة .. فهو لم يشأ ان يقيم علاقته باحمــد — وهو التاجر — على اساس « النظرة التجارية »

(6) ثانية التقصص بالمجموعة وآخرها : « مشرد بلا خطيئة » أؤجل النظر فيها الى فرصة قادمة .
(7) اليــد السفلــى ، ص 14 .
(8) اليــد السفلــى ، ص 20 .

انها حرص — عظيم الحرص — على وضع الطفـل بموقـع امـين .

وفي موقع مغاير تماما . ينهض « صـلاح » كرائع للواء الطبقية الاجتماعية القائمة على الاحتقار، والرغبة في الايلام ، والانانية .

اما الشيخ « عبد الحميد » فمثال المثقف المثالي ، والمؤمن الاتقى ، ذلك ان المادة لم تخلق فجوة بين مسلكه العلمي — كمدرس علم بالحرم — وبين تعامله مع خدمه ، كرجل موسر . بمعنى ثان : لم يترك الشيخ عبد الحميد اى انتقاد يوجه اليـه مـن خـلال :

لا تنه عن خلق وتاتـي مثلـه

عار عليك اذا فعلت عظيم

لذا كنت تجده حانيا رفيقا ، راعيا لوحيدته عزيزة ولخادمه الطفل ثم الشاب احمد .

من زاوية اخرى — وهذه صورة ثانية للعالم الملتزم — فكما يشن بالحرم المكي حملاته الشعواء ضد الجهل ، نراه أيضا يوجه عناية قصوى لرفـع الامية عن احمد ، بل قل ، ولتخريجه عالما صالحا .

ومن هذا الشعور ، لك ان تؤكد على «انسانية» عبد الحميد و « علميته » و « خلوص اسلامه » .

ومن شخصيات القصة ، تعترضك الخادمـة الدادة جمعة ، فتثير في لذات بعدا اسلاميا آخـر الا وهو السعي بين الآخرين بالحسنى ، على اساس السمو ، والحفاظ على الاعراض ، فذلك ادعـى لرسوخ البيوت ، واذهب لحبائل الشيطان .. الدادة جمعة لم تستثمر ما بان لها من علائق المودة ، بين احمد وعزيزة ، ولم تستغلها — لفائدتها المشبـوه فيها — كما تفعل عجائز السوء ، حمالات الحطب .

ان القاص الاستاذ يماني ، يتجول بنا ، بين شخوص حققت لذاتها أسباب التوافق الاجتماعـي، ولن تكون غير الاخلاق العربية الفضلى ، والمبادىء الاسلامية العالية ، كالتعاون ، ومراعاة حق الجار وذوى النعمة ، والبذل السخي للغير دونما جزاء او شكور ، والاخلاص في العمل ، والايثار ، وتقوى الله والالتجاء اليه .. تتجلى هاته المعاني حين مراقبة الادوار الموزعة باحكام ، على شخصيات ثانويـة بالقصة — بالاضافة الى الرئيسية بها — امثال : الجار تحسين ، وعبد الرزاق الموظف السامي بوزارة التعليم ، والطبيب .

وتبدو عزيزة — من مجموعة الشخـوص — الفتاة المتعلمة : صورة لوالدتها ، في حسن التصرف، والتكيف مع البيئة . ذلك ان الوالدة لم تطلق لابنتها الحبل على الغارب ، كما ولم تستدع عوامل الكبت لتضييق الخناق عليها ، بل سلحتها بالادب الراقي ، والمعرفة اللائقة . ولم تقف سدا منيعا يتحدى بعنف الحوار المشروع بين الفتى والفتاة . وغير عجيب ، اذن ، ان تلتزم الحدود . ولا نظن أن عزيزة مجردة من الاحساسات العاطفية ، فقد بلغت بها الميـول حدا اطاح بالقلب على فراش الوهن ، بـل سلطت الارادة على قمع النزوات حتى يحين الاوان ، وعدلت من الاهتزازات ، كي لا تسرع بها نحو الاتصـال الجسدي ، فهي رمز المحبة العفيفة ، والامل الباسم، والتفاؤل المريض ، وحرب على الغزل المنحرف . تقول لاحمد ، يوم حصوله على الثانوية : (مبـروك يا احمد .. الف مبروك) .

كانت عزيزة هي التي نطقت بالجملة الاخيرة ، وفرحة صادقة تطل من عينيها الجميلتـين وبـدون شعور ... تناولت يدي عزيزة بيدي وضغطت عليهمـا في حرارة ، ثم انتبهت لموقفي فسحبت يدي في الحال وانا اشعـر بالخجـل الشديـد ، واؤنب نفسـي على المدى الذي ذهبت اليه في التعبير عن فرحتي ... وكان وجه عزيزة قد تضرج بحمرة شديدة ، فاطرقت في خجل ، اذ لم يحدث قبلا (كذا) ان امسكتها من يديها بتلك الطريقة ... ولاحظت عزيزة ما اعتراني من ارتباك شديد فمدت يدها ، عبر والدتها ، وتناولت

يدى البـاردة بيدها وضغطت عليها بعطـف وهــى تهمـس :

ــ مبروك ياأحمد مرة أخرى . الف مبروك)(9)

وحين اختفى الشابان ، أسر أحمد لها ، مبررا هذا التصرف المربك :

(ــ فقط ،، اردت ،، اردت ،، ان اعتذر ..

ــ تعتذر ؟ .. عن ايش ؟

ــ عن .. عن الذى حدث اليوم

ــ وماذا حدث اليوم ؟...

ــ والله العظيم يا عمتى (يقصد مخدومته) لم اكن اقصد شيئا .. والله العظيم ،، كل ما فى الامر اننــى شعـرت ...

فابتسمت عزيزة وقاطعتنى قائلة :

ــ وايش صار ؟.. ايش صار يعنى ؟،، لا عليك يا احمد ،، انما الاعمال بالنيات كما تعلم ،، وان لكل امرىء ما نوى .. كـده والا لا ؟ ،، اننــى احس بمشاعرك الاخوية نحوى يا احمد ،، فـلا تهتـم لشىء) (10) .

من مثل هذا الموقف استحضـر الآن الوظيف البطولى .. بجلاء ، بدا أحمد قمة الوعى الفائق من الوجود الانسانى ، والحضـور الاجتماعى ، لقد احس ــ عن ادراك ــ بالبعد الزكى من وراء خدمة الغير بحثا عن النفع الشامل ، كما شعر ــ عن فقـه ــ بثقل المسؤولية فتحملها ، راعيا لحقوقها ، بكل ما لديه من قوة عقيدة ، بعيدا عن اللهاث فى اثر المتع والشهوات ، غير القوت القلبى . ! ولن يجنح بك الخيال فترى احمد ملاكا سماويا ، او شابا متبلد محروما من الحاسة الجمالية .. ! كلا ، ثم كلا ، فأحمد بشر سليم الحساسيـة رهيفهـا ، جيـد الاحساسات الوجدانية ، خفاق القلب امام كل مـا هو رائع وجميل .. ! على ان البديع فى شخصيته : رفعة همته ، وثباته على مغالبة النفـس الامـارة بالسوء ، وصلابة قراره ، ان احمد يسبح بعواطفه فى عالم ، تحسبـه صوفيا ، بغية بلـوغ شاطىء الامان .. وفعلا ، تجسم ذلك فى الزواج الهانىء .

لك ان تلمح جريان (اليد السفلى) فى مستوى، وكأنه مستوى (السير الذاتية) ! غير انك لا تلقى القرائن الكفيلة بالبرهنة على ذلك ، فحين تسرح النظر فى (ايام) طه حسين ــ مثلا ــ تلحظ العناية المتعمدة باستقطاب مجريات الاحداث ، قصد محورتها حـول (الانـــا) باسلـوب (اعتـــراف) . فى اليـد السفلـى) يغيب هذا الملحظ ، والا فلماذا لم يتم استنطاق السنوات السبع التى قضاها (البطل) فى القاهرة ؟ ثم لماذا يعامل اشخاص النص ــ على امتداد الساحة ــ برحابة فكر ، كى يدلـوا علــى حضورهم الفعال ؟ وهم بصنيعهـم ذاك ينهجـون بالحادثات نحو الموضع المتمكن لرفد منطقة الجذب المحورى : رصدا لعلاقة البطولة الثنائية الطـرف (احمد ، عزيزة) مما متن حبل القصة ، واعطاها الجدة والطلاوة ، بقدر قد يفوق ما بـ (المذكـرات الـذاتيـة) .

ان الاديب يمانى ، ابان قدرة الادب العربـى الحديث على جذب الاهتمام لاحتواء التصور الاسلامى لمشاغل المراهقين وتنويرها ، واضفاء هالة من المهابة على نوازع الالفة والود والعشق .

ولن ادعى ان هذا هو رد الفعل الواجب اتخاذه تدام كثافة الانتاج القصصى الزاحف باتجاه (الحب الزيف ــ الحب الرذيلة) بل ازعم ان هذا هو الوضع الطبيعى لما ينبغى ان يكون عليه ادبنا .. فقد آن الحين، لنعلنها مدوية : كفى جنسا مبتذلا يا سادة القصة ..!

---

(9) اليـد السفلـى ، ص 68 .

(10) اليـد السفلـى ، ص 71 .

ولا يفوتني هنا ، الا ان اسجـل بعض مـا اصاب (اليد السفلى) من لحن انشائى — وان لم يطغ ذلك على بهاء اللغة الميسرة ، من ذلك مجىء (مـا) دخيلة على هذه التركيب (الفارق مـا بين العمل واللعب — ص 46) وسقوط الف كان ، فى (ولما كنت تلك اول ليلة لى فى مكة — ص 125) وتعويض من ، بعلى ، فى : (آه على شعرها ذاك الطويل المسترسل ! — ص 44) فالمقام مقام تعجب ! ومثل هذا تنقيص (يده) من : (وفى وسط الباب حلقة معدنية صدئة مد الرجل اليها وراح يقرع الباب بها بقوة — ص 27) . اخيرا ، قال الكاتب: (ووقف الشيخ صلاح يحدق بى مستغربا — ص 30) وفى مختار الصحاح : حدقوا به ، واحدقو به — احاطوا به . والتحديق : شدة النظر ، لذا حدق اليه : حدد النظر اليه ، وحدقه : نظر اليه . ومن هنـا وجب التصحيـح .

وكما افتتحت ، آمل — كقارىء عربى مسلم — انتشار مثل هذا النتاج القصصى ، انشاء وتوزيعا ، فذلك من احتياجات المرحلة ، مرحلـة التحديـات الثقافية .. وتحية عطرة — من الاعماق — لقصاصنا الاصيل محمد عبده يمانى .



البيت والمدرسة
وتنشئة الجيل الصاعد

للأستاذ عبد الرحمن بنعبد الله

ما فتئت التربية ، بما تطرحه من معضلات فى عالم اليوم ، تحتل مكان الصدارة فى شواغل الاختصاصيين فى علوم التربية والنفس والاجتماع . واذا كنا قد عرضنا فى دراسة سالفة لهذا المشكل الدقيق من منظوره النفسى والفنى البحث * ، فاننا نود ، تكملة لما انجزناه ، أن نتولى معالجته من الوجهة الاجتماعية العامة ، انطلاقا من الاسرة التى تلنا سلفا أنها الخلية التى تتخذ فيها الشخصية الطفولية صورتها الاولى الى المدرسة التى يبدأ فيها الطفل تجربته الاجتماعية ، حيث يعايش من انماط الشخصيات ما يستجيب له بالتفتح والاقبال او العزلة والانسحاب ، الى المجتمع الكبير الذى يتطلب منه تكيفا موصولا ولباقة متناهية والذى يقوم اساسا على الاخذ والعطاء ...

لقد اكدنا على ضرورة اشاعة جو الانسجام والتفاهم فى مجال العلاقات التى تشد الام الى الاب. بيد أننا نلحظ ، آسفين ، أن الام فى معظم الاسر التى اخذت بأسباب الوئام والتوافق لا تنفك عن التدخل فى كثير من المواقف التى يريد لها الاب ان تكون — تجاه الابناء — حازمة صارمة ، بغية استجداء عطفه واستثارة حنانه . وقد يكون فى ذلك ما يخل الى حد بعيد بأخلاق الابناء وتصرفاتهم فلا يتورعون عن ارتكاب المحرمات وممارسة الموانع والاستخفاف بسلطة الاب ، اعتقادا منهم بأن الام سند صحيح يصد عنهم عتاب الاب وغائلة سخطه . والعكس صحيح ، بيد أنه نادر ، فقد تنمحى شخصية الاب ، المعروفة عادة بسيطرتها وقوة سلطاتها ، لضعف فى تكوين بنيتها ، فتقوم مقامها الوالدة بالزجر والعتاب او الحرمان من الثواب . ، على ان ذلك لا يمنع الابناء من أن يتصرفوا فى هذا وذاك على النحو الذى سبق ان ذكرناه . وتلك ظاهرة نلحظها فى الاسر العربية الكبيرة ، ولها مضاعفاتها المعروفة التى تنعكس على المواضعات والاخلاق عموما

ومن المشاهدات المتواترة التى لا تخفى على الناقد البصير ان الاسرة تجتاز مرحلة انتقالية حاسمة تتعرض فيها القيم والاعراف لتغيرات جوهرية . ويرى فيها المحللون مظهرا من مظاهر الصراع الذى يعتلج فى نفس الجيل الجديد . فالطفل غالبا ما يكون موزعا

* راجع بحثا لنا بمجلة دعوة الحق عدد شتنبر 1970 تحت عنوان (فى آفاق التربية) .

بين موقفين فى غاية التناقض : موقف التبعية للاب الذى تفرضه التقاليد والذى غدا من الامور المسلم بها حتى أنه تقبله لا شعوريا فاستتبع لديه ثورة باطنية عارمة لا يتيسر لها ان تجد عنده متنفسا فى صلاته بأبيه ، وموقف التكامل والاستقلال الذى يتوق اليه المراهق فى بداية اطوار هذه المرحلة الخطيرة عن طريق الميل الى الثورة على كل طارف وتليد ، حتى اذا اصطدمت هذه الرغبة الجامحة بالموانع التى تمليها ضرورات التربية ومواضعات الاخلاق ، اصطبغت العلائق بين الاب والابن بصبغة الاكراه واصبح الابن (أو البنت) يتحاشى الحوار المباشر الصريح فى « بعض المواضيع الحرجة » .

كل هذه معطيات تعيشها الاسرة فى مرحلة الانتقال ولا تكاد تعيرها للاسف اى اهتمام . الا انها تتأصل بمرور الايام في نفسية الجيل الصاعد ، فينمو وقد اخذت شخصيته طريقها ، فى بطء وعلى غير علم منه ، الى التصدع والانهيار . ويقف على عتبة الحياة بتكاليفها ومسؤولياتها ، وايتكيف المطلوب والمرونة المنشودة شيء عسير بعيد المنال

هنالك ظاهرة أخرى كادت تختفى فى علاقات الآباء بالابناء نتيجة احتكاك الاسر العربية بالثقافة الغربية ولكنها لا زالت ذات وزن فى اذهان الكبار والصغار على السواء . تلك هى لعنة الوالدين او ما ندعوه عادة بسخط الوالدين فى مختلف الاوطان العربية ويرى علماء الاجتماع انها تشكل تهديدا صريحا لبناء الشخصية ، خاصة حين تكون هذه الاخيرة فجة لم تستو بعد على اتجاه تتميز به عن غيرها من انماط الشخصيات . ويعتقد هؤلاء العلماء انها تصبح ذات خطر جسيم حين يقترن مبدأ السلطة الابوية لدى المراهقين بالايمان الراسخ بالقدر المحتوم ! . وهى بالبداهة اشياء لا يمكن بخسها حقها من الدراسة والتأمل وان كان المجتمع يتخطاها اليوم الى غيرها من الظواهر المعقدة التى لم نجد لها بعد حلولا تخفف من حدة الجدل القائم بين المراهقين واولياء الامور .

من هذه المعطيات مأساة التعارض الملحوظ بين عقلية الآباء الثابتة وعقلية الابناء الناشئة ، بين العقلية المهيمنة على الكتاب ، التى تؤمن ايمانا راسخا بالاساليب التربوية التى عفى عليها الزمن والاساطير المتوارثة التى لا تتساوى اطلاقا وبنية المدرسة الحديثة حيث يتلقن المراهق انماط السلوك من خلال الاقاصيص والروايات والصور المتحركة واللقاءات الوطنية والدولية والمبادلات الثقافية وغيرها ...

ها هنا صراع آخر يقف الآباء ازاءه ساخطين غاضبين .. فتتسع الهوة على مر الايام بينهم وبين الابناء لانها مواجهة لا تعرف المرونة والاعتدال ، فالجانبان منها على طرفى نقيض : لا الآباء يتنازلون عن مواقفهم ويسعون الى التوفيق بين القديم والمحدث، ولا الابناء يقبلون الاخذ بالقيم القادرة على مسايرة متطلبات العصر الحاضر والتى يمكنها ان تندمج فيها . وفى اعتقادنا اننا لا نغالى حين نضفى طابع المأساة على هذا الصراع ، لانه غالبا ما يفضى الى الشتات والفرقة وانعدام الحوار بين افراد الاسرة الواحدة فتتفكك اواصرها وتتهافت الجسور الممدودة بين اعضائها . على أن للاباء بعض العذر فى اتخاذ مواقف التصلب والاستياء تجاه هذه التحولات الجذرية التى لا نعتقد أن التاريخ قد عرف لسرعاتها مثيلا قبل اليوم ، ومن الانصاف ان نعترف بأن الجيل المخضرم الذى ننتسب اليه ، اى الجيل الذى عاصر عقلية الكتاب القديم بمثلها وقيمها ثم واكب نشأة العقلية الجديدة بنظراتها الى الحياة وطرائقها فى العيش ، قد يلاقى هو الآخر فى كثير من الاحيان عنتا كبيرا فى تمثل بعض النظريات والايديولوجيات او مسايرتها ، فضلا عن المناداة بها والتشيع لها ...

هذه العراقيل التى تقف فى طريق النمو السوى للطفل اما ان تجد لها حلولا عن طريق الاسقاط أو التعويض ، والا بات على المدرسة أن تتولى مساعدته

على تخطيها ، لقد أمست المدرسة ، الى جانب دورها التعليمي المحض ، اطارا يحتضن التربية بمدلولها ويمتد حتى يشمل الوظائف التى كانت الى عهد قريب وقفا على الاسرة وحدها . يقول احد المربين : « ان المدرسة لن تلبث أن تصبح بالنسبة للطفل اسرته المفضلة اثناء فترة المراهقة بينما لا تعدو اسرته الحقيقية أن تكون اسرته اثناء الطفولة فحسب ، وفى هذا القول وحده دلالة قاطعة على التقدم المنشود فى هذا المضمار »

وقد أتيح لنا غير ما مرة ان نلاحظ بمزيد الاغتباط عناية المسؤولين عن مدارسنا بالنشاط التعاونى الذى ينمى فى الطفل روح التعاون والتعاضد وينقله من أفق التعليم الضيق الى آفاق الحركات التعاونية التى تصهر « الانا الفردى » فى « الانا الجمعى » وتمكنه من توسيع نطاق معارفه واغنائها بما تيسره له من لقاءات على المستوى الوطنى والدولى وما تبعث فى نفسه من توقان الى ترسم سبل التنافس البناء . واذا كانت امكاناتنا المادية والتأطيرية لا تيسر لنا اليوم ، بوصفنا دولة نامية ، احلال النشاط التعاونى مكانه اللائق به فى برامج المدرسة ، فان مجرد التفكير فى خلقه وتعهد خلاياه وامدادها بالمقومات المحدودة التى نملكها شىء يدعو الى الارتياح ويقوى الامل فى مستقبل للناشئة اسعد ، تتخطى فيه حواجز الماضى وعوائقه وتمسى ملاذا للطفل كلما اشتدت لديه وطأة الصراع فى هذه المرحلة الانتقالية من حياتنا .

ما من أحد يمارى فى أن المدرسة لم تعد ذلك البناء الذى يرتاده الطفل مكرها لان والديه يجبرانه على الاختلاف اليه و لانه امر ينقاد اليه بدافع التقليد الذى تفرضه المواضعات ، اسوة بجيرانه او معارفه من الاطفال ، فالمدرسة تهىء اليوم للطفل كل الوسائل الكفيلة باشباع رغائبه فى التجاوب المحمود مع اقرانه والمكاشفة الصريحة مع معلمه او استاذه وارضاء ميله الفطرى الى الاستزادة من المعارف بما تضعه بين يديه من كتب شيقة ينهل من فيضها ، وصور متحركة ترضى لديه ملكة الخيال وتنميها ، ونشاطات مختلفة تحبب الى نفسه تبادل الافكار ومقابلة الآراء وتدفعه الى تعشق الخلق والابداع .

فعلى هذا الدور الخطير الذى تضطلع به المدرسة يتوقف بناء الشخصية . وعليه ايضا تقع المسؤولية الجسيمة فى تقويم سلوك الناشئة بالنصيحة الهادفة والتوعية الصادقة . وما من شك فى ان المدرسة هى المصنع التى تتخذ فيه مكونات الشخصية طابعها النهائى لتخوض معترك الحياة . ولن يتأتى لها أن تكتسب ملكة التكيف التى تتطلبها الحياة اليوم ما لم تكن المدرسة معوانا لها عليه ، وهى بعد فتية تخطو ببطء فى طريقها الى النمو والاكتمال .

لا نشك فى اننا اسهبنا بعض الشىء فى تبيان ما يواجه الاسرة والمدرسة من عراقيل ومن مسؤوليات وان كان اسهابا لا اختيار لنا فيه اذ انه امر ضرورى لجلاء المسوغات الكامنة وراء السلوك السوى والسلوك الشاذ فى حياة الكبار .

فالشخصية مثلا بنظر العلامة « يونغ » تنقسم الى انبساطية وانطوائية . بيد أن اصطباغها بهذه الصبغة او تلك ، اذا كانت الوراثة تلعب دورها المعروف فيه ، فان للتربية والمناخ العائليين فيه اثرا لا يقل وجاهة واهمية يمكنه أن يتدخل بصورة مباشرة فعالة لتحوير بنية المعطيات الوراثية ذاتها . والدراسات الميدانية التى اجريت حتى الآن تنهض شاهدا لا يمكن دحضه على أن معاملة الاولياء من جهة والهياكل المدرسية من جهة اخرى أمران يلعبان أخطر الادوار فى حياة الشخص ، لا سيما فى مرحلة الطفولة الاولى .

كما اثبتت البحوث التى قام بها فريق من الاخصائيين منذ سنة 1950 فى ميدان الاجرام أن معظم المجرمين ان لم يكونوا كلهم ، يعانون — الى جانب سوء الاحوال المادية والاجتماعية — من قصور فى النمو الوجدانى راجع بالدرجة الاولى الى نوعية

التربية التى تلقوها فى البيت او الملجا مع اخلال الاولياء بأبسط قواعد التوعية الصحيحة

هذه تاملات لا ندعى انها احاطت بالموضوع احاطة شمول واستقصاء لاننا سنعود اليها بحول الله بمزيد من التفصيل والاسهاب ، ولكنها مجرد خواطر كتبناها على نور الشعور الانسانى الذى يستوى فيه كل الناس . وتنشئة الاجيال عبء نقدره حق قدره ونؤمن جازمين بأنه يستحق كل جهد ويتطلب بذل كل التضحيات ، ولنا فى المناظرة التعليمية الاخيرة التى دعا اليها وترأسها ورعاها سيد البلاد خير دليل واجمل قدوة .

جل ما نامله ان نكون قد وفقنا فى بعض ما ذهبنا اليه .

دكتوراه الدولة في العلوم الاسلامية والحديث

لأحد موظفي قسم الدراسات الإسلامية بالوزارة .

● حصل احد موظفي وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بمصلحة احياء التراث الاسلامي التابعة لقسم الدراسات الاسلامية ، هو الاستاذ صلاح الدين الادلبي على درجة دكتوراة الدولة فى العلوم الاسلامية والحديث من دار الحديث الحسنية وذلك بميزة (حسن جدا) ، وكان موضوعها : (منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي) وقد اشرف على الاطروحة الدكتور محمد فاروق النبهان وشارك فى المناقشة العلامة الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله والدكتور رشدي فكار والدكتور عبد السلام الهراس .

وكان الباحث قد حصل على دبلوم الدراسات الاسلامية العليا منذ خمس سنوات من دار الحديث الحسنية فى موضوع (كعب الاحبار: حياته ـ آثاره ـ تجريحه وتعديله) .

ويسعد (دعوة الحق) أن تهنيء الاخ الدكتور الادلبي ، بتفوقه وحصوله على هذه الدرجة العلمية الكبرى ، التي هي فى نفس الوقت تشريف للوزارة الذي يعتبر الباحث الاخ صلاح الدين احد موظفيها المشهود لهم بالكفاءة والعلم ●

ياقدس

للأستاذ الشاعر: محمد بن محمد العلمي

يا قدس ، يا مهد السلام … يا موطن الرسل الكرام ،
مسرى الرسول ، وقبلة … اولى ، ومنبع الاحترام ،
يا جنة الزيتون ، يا … مغنى العباقرة العظام ،
مهما يطل كر الزما … ن ، فانت انت على الدوام !
نبض من التكبير والـ … تهليل يعبق بالهيام
فى حضرة الله المهيـ … ـمن ، من تفضل بالسلام !

***

يا قدس ، يا عطر القرا … ديس التى تبرى السقام ،
لك عهدنا فى كل جيـ … ـل ، ليس يدركه انصرام
انا رضعنا حبك الـ … ـفياض من غير انفطام
والمسلمون قلوبهم … ما ضيعت منك الذمام ،
فى كل لحظ يذكرو … ن لديك ما فعل اللئام !

***

يا قدس ، كوثرنا الذى … برحيقه يشفى الإوام !
فى لجنة القدس انجلى … لضميرنا احلى ابتسام
يزداد فى (البيضاء) فضـ … ـل راق منه الاغتنام
ورباط وحدتنا على … امجادنا ابهى وسام
كل من الاجداد والـ … احفاد مجد لا يرالم

عود على بدء ، وصـ ـف واحد فى الخلد قام
فى الفرع للاصل المؤثـ ـل ها هنا اقوى ارتسام
والمجد للحسن المثـ ـنى من له اعلا مقام
فى الدين والدنيا لقد ملك القيادة والزمام
يمضى امير المؤمنيـ ـن بنا الى أسمى سنام
ما اخطأت منه الفرا سة فى العقيدة والكلام
فى العمق غاص مذكرا بالقدس ، فهى لنا قوام ،
والنصر معقود على راياته ، وفق المرام
وبفاس مؤتمر صدا ه بوقعه هز الانام !
ورواثع الحسن العظيـ ـم تجددت فى كل عام
والمسلمون توسموا فى شخصه ازكى امام
فيه (صلاح الدين) يشر ح كل سر للقيام
ويعيد للتاريخ غيـ ـرة ذلك البطل الهمام !
فالقدس ليس تعود الـ ـا بالفداء ، والاقتحام
وسلاحنا حسا ومعـ ـنى ، مشعل اقوى ضرام
فى قلب صهيون ، يذيـ ـق فلوله الموت الزؤام !
اذ نهضة الاسلام تبـ ـعث كل قلب مستهام ،
والقدس ما انصاعت ولن تنصاع قط للانهدام :
تهويدها معناه غا ية الامحاء والانعدام !
اذ كيف يرضى المسلمو ن المؤمنون ، بالانهزام ؟!!
فالمسجد الاقصى بنا دينا لغايات جسام
يشكو من الاعماق محـ ـنته الى البيت الحرام !
ويقول : « للثار انهضوا ، فالركب يمضى للامام !
وتقدموا قولا وفعـ ـلا ، للوفاء بالالتزام ! »

*****

فى القدس اولى القبلتيـ ـن ، لقد تبادلنا الغرام
فى مشرق ، او مغرب ، القدس جوهر الاهتمام
لا ، لن تهون ، ولن تدنـ ـس ، أو تهود ، أو تضام !
هى منذ كانت فى ظلا ل الحق منطلق الحمام
لم ترض ما تاتيه اسـ ـرائيل مفسدة النظام
والجرح مشترك يحـ ـث المسلمين على الوئام
من يعرف الحق المبيـ ـن ، فلن يخاف من الحمام

فى اللـه حصن المؤمنيـ ـن ،، لهم به اقوى اعتصام
قد حرر الاسلام معتنقيـ ـه ، من ذل وذام
من ثار من اجل الحقو ق ، ولن يعاب ، ولن يلام !
والمجد شاد صروحه من جاهدوا يوم الزحام .
فالنصر مكتوب ومضـ ـمون على حد الحسام !
يكفى تمزقنا ، ولهـ ـفتنا على جمع الحطام !
اذ كيف تقبل لا صلا ة ، او زكاة ، او صيام ،
ممن تناسوا ربهم ، وتجرعوا كاس المدام ؟!
واستمراوا اللذات ، لا يثنيهمو عنها احترام ،
فالعروة الوثقى بعهـ ـد اللـه ، ليس لها انفصام
والقدس من صهيون تبـ ـرأ ،، لن تعيش فى الانقسام
اتكون عاصمة لـه ؟ ! كلا ! شجبنا الانثلام !
ادهى الدواهى ما نرا ه من تهد واحتدام ،
وتهتك ، وخلاعة ، وتميع دون احتشام :
فجنون الاستهلاك لم يفرز حلالا من حرام !
تسرى بلايا ، الانحلا ل ، كما سرى داء الجذام !
يا سعد من عرف الطريـ ـق ، ومن تذكر واستقام !
ان الحقيقة دائما عنها لقد كشف اللثام
والسر منفضح من الـ ـرحمان ، ليس لـه انكتام
والصحوة الكبرى هنا ، لم تبق من قوم نيام
واللـه جل جلالـه ، رب عزيز ذو انتقام !
والليل مهما طال ، اعـ ـقبه انقشاع للظلام
والقدس يحضنها الصبا ح ، وينجلى عنها القتام

**

انا لاحوج ما نكو ن للاتحاد والانسجام
وخصومنا زالوا ، اذا زال التنابذ والخصام
فالنصر للاسلام يكـ ـمل بالصفاء والانسجام !

**

وا حسرتا للاجئيـ ـن تشردوا تحت الخيام !
فعيوننا لمصابهم جادت بدمع كالغمام
وقلوبنا حنت اليـ ـهم ، مثلما حن الحمام !
بالرغم من صهيون ، من كيد الدهاقنة اللئام ،

لا بـد أن تحظـى (فلسطيـــن) الحبيبـــة بالمــرام !
لا بـــد مــن يــوم الخـــلاص ، وعـودة الاهـل الكـرام !
فالحـق ينصـــر دائمـــا انصاره بيـن الانــام !

**

المغــرب المضيــاف روض الوافـديـن علـى الـدوام
وحــرارة الترحـاب تبـرز فـى العنـاق والاستلام
مرحـى باخـوان لنـا فـى ديننـا رمـز السـلام !
جاءوا لنجـدة قدسنـا ، يحدوهمو اقوى اعتزام
ونظامنـا فـى روحـه ، واصولـه ، اهـدى نظـام
فبـه نفاخـر دائمـا اترابنـا بيـن الانـام !
من لـم يعـز بذاتـه ، ضـل الهـدى قطعـا ، وهـام !!
والشكـر للحسـن الـذى بجهـاده بعـث الرمـام
من وحد الاوطـان حـقا فـى نظـام وانتظـام
والـى سياسـتـه الحكيـمة صـار يحسـن الاحتكام
ولـه الكرامـات التـى تحيـى المسيـرات الفخـام
فانظـر الـى الـوادى ، بما فيـه ، يـروق لـه انضمام !
فـى وحـدة لتـرابنـا ، قلب الاعادى ذو اضطرام
والاطلـس الجبـار حصـن قـد محـا كـل اصطـدام !
تلـك الحقائـق نحـن نحـياها ، فلسنا فى المنام !
والـوقت وقت الجد ، يـدعـونـا الـى شـد الحـزام !
بشـرى لعاهلنـا العظيـم ، فانـه نعـم الامـام !
فسلوكـه استمـرار سنـة جـده ، بـدر التمـام !
والامـــر للــه المهيـمن فـى البدايـة والختام !!

محمد بن محمد العلمي

الرباط

انبعاث الاسلام في البرتغال

للأستاذ محمد قشتيليو

قد يستغرب القارىء عندما يطالعه هذا العنوان ربما يقول من الافضل ان نقول ظهور الاسلام في البرتغال او دخول الاسلام الى البرتغال، الجواب على هذا تستنتجه من راي اسباني وقال من جملة ما قال فيه : « لا يجمل بنا ان نقول ظهور الاسلام في اسبانيا بل نقول انبعاث الاسلام في اسبانيا أن اسبانيا كانت قطرا اسلاميا وهذا ينطبق ايضا على البرتغال التي كانت هي ايضا قطرا اسلاميا .

كانت البرتغال قبل ثورة الازهار كما يسمونها ويرمزون اليها بزهرة القرنفل على راس البندقية - ثورة 25 ابريل 1974 تعيش تحت نظام استبداذي فلا حرية للتعبير ولا للتظاهر ولا ابداء الراي كعادة كل الانظمة الدكتاتورية ولما رفع عنها هذا الكابوس انفجرت انفجار البركان واظهرت ما كانت تخفيه بالامس فخرج للوجود دستور جديد ومن بين فصوله الفصل الاحدى والاربعين الذي ينص على منح حرية المعتقدات للشعب فبرزت للوجود الاحزاب والنقابات والمنظمات وغير ذلك مما هو موجود في العالم الحر وعلى الخصوص في اوربا الغربية فاصبح كل واحد يجهر بما يعتقد وما عنده من افكار واراء ويعبر بكل حرية عما يختلج في نفسه فظهرت للوجود اراء جديدة واديولوجيات غريبة عن الشعب وبالطبع فقد كان للعقيدة الاسلامية نصيب بعض الشيء من هذه الحركة فبرزت للوجود هيئة تحمل اسم (الجماعة الاسلامية) ، قلنا عندما قامت ثورة ابريل الانفة الذكر تحررت الافكار من قيودها والشعب البرتغالي كان متعطشا لهذه الحرية التي انسجمت وطبيعته فهو غير متعصب في تفكيره ولا متزمت في آرائه فلا يجادلك في دينك ولا يحاجيك في معتقدك فهذه مسالة بالنسبة اليه هامشية بل لا تحدثه نفسه البتة بذلك كما انه غير عنصري فالناس عنده سواسية فتجد الاسود متزوجا بالبيضاء والعكس دليل على هذا فقد نزح كثير من سكان المستعمرات السابقة بافرقيا فتجد الاسرة الواحدة تتكون من خليط من البشر ما بين أسود وابيض ومخضرم كما ان صفة البرتغالي تكتسي طابع الجدية فهو قليل النكتة جاد في المعاملة فبعكس ما تجده في جاره الاسباني المتعصب للدين ويعادي كل من هو من غير دينه اذ لا يستبعد - والحالة هذه - ان تجد الدعوة الاسلامية في البرتغال عقولا خصبة واذانا صاغية وعقولا متفتحة ، وقد تلمس هذا منهم في محادثتك معهم - حول الشؤون الدينية ، فهم يحترمون اراء الغير ، فمن هذا نستنتج ان حملاتهم التبشيرية وبعثاتهم العسكرية التي كانت ترسل من طرف ملوكهم واباطرتهم في الماضي انما كانت حملاة تكتسي صبغة تجارية وفتوحات لاسواق اقتصادية جديدة

فرأي رجل الشارع في البرتغال حول موقعة وادي المخازن مثلا مجرد راي او فكرة تكتسي صبغة توسعية فاذا حدثك عنها تحس من حديثه انه يحدثك عن حملة توسعية لا حملة دينية كما كانت حملاتهم الى الهند وآسيا من اجل التجارة وجلب مواد تلك البقاع للاتجار فيها ، فضون سيبسطيان حسب ما يستنتج من آرائهم كان لبرنامجه الذي خطه وجهان : الوجه الديني وهو الذي اظهره للبابا لكسب تأييده لان البابا رجل دين ، ووجه آخر للشعب وهو التوسع والتجارة لضيق رقعة ارضه فهو قد خاطب كل واحد بما يروقه وما يريد .

لقد ظهرت بعد الثورة عدة احزاب ومنظمات بعد ما كان حزب واحد وهو الحاكم اذ ذاك فاصبحت البرتغال تتوفر على اثني عشرة حزبا ، وقد اغتنم المسلمون الموجودون بالبرتغال الحالة الراهنة فتقدموا بطلب الى المسؤولين لاجل تاسيس جماعة ومركز اسلاميين بعدما اخفقوا في الحصول على اذن لذلك من مسؤولي العهد البائد ، ظهرت هذه الهيئة الى الوجود يترأسها السيد سليمان بالي محامي من اصل مزنبيقي يقطن لشبونة من عدة سنوات قبل الثورة ففي سنة 1977 تأسس المركز الاسلامي بالبرتغال بصفة قانونية وهو مؤلف من رؤساء البعثات الدبلوماسية الاسلامية المعتمدة بالبرتغال كاعضاء شرفيين وعاملين في نفس الوقت وهدف المركز هو :

(1) ـ العمل على تدعيم وتوثيق روابط الصلة بين افراد الجماعة الاسلامية المتواجدة بالبرتغال والعمل على تثبيت مشروعيتها .

(2) ـ بناء مسجد بلشبونة ،

(3) ـ بعث الروح الدينية في مسلمي البرتغال.

(4) ـ تنظيم دروس في اللغة العربية للمسلمين وغير المسلمين .

ويتكون المركز من جمعيتين : الجمعية العامة المكونة من رؤساء البعثات الديبلوماسية الاسلامية المعتمدة في البرتغال ثم الجمعية الادارية المؤلفة من رئيس الجماعة الاسلامية واحد رؤساء البعثات الدبلوماسية الاسلامية المعتمدة في لشبونة .

لقد اصبح الآن للمركز كيان وحرية ، فصار المشرف عليه السيد سليمان يصدر النشرات وينظم تجمعات دينية بالمناسبة ويستدعي اساتذة وعلماء لالقاء محاضرات في اهم المراكز العلمية والثقافية بالعاصمة البرتغالية كمركز كولنكيان ذا الشهرة العالمية والذي يعتني بالبحث العلمي ، والحكومة البرتغالية تقيم فيه الحفلات وكل التظاهرات ذات الصبغة الرسمية واهم حدث سجل فيه في عهد الثورة تنظيم الانتخابات التشريعية بالبلاد ، وقد اشتد ساعد رئيس الجماعة الاسلامية بورود كثير من المهاجرين المسلمين القادمين من المستعمرات البرتغالية السابقة بعد اعلان استقلالها وخاصة من المزنبق حتى اصبح يقدر عدد المسلمين بالبرتغال الآن باثني عشرة الف مسلم يقطن اغلبها بالعاصمة اشبونة ، وتصدر الهيئة بعض نشرات باللغة البرتغالية للتعريف بالاسلام واللغة العربية تنشر على صفحاتها تعاليم الدين الحنيف وترجمة لبعض سور القرءان والاحاديث النبوية ومعلومات عن تاريخ الاسلام وعن الاقطار الاسلامية الى غير ذلك ، كما تقوم الهيئة ايضا بترجمة لكتب بعض اعلام الاسلام الى اللغة البرتغالية فقد ترجمت كتابا لابي الاعلى المودودي (التعريف بالاسلام) وكتابا لحمودة عبد اللطيف ، كما اصدر رئيس الهيئة عدة تآليف نذكرها فيما يلي :

(1) ـ مصدر القانون الاسلامي

(2) ـ محمد والاسلام

(3) ـ الاسلام والقانون

(4) ـ الاسلام في البرتغال الآن

(5) ـ فلسطين : مأساة العصر

(6) ـ الفكر الاسلامي

(7) ـ القرآن والثقافة البرتغالية

(8) ـ الاسلام في العالم

(9) ـ الزواج في الاسلام

(10) ـ النهضة في العالم الاسلامي

(11) ـ علاقات البرتغال بالعالم العربي

وقد ذكرنا اهم مؤلفاته وهو باستمرار يصدر في كل مناسبة كتابا ، ومن نشاط رئيس الجماعة الاسلامية تأسيسه (جمعية اصدقاء البلاد العربية) هدفها العمل على توثيق عرى الصداقة بين البرتغال والبلاد العربية

بواسطة التبادل الثقافي والتجاري وهو الاسفار الى البلاد العربية الشرقية وخاصة السعودية هذا ومما تجدر الاشارة اليه ان الحكومة السعودية قامت بنشر كتاب عن الاسلام باللغتين العربية والبرتغالية قصد تزويد الجالية الاسلامية بالبرازيل بمعلومات عن الدين الاسلامي عنوانه : (الطريق الى الاسلام) تاليف احمد صالح وهو مبعوث الحكومة السعودية للدعوة الى الاسلام بالبرازيل ، وقد استفادت منه الجماعة الاسلامية ايضا بالبرتغال نظرا للغة التي نشر بها .

الجماعة الاسلامية في حاجة الى مسجد

قام رئيس الجماعة الاسلامية بعدة مساعي لدى الدوائر المسؤولة بالبرتغال بقصد الحصول على قطعة ارض لبناء مسجد بالعاصمة ، وكان يستعين هذا بسفراء الدول الاسلامية وفعلا تكونت لجنة من سفراء المملكة المغربية ، مصر العربية ، ليبيا ، تركيا ، باكستان وقامت اللجنة بعدة مساعي الى ان حصلت في النهاية على قطعة ارض من طرف بلدية لشبونة لبناء مسجد اسلامي في اجود احياء العاصمة ثم عملت اللجنة عدة اتصالات مع حكومتها بقصد المساومة في بناء المسجد وكذا مع بعض الدول الاسلامية الغير الممثلة في البرتغال بقصد الحصول على مساعدة مالية كمساهمة منها في تحقيق المشروع وقد وضع في النهاية الحجر الاساسي للمسجد بصفة رسمية ، اما الصلوات فقد كانت تقام بصفة مؤقتة وخاصة صلاة الجمعة والاعياد والتراويح في ليال رمضان المعظم في قاعة بدار سكنى سفير مصر كان قد سبق ان تكرم بذلك للجالية الاسلامية وكان سفير مصر اذ ذاك يبذل مجهودات في هذا الباب تشمل عدة مجالات ، كما وضع كتيبا باصطلاحات املائية للغة البرتغالية بقصد النطق الصحيح للأيات القرآنية التي تكتب للبرتغاليين المسلمين كما كان يضع يومية سنوية بالتاريخين الهجري والميلادي حسب التوقيت المحلي لمدينة اشبونة وما جاورها وحصة لاوقات الصلاة في شهر رمضان المعظم ، وعندما غادر السفير المصري اشبونة بصفة نهائية اكترى رئيس الجماعة مكانا مؤقتا لاقامة الصلوات ريثما يبنى المسجد .

وقد جرت العادة ان تحتفل الجماعة في كل عيد فيساهم كل افراد الجالية الاسلامية بواسطة اكتتاب لاقامة حفلة شاي او عشاء يوم العيد بقصد التعارف .

ان المسلمين بالبرتغال هم في حاجة الى من ياخذ بيدهم ويفقههم في دينهم فهم لا يعرفون من الاسلام الا مظاهره وخاصة الجيل الصاعد منهم فقد تجد الشاب منهم صائما ولكنه يدخن وهو لا يعلم ان التدخين يفسد الصيام ، كما ان لهم عوائدة غريبة في اداء الشعائر الدينية ، فالفرد منهم لا يؤدي الصلاة الا بعد ان يضع طاقية في مؤخر راسه وا نلم يجد فمنديلا يظهر ان لهم بعض عوائد ماخوذة عن بعض المذاهب الاسلامية في البكستان او الهند ، فمسلمو المزنبق على الخصوص لهم سحنة خاصة بهم يشبهون كثيرا في تقاسيم وجوههم ولون بشرتهم للبكستانيين او الهنود حتى تظن انهم منهم واليهم وهذا اظنه راجع الى خبرة الهجرة من الهند الى هذا القطر الذي هو مقابل له جغرافيا ولكن الشيء الوحيد الذي يلاحظ من هؤلاء هو حبهم العميق لكل مسلم وخاصة المسلم المنحدر من الاقطار العربية حيث يرون فيه المسلم الامام والقدوة الحسنة لانه يتكلم العربيه والعربية هي لغة الدين وهم ذوو اخلاق طيبة فاذا علم الشخص منهم انك مسلم يبادرك بالسلام ويعرض عليك خدمته ففيهم علماء اجلاء واطباء وذوو ثقافة عالية ولهم وزن في الحياة البرتغالية .

فقد يستنتج مما ذكر ان للاسلام مستقبلا مشرقا بالبرتغال ويمكن ان ينتشر بسرعة غيره في جارته اسبانيا للسببين التاليين :

(1) عقلية البرتغالي الخالية من التعصب الديني الاعمى كما اسلفنا ،

(2) الامتزاج بالعنصر الافريقي المسلم بالمصاهرة وهذا عامل اساسي وفعال في انتشار الاسلام وتحديره في البرتغال ، فالعنصر الافريقي المسلم متشبث بدينه وغيور عليه نظرا للاضطهاد الذي لاقاه من الوثنيين من ابناء جلدته في ارضه الاصلية حتى ادى به الحال الى الهجرة منها الشيء الذي لم يجده من طرف البرتغاليين.

هذه نظرة خاطفة عن المسلمين في البرتغال وحسب ما يبدو انها نهضة مباركة للاسلام بشبه جزيرة ايبريا على العموم وفي لوسيطانيا على الخصوص الذي نراه ينبعث فيها من جديد وما ذلك على الله بعزيز .

الرباط ـ محمد قشتيليو

المظاهر الثقافية في الحضارة الاسلامية : 2

الرّياضيات والفلك

للدكتور محمد كمال شبانة

من المجالات التـي أسهم فيها العرب بنصيب وافر الرياضيات والفلك . وكان العرب فى صدر الاسلام لا يابهون لتعلم الحساب ، فلمـا تحضـروا وراوا افتقارهم للحساب مالوا اليه ، ثم ما لبثوا ان استغرقوا فى طلب العلم كله على اختلاف أنواعه ونقلوه الى لسانهم ، فكان الحساب فى جملة تلك العلوم .

ومن اكبر مآثر التمدن الاسلامى فى الرياضيات نقلهم الحساب الهندى ، والارقام الهندية من الهنـد الى سائر اقطار العالم . فالعرب يسمونها ارقامـا هندية لانهم نقلوها عن الهند . والافرنج يسمونهـا عربية لانهم اخذوها عن العرب ، واول من نقل هذه الارقام عن الهند هو ابو جعفر محمد بن موسى .

ومن أعظم ما اسداه العرب للعالم فى الرياضيات اختراع علامة الصفر ، فهم اول من استعملوه كمـا نستعمله اليوم ، وهذا الاختراع جعل فى الامكان حل المعادلات الطويلة ، والعـرب هم واضعـو الكسـر العشرى . وبصفة عامة فان الحساب اصبح بفضل العرب علما راسخا ، اذ صاغوه فى الصورة التى نالفها اليوم والتى اخذها عنهم الاوربيون .

واما الجبر فللعرب فضل كبير فى وضعـه أو تاليفه ، ففى حركة الترجمة عن اليونانية نقل كتابان فى الجبر ، وقد اصبح معروفا أن هذين الكتابين ليسا من الجبر فى شىء ، او انهما قدما اصولا ضـعيفـة لا يعتد بها ، والاعتقاد السائد فى اوربا ان الجبر من موضوعات العرب .

والحقيقة ان العرب بعد ان اطلعوا على حساب الهنود واضافوه الى ما نقلوه عن اليونان بنوا على ذلك علم الجبر . وقد بلغ علم الجبر من الانتشار بين العرب الى الحد الذى الف معه ابن موسى كتـابا موطئا له بامر المامون . ومن هذا الكتـاب اقتبس الاوربيون — بعد زمن طويل — معارفهم الاولى لعلم الجبـر .

ومن اشهر المؤلفات العربية فى الجبر كتـاب الجبر والمقابلة ، الذى الفه محمد بن موسى الخوارزمى من علماء القرن الثالث الهجـرى . والظاهـر ان الخوارزمى جمع ما عثر عليه من الاصول الجبريـة عند اليونان والهنودوالفرس ، واستخرج من كـل ذلك الجبر العربى .

عنى العلماء العرب بشرح كتاب الخوارزمى مرارا فقد شرحه كل من سنان بن الفتح ، وعبد الله بن الحسن العدنانى ، وابى الوفا الترجانى ، والبيرونى. وقد ترجم كتاب الخوارزمى الى اللغة اللاتينية ، وبذا انتقلت معارف علم الجبر العربى الى اوربا ، ولاصالة العرب فى هذا العلم فانه يعرف باسمه العربى فى جميع اللغات الاوربية .

والف ايضا فى الجبر ابو كامل شجاع بن اسلم، وابو حنيفة الدينورى المتوفى سنة 281 هـ ، وابو العباس السرخسى المتوفى عام 286 . وعن هؤلاء العلماء العرب وغيرهم اخذ الاوربيون اصول نهضتهم الحديثة .

ومما احدثه العلماء العرب فى الهندسة انهم طبقوها على المنطق ، وقد فعل ذلك ابن الهيثم اوائل القرن الخامس الهجرى ، فانه الف كتابا جمع فيه الاصول الهندسية والعددية من اقليدس وغيره ، ونوع فيها الاصول وقسمها ، وبرهن عليها ، وادخل التحليل الهندسى والتقدير العددى ، وعدل فيه عن اوضاع الجبرين والفاظهم .

وقد اشتغل بن موسى بن شاكر باستخراج مسائل هندسية لم يسخرجها احد من الاولين ، كقسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية ، وغير ذلك .

وبجانب ابن الهيثم والحسن بن موسى نجد علماء آخرين اشتهروا بابحاثهم فى الرياضيات ، مثل محمد بن محمد البوزجانى من علماء القرن الرابع الهجرى ، وقد اشتغل هذا العالم بعلمى الفلك والرياضيات ، ويقول عنه علماء اوربا : « ان له فى الهندسة استخراجات غريبة ، لم يسبق اليها ، وله كذلك مبتكرات فى الاوتار » . وقد كتب هذا العالم فى الجبر ، وكتب فى العلاقة بين الجبر والهندسة ، وله بحوث قيمة فى المثلثات ، وادخل تجديدات على القطاع ، وعلى يده تقدمت نظريات المثلثات .

واشتهر فى اوائل القرن الرابع ايضا محمد بن الحسن الخازن ، ويقال عنه انه اول من حول المعادلات التكعيبية بوساطة قطوع المخروط ، وله بحوث كثيرة فى المثلثات .

واشتهر فى هذا العصر ايضا ابو عبد الله البتانى فى الفلك والرياضيات ، وكان لهذا العالم باع طويل فى الهندسة وحساب النجوم ، وقد ترجمت بعض مؤلفاته الى اللاتينية وطبعت بروما سنة 1799 .

ويحتل بعض علماء الرياضة العرب الذروة فى نظر الاوربيين ، فمما هو مشهور عن الاستاذ كارل ساخاو ــ الذى كان استاذا للغات السامية فى جامعة فيينا ــ قوله عن البيرونى : انه اعظم العقول التى ظهرت فى العالم . كما يعتبر البتانى ــ فى نظر احد اساتذة فرنسا الكبار ــ واحدا من عشرين رياضيا ظهروا فى العالم الحديث والقديم .

وفى ختام الحديث عن الرياضيات تحسن الاشارة الى اهم ما يمكن ان ينسب الى العرب من التجديدات. فهم قد ادخلوا الخط المماس الى حساب المثلثات ، وحلوا المعادلات المكعبة ، وتوسعوا فى مباحث المخروطات ، واحلوا الجيوب محل الاوتار ، وانشأوا النظريات الاساسية لحل مثلثات الاضلاع ، كما انهم توصلوا الى نتائج باهرة فى علم الضوء ، وامتداد الضوء على السموت المستقيمة ، وفى الاضواء العرضية والمنعكسة ، وانعكاس الضوء وانعطافه .

ولا يسعنا الا القول بان تجديدات العرب فى هذه المسائل وغيرها كانت ثورة علمية بعيدة الآثار بالنسبة للحضارة الاوربية الحديثة .

بجانب دراسة الرياضيات اهتم العرب بدراسة الفلك وصار لهم فى هذا العلم فضل كبير ، ويكفى انهم جمعوا فيه بين مذاهب اليونان والهند والفرس نبغ فى هذا العلم محمد بن موسى الخوارزمى ، وقد اصطنع هذا العالم « زيجا » جمع فيه بين مذاهب الهند والفرس والروم . وقد اخترع الخوارزمى فى

مؤلفه ابوابا حسنة ، فاستحسنه اهل عصره وطاروا به فى الافاق . (الزيج كتاب فيه جـداول حركـات الكواكب يؤخذ منها التقويم) .

وقد اشتهر فى علم الفلك ايضا بنو شاكر الثلاثة، ومن اعمالهم المشهورة انهم قاسوا للمأمون درجـة خط نصف النهار ، واستعملوا فيها محيط الارض . وقد الف بنو شاكر كتبا جليلة فى الفلك ودرجة خط نصف النهار ، واستعملوا فيها محيط الارض . ونبغ فى هذا العصر ابو معشر البلخى المتوفى سنة 272 هـ، وقد الف ابو معشر فى علم الفلك كثيرا . واشتغـل بالفلك كل من البوزجانى والبيرونى ، وفى القـرن السابع الهجرى نبغ فى علم الفلك نصير الدين الطوسى

وقد ادت مباحث العلماء العرب والمسلمين فى علم الفلك الى نتائج هامة ، ومن اول ما يشار اليه فى هذا الصدد ما قالوه بابطال صناعة التنجيم المبنية على الوهم ، ولعلهم اول من فعل ذلك وان كانوا لم يستطيعوا ابطالها كلية ، ولكنهم مالوا بعلـم الفلك نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كمـا فعلوا بعلم الكيمياء .

وقد ادى الفلكيون العرب خدمات جليلة للانسانية بما توصلوا اليه من نتائج هى ثمرة تجاربهم وابحاثهم، فان تقديرهم لانحراف سمت الشمس هو ما يعـدل التقدير الذى انتهى اليه علماء الوقت الحاضر ، وقد نشا عن تحقيق العرب للاعتدال الشمسى تعيينهـم مدة السنة بالضبط ، وقد اقدموا على قياس خط نصف النهار الذى لم يوفق اليه علماء اوربا الا بعد مرور عشرة قـرون .

هذا ، وكانت المراصد التى انتشرت فى حواضر العالم الاسلامى — حتى القرن الثامن من الهجرة — مراكز ابحاث هامة فى علم الفلك ، وقد زودت هـذه المراكز بالكثير من الاجهزة والآلات التى استخدمها فلكيو العرب فى تجاربهم ودراساتهم . والى هذه المراصد يعود الفضل فيما استطاع العرب ان يتوصلوا اليه من الحقائـق .

اخيرا ، لقد انتقلت المعارف التى توصل اليهـا العلماء العرب فى علم الفلك الى اوربا ، وانه استنادا اليها فقد نشأ علم الفلك الحديث .



فلسطين الجريحة

للاستاذ شهاب جنبكلى

جرح العروبة بالفداء سيزهر … ودم الشهيد على الغزاة زواجر

صوت الوفاء يشق أطراف الدجى … والواهبون نفوسهم لم يخسروا

جنت مآقى الروع واحتبست لها … انات شعب مزقته الاعصر

كانت عيون السفح تقضى بالاسى … واليوم بالعزم الشديد تحرر

ان كان فى الاعصار ادمع نازح … شدت عليه صواعق ومخاطر

فلسوف ينقشع الغمام ويرتوى … من ارضنا شمخ علا ومعابر

بيسان (1) تذوى من قيود غزاتها … وجنين تشكو من فرى يدعر

فى كل يوم تستقى ارباعهم … حمرا طهورا من رعيل يجار

الارض ثكلى ، والعزيز مشرد … والام ظمأى ، والدماء تخبر

ارض العروبة ما انحنت لملمة … فالريح تعصف بالوضيع وتدبر

صفحات قلب المشرفى (2) تنبهت … وشهامة الابطال اضحت تفخر

هاجت رياح (3) فى الجنوب فراعها … انباء عقد فى الرباط توقر

طلعت نجوم فى الضحى فتلألات … والشمس تبسم للقاء وتخطر

عبرات قومى فى الفواجع بدلت … يوم الرباط بفرحة لا تنكر

والطامحون بأرضنا لم يفلحوا … فى ذر سم للفساد يسجر (4)

(1) بيسان وجنين مدينتان فى فلسطين

(2) المشرفى : سيف له شهرة ، وكناية عن الاستعداد للقتال .

(3) رياح فى الجنوب : اى اسرائيل .

(4) يسجر : يوقد ويزداد اشتعالا

عادت الينا عزة لا تنثني
وتناءبت ريح الفجاج وقد غدت
فاذا الصباح يرد ليلا قاتما
واذا السماء تهز طرفا ماجدا
دنيا الشهامة فى حنايا امتى
حدب عليهم من عميق جراحنا
قاد الحقيقة للعروبة وانجلت
حمل الامانة للقيام بنهضة
والقدس انت من جراح غزاتها
دوت فلسطين الجريحة صيحة
من كان ذا صول فيحمى ارثنا؟
من كان ذا قدر يحرر قدسنا ؟
عمر الفتى ، مقياسه بفعاله
اسلامنا يحميه من قاد الجيو
طابت له الدنيا بقدرة يعرب

عادت الينا قوة تتفجر
من هاديات النصر صوتا يغمر
واذا الفياق تستجيب وتظهر
واذا الوجوه مشاهد وبشائر
والمخلصون تعانقوا وتآصروا
والعين تهفو للمليك وتنظر
آفاق فجر للمروءة تذكر
تعطى الفلاح لامة تتحرر
قرات عزاء فى الرباط يزمجر
كانت لها فاس ترد وتزار
والعاهل المغوار ليث اقدر
ومليكنا فى عهدة يتصدر
والزائفون بمدهم لن يذكروا
ش لوحدة فى مغرب لا يقهر
وله المروءة حافظا يتبصر

(5) مؤتمر القمة الاسلامى فى فاس ، وتسلم صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى رئاسة لجنة انقاذ القدس

على هامش نداء اليونسكو لانقاذ آثار مدينة فاس :

تصويبات لبعض الأخطاء بالمدرسة البوعنانية

-2-

للدكتور عثمان عثمان اسماعيل

اشرت بالمقال السابق الى وجود رخامة صغيرة الابعاد حديثة العهد ملتصقة بأحد جانبي مدخل المدرسة الشهيرة باسم (البوعنانية) بالطالعة الكبرى من مدينة فاس ، وقد نقش باللوحة المذكورة اسم المؤسس وتاريخ البناء في اربعة اسطر هذا نصه (مدرسة البوعنانية اسسها ابو عنان المريني بتاريخ 759 هجرية) .

لقد أوضحت للقارىء الكريم بالمقال السابق الخطأ التاريخي الوارد بتلك اللوحة ، وقدمت نصا لنقش التأسيس والتحبيس الاصلي على المدرسة المتوكلية التي اسسها امير المؤمنين ابو عنان المريني بمدينة فاس .

ولا بأس مرة اخرى من تذكير القارىء الكريم باهم عبارات النص الذي اوردناها بالمقال السابق لامكان متابعة البحث وتحليل نقش التحبيس الاصلي :

(... **امر بانشاء هذه المدرسة** المباركة السنية **المسماة بالمتوكلية المعدة لتدريس العلم والمفضلة باقامة فرض الجمعة امير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين على الله ابو عنان فارس** ابن مولانا الامام العادل الفاضل ...**امير المؤمنين ابي الحسن** ابن مولانا ... ابي سعيد ...**وكان ابتداء بنائها** في الثامن والعشرين لشهر رمضان المعظم **عام احد وخمسين وسبعمائة والفراغ منه آخر شعبان المكرم عام ستة وخمسين وسبعمائة** وكان بناؤها على يدي الناظر في الحبس بحضرة فاس حرصها الله تعالى ابي الحسن بن احمد بن الاشقر وفقه الله تعالى ...)

وكنا قد بدانا تحليل نقش التحبيس بالمقال السابق ووقفنا على أهمية النص على (الامر بالانشاء)، ثم تحديد وظيفة المؤسسة فاسمها الاصلي (المتوكلية) ومصدره ثم لقب امير المؤمنين الى ان وصلنا الى تحليل قيمة اللقب التاريخي التقليدي (المجاهد في سبيل رب العالمين) الذي يطبع عصور ودول المغرب الاسلامي .

ونشرع الآن في تحليل بقية النص مع دراسة الميزات المعمارية للمدرسة المتوكلية ومكانها بالنسبة لتطور التصميمات المعمارية الاسلامية بالمغرب والمشرق .

---

* وقع خطأ مطبعي بالعدد 4 (يوليوز 1980) في مقال (على هامش نداء اليونسكو) ص 67 بشرح اللوحة الاخيرة . وصحة الشرح (نص رخامة التأسيس والتحبيس لمدرسة ابي الحسن المريني بسلا المؤرخة بعام 742 هـ) .

6 ــ (لتدريس العلم والمفضلة باقامة فرض الجمعة) :

ويوضح النص هنا القصد من تشييد ذلك البناء كمدرسة لتدريس العلم شان بقية المدارس المرينية السابقة ثم يضيف ميزة اخرى للبناء تنفرد بها تلك المدرسة عن بقية المدارس الاخرى باعتبارها مسجدا جامعا يقام فيه فرض الجمعة ، لقد اصبحت البوعنانيه حقيقة الجامع الرابع بمدينة فاس بعد القرويين وجامع الاندلس والمسجد الكبير بفاس الجديد . وهكذا تنفرد البوعنانيــة عــن المدارس المعروفة باشتمال وحداتها المعمارية على صومعة فى نفس الوقت الذى زود فيه بيت الصلاة بمنبر لخطبة الجمعة . لقد اصبح البناء مدرسة ومسجدا كما حدث فى القاهرة بالنسبة لمدرسة السلطان حسن او جامع السلطان حسن فى مواجهه القلعــة .

على ان ذلك النص يفيد الاثرى من جهة اخرى، انه يجعلنا ندرك يقينا بان البناء قد زود منذ بداية تشييده بصومعة مرينية ومنبر مرينى ، لانه من الجائز ان يعتقد الباحث باضافة تلك الوحدتين ــ الصومعة والمنبر ــ فى عصر متاخر عن عصر بناء المدرسة نظرا لخلو جميع المدارس المرينية الاخرى من هاتين الوحدتين واعنى بذلك الصومعة والمنبر ، خاصة بعد ان نقل المنبر اخيرا الى متحف البطحاء بفاس .

7 ــ (المتوكل على الله ابو عنان فارس) :

مر بنا ان (المتوكل على الله) لقب استمدت منه المدرسة اسمها . (وابو عنان) هى الكنية كما سبق تبيانه ، اما (فارس) فهو الاسم . لكن المهم هنا النص على ان الامر بالبناء (أمر بانشــاء هذه المدرسة) تم توضيحه بالاسم والكنية واللقب مــع تواجد التاريخ الذى نناقشه بعد اسطر ويقع ضمن مدة حكم ابن عنان . وبهذا يكون ابو عنان قد امــر بالانشاء وباشر ذلك وتم جميعه فى مدة حكمه هو حيث نرى سوابق اخرى يقوم فيها ولى العهد بالبناء فى حياة ابيه كما حدث عندما باشر ابو الحسن فى أيام امارته تشييد بعض مرافق الدولة ومدارسها بأمــر والده السلطان ابى سعيد عثمان الذى لم يتــرك نقشا تاسيسيا فى حياته لتلك المؤسسات .

ــ (وكان ابتداء بنائها فى الثامن والعشريــن لشهر رمضان المعظم عام احد وخمسين وسبعمائة).

لا خلاف هنا على تاريخ البدء فى البناء الذى وقع فى عهد امير المؤمنين ابى عنان سنة 751 للهجرة، لكن الموضوع يجب ان يطرح تساؤلا آخر لان ذلك التاريخ يدخل من جهة اخرى فى حياة امير المسلمين ابى الحسن والد ابى عنان الذى كان بقيد الحياة حتى عام 752 هجرية . ونحتاج هنا الى تحديد وضــع السلطان ابى عنان فهل كان فى ذلك التاريخ وليا للعهد مثلا ننفذ اوامر السلطان ؟ يذكر المؤرخون ان ابــا عنان ثار على والده ابى الحسن وتابعه الى نواحى وادى ام الربيع حيث تراجع ابو الحسن الى جبل هنتانة ، والمعلوم ان ابا الحسن توفى 23 ربيع الثانى سنة 752 هجرية (13 يونيو 1351 م) (1) وكان ابو عنان قد بويع منذ (منسلخ ربيع الاول سنة تسع واربعين وسبعمائة) (2) وباشر مسؤولياته كامير للمؤمنين قبل وفاة (3) ابيــه .

---

(1) A.BEL. IBID TX I. Nov. Dec. 1918 P. 342

(2) الاستقصا 182/3 .

(3) عن وفاة ابى الحسن ودفنه الاول ثم نقل جثمانه الى شالة راجع كتابنا تاريخ شالة ثم حفائر شالة .

9 ــ (والفراغ منه آخر شعبان المكرم عام ستة وخمسين وسبعمائة) :

وهكذا كمل البناء ووقع الفراغ منه فى حياة امير المؤمنين ابى عنان آخر السلاطين العظام فى تاريخ الدولة المرينية الذى توفى عام 759 (4) للهجرة . وبالنسبة الى تاريخ تمام البناء فقد وقع خلط فى الجزء الثانى من جامع القرويين حيث ذكر الدكتور عبد الهادى التازى اولا تاريخ 756 هجرية (ولم تتم الا فى اواخر شعبان المكرم من سنة 756 (5) هجرية ، ثم يعود بصفحة تالية الى القول بان الفراغ منها كان 755 (6) . ولهذا لزم التنويه والاشارة الى قراءة (الفردبل) الذى قام بعمل قالب جبسى لدراسة النص وذكر ان (الفراغ منه كان آخر شعبان المكرم عام ستة وخمسين وسبعمائة) (7) .

ومن هذا راينا ان اللوحة الصغيرة الملصقة حاليا بمدخل المدرسة موضوع البحث انها تحمل تاريخا واحدا فقط (اسسها ابو عنان المرينى بتاريخ 759 هجرية) بعيدة عن الصواب وتستحق الوقوف عندها للتصحيح نظرا لاهمية البناء التاريخية وشهرته وقيمته المعمارية ... ذلك ان المدرسة بدا بناؤها سنة 751 وتم تشييدها 756 هجرية .

وفضلا عن انفراد المدرسة المتوكلية بين مدارس المرينيين بالصومعة (8) والمنبر ، فلا باس هنا ان نتعرض لترتيبها بالنسبة لتطور التصميمات الهندسية لتلك العمائر الاسلامية .

وفى هذا الصدد يمكننا الآن تقسيم مدارس القرن الثامن الهجرى بالمغرب الاقصى الى ثلاث مجموعات داخلة فى النطاق التاريخى لمؤسسيها ، وذلك بعد مدرسة الصفارين (ابو يوسف يعقوب 670 هـ وهى المدرسة الوحيدة التى وصلتنا من القرن السابع الهجرى .

لقد شيد المجموعة الاولى السلطان ابو سعيد عثمان الاكبر (4) فخر الدولة المرينية المتوفى عام 731 هجرية . وتضم تلك المجموعة مدرسة فاس الجديد (او مدرسة دار المخزن) (9) التى امر ببنائها ابو سعيد عثمان عام 720 هـ وتمت فى ذى القعدة عام احد وعشرين وسبعمائة بمباشرة ولى عهده الامير ابو الحسن . ونحن نعلم ان ابا سعيد عثمان لم يترك نقشا تاريخيا بتاسيس المدرسة والاعيان المحبسة عليها وانما تم ذلك بامر ابى الحسن بعد وفاة ابيه كما نقرا بنفس لوح التحبيس (... وبعد ، فهذا ما امر بتخطيطه وانشائه ::: مولانا الخليفة الامام ... ابو الحسن واسطة سلك ملوك المرينيين ... حكم ما كان والدهم مولانا الخليفة الامام.. المرحوم ابو سعيد ... ذخره من افعال البر ... وكمل بناء هذه المدرسة المباركة وبدى بالاقراء فيها

---

(4) عن تاريخ وفاته ودفنه كاول ملك مرينى يدفن بفاس الجديد وخارج خلوة شالة راجع كتابنا تاريخ شالة .

(5) جامع القرويين 363/2 .

(6) نفس المصدر 364/2 .

(7) A.BEL : نفس المصدر الجزء 12 نوفمبر وديسمبر 1918 ص 365 .

(8) موجز سيرته بكتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص 289 ، ثم انظر تحقيقاتنا التاريخية حول مكان دفنه واكتشافنا لقبره بشالة فى كتابنا حفائر شالة الاسلامية.

(9) كتابنا دراسات جديدة فى الفنون الاسلامية والنقوش ص 216 وراجع كتابنا حفائر شالة ص 382 وما بعدها .

وسكناها (10) فى ذى القعدة عام واحد وعشرين (11) وسبعمائة) .

وتاتى بعد ذلك مدرستان اسستا فى عصر ابى سعيد عثمان بمباشرة ولى عهده ابى الحسن كذلك ، ونعنى بهما مدرسة الصهريج المؤسسة سنة 721هـ ومدرسة السبعيين . المجاورة والمعاصرة لها (12) ، وكانت مدرسة تازة التى شيدها ابو سعيد عثمان سابقة على مدرسة الصهريج بقليل حيث ورد اسمها فى النقش التاسيسى لتلك المدرسة الاخيرة .

وكانت اشهر مدارس فاس والمغرب على الاطلاق مدرسة العطارين (13) من بناء ابى سعيد عثمان ما بين عامى 273 و 275 هـ (1323 — 1325 م) ونقرا فى نقش التاسيس :

(... وبعد فهذا ما جبسه وامر بتخطيطه وانشاءه ... ابو سعيد ::: برسم المدرسة التى اتم بناءها فى عام خمسة وعشرين وسبعمائة وهى المقابلة لسماط العطارين من فاس القرويين (14) .

اما المجموعة الثانية من المدارس المرينية فقد تم تشييدها مدة حكم امير المسلمين السلطان ابى الحسن وتشتمل على مدرسة سلا لصق المسجد الاعظم بطالعة سلا وهى المؤسسة سنة 742 هـ « 1341 م» (15) ، ثم المدرسة المصباحية (16) بفاس المؤسسة عام 747 هـ (1346 م) (17) ، هذا وقد

---

(10) لاحظ تحديد وظيفة المدرسة المرينية .

(11) A.BEL : نفس المصدر لجزء العاشر للوقوف على المعلومات التالية :

ص 137 وما بعدها ، عن مدرسة دار المخزن.

ص 144 الغرض من المدارس بالمشرق والمغرب

ص 145 المدارس المغربية من عمل الملوك بينما المدارس بالمشرق تنسب الى الوزراء .

ص 148 اول مدرسة مرينيه .

ص 149 تشييد المدارس المغربية جميعها فى اقل من قرن .

ص 151 اقراره بقيمة وعظمة المدارس المغربية

ص 160/158 القراءة الكاملة لنقش تاسيس مدرسة دار المخزن وترجمته الفرنسية .

(12) الجزء الثانى من جامع القرويين للدكتور عبد الهادى التازى .

G. Marçais : L'architectare Musulmane d'acci dent P. 287-288 et fig. 175-176

(13) A.BEL : نفس المصدر جزء 12 حيث ص 189 مدرسة العطارين ، ص 196 صورة لوح التاسيس ص 205 تخطيط الطابق الاسفل للمدرسة شكل 31، ص212 ربا مدرسة العطارين المعاصرة للبناء شكل 33 ص 250/212 القراءة العربية وترجمة جميع النقوش العربية فوق تيجان الاعمدة وجدران المدرسة .

(14) نفس المصدر ص 198/197 قراءة نص نقش التاسيس . وكتاب مارسيه عن العمارة ص 288 وشكل 177 .

(15) كتابنا دراسات جديدة فى الفنون الاسلامية والنقوش ص 126 واشكال 83 — 85 . وكتاب مرسيه ص 289 وشكل 179 .

(16) نفس المصدر ص 216 . وكتاب مارسيه عن العمارة ص 289 وشكل 178 .

(17) الفرديل : نفس المصدر ج 12 سبتمبر واكتوبر1918 حيث نجد :

ص 250 المدرسة المصباحية 747 هـ . ص 255 صورة لوحة التاسيس ، ص 256 نص النقش

ص 266 تخطيط المدرسة المصباحية (مدرسة الرخام) ، والى ص 276 يعطينا جمع قراءة النقوش الكتابية بمختلف وحدات وعناصر المدرسة . التاسيسى .

نقش نص التأسيس للمدرسة المصباحية بخط نسخى متقن وبديع فوق الرخام من أربعين سطرا نقرا منه ... وبعد فهذا ما امر بتخطيطه وانشائه ... مولانا الخليفة الامام ... ابو الحسن على ابن مولانا امير المسلمين ... ابى سعيد ابن ...) (18) ، كما شيد ابو الحسن مدرسة العباد قرب تلمسان (الواقعة ضمن الحدود الجزائرية اليوم) فى نفس تاريخ بناء المدرسة المصباحية .

وتمثل المجموعة الثالثة المدرسة البوعنانية بمكناس وكان قد شرع فى تأسيسها امير المسلمين ابو الحسن واتمها خلفه امير المؤمنين ابو عنان فارس عام 751 هـ ولهذا نسبت اليه . ومن هذه المجموعة كذلك المدرسة (العجيبة) بسلا من تأسيس ابى عنان وقد تحولت فيما بعد لما عرف بفندق اسكور قبل أن تتحول اخيرا الى محكمة حديثة البناء قديمة التصميم لا زالت تحتفظ بمدخلها القديم الاصلى من عهد بنى مرين . كما تدخل ضمن هذه المجموعة الثالثة اى (البوعنانية) المدرسة المتوكلية موضوع بحثنا هذا والتى شرع ابو عنان فى تأسيسها عام 751 هـ وتم تشييدها كما اسلفنا مفصلا عام 756 هـ كما هو مسطور باللوحة الرخامية الحديثة الملصقة بمدخل المدرسة الرئيسى وسبب اثارة هذا الجدال.

ويعنينا الآن امر تلك المجموعة الثالثة التى تنتسب اليها المدرسة المتوكلية موضوع البحث ، فان تلك المجموعة من العمائر المدنية والدينية فى نفس الوقت (حيث يقيم ويتابع استذكار دروسه ويتعبد طلاب جامعة القرويين التى تتوسط التوزيع الجغراقى لتلك المدارس) تمثل تطور مراحل التصميم والتخطيط فى سلسلة المدارس الاسلامية بالمغرب ابتداء من النظام الذى بدأ بسيطا متماثلا خاليا من التعقيد فى مدارس فاس الجديد والصهريج الى النظام المركب المعقد فى بوعنانية فاس اى المدرسة المتوكلية موضوع البحث .

أن النظام المركب والتخطيط المعقد الذى تتميز به تلك المجموعة يعكس عبقرية المهندس المغربى فى عصر الدولة المرينية (القرن الثامن الهجرى = 14 م) وقدرته الفائقة على تغيير محاور البناء والتصرف بكفاءة متميزة فى تصميم العمائر ذات المرافق العامة المتعددة حيث تبدو سهلة الولوج الى الداخل ، متناسقة التنظيم ، متتابعة الاقسام ، منطقية الترتيب ، متناظرة الوحدات ، على الرغم من انها شيدت فوق مساحة ارضية غير منتظمة الشكل تحيط بها عدة مبان من عدة جهات لا تترك للمهندس المعمارى الفرصة الكافية والابعاد الحرة اللازمة لتصميم الواجهات والمداخل والمرافق ، ولعل هذا هو سر العبقرية المغربية فى تخطيط وهندسة العمائر الاسلامية التى تمثلها تلك المجموعة من المدارس المرينية .

وفضلا عن ذلك كله تشتهر المدرسة المتوكلية «البوعنانية» (19) موضوع الدرس بالمنجنة (الساعة) الغريبة الصنع الشهيرة الوضع فى مقابل باب المدرسة، وقد تم تركيبها وتصميمها بامر ابى عنان من طيقان وطسوس من نحاس جعل شعار كل ساعة ان تسقط صنجة فى طاس وتنفتح طاق وذلك عام 758 هجرية.

ويشتمل بيت الصلاة بالمدرسة الجامع على اسكوبين فى موازاة حائط القبلة ، وينفرد بخصوصيات

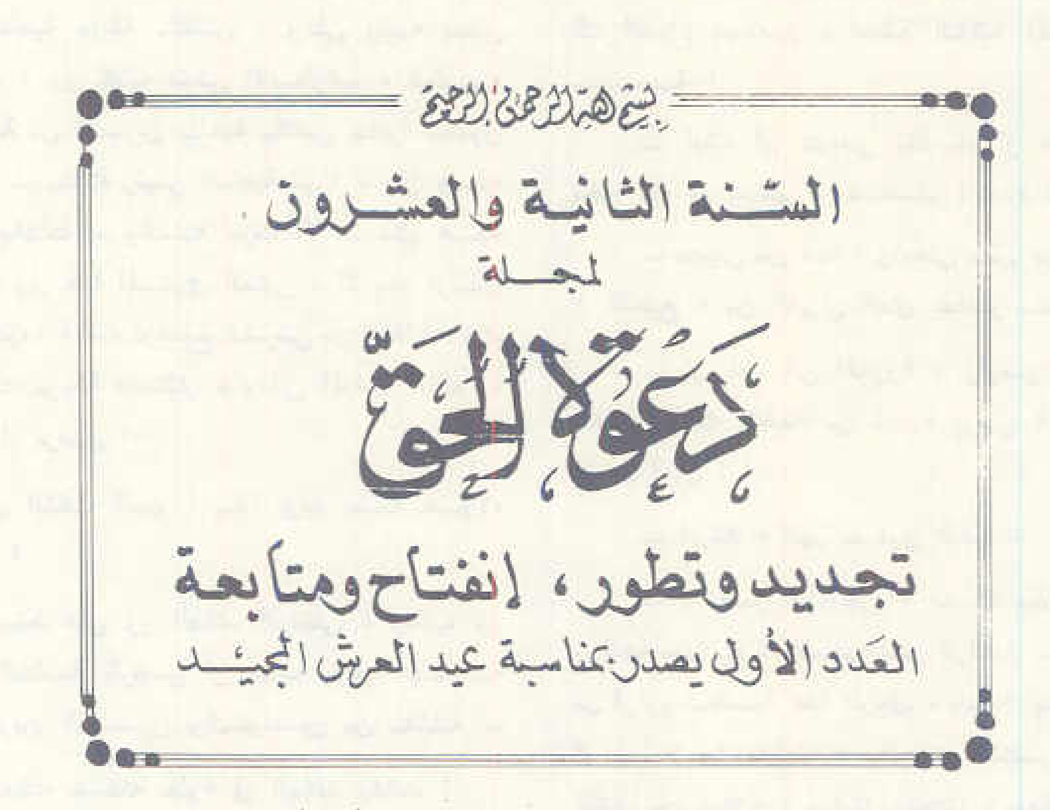
---

(18) النص الكامل بنفس المصدر ص 256 — 257 ·واشكال 182 — 183

(19) كتاب مارسيه عن فعمرة : بوعنانية مكناس ص 291 ، بوعنانية فاس ص 291 — 294

معمارية تميز البناء عن بقية مدارس المغرب ، وينفتح على الصحن بخمسة عقود (أقواس) تربط سعته باتساع الصحن ليعكس تخطيطه خصائص المساجد المرينيــة .

هذا ، ويبرز تصميم البوعنانية وحده ألفن المعمارى فى العالم الاسلامى بالمشرق والمغرب من حيث تشابهه لتخطيط مدرسة السلطان حسن بالقاهرة فى نظام الايوانات الجانبية ، كما يكشف عن سنة التطور فى الفن الاسلامى على مستوى التطور بالنسبة لفنون العمارة العالمية اذ تمثل عناصر ألعمارة والزخرفة بتلك المدرسة روعة الطراز المغربى الاندلسى الذى اثرى فنون الغرب وتميز بحلاوة الاعمدة الرقيقة وطلاوة التيجان المنحوتة والنقوش والزخارف ألحالمة فوق عناصر الخشب والجص والرخام ، وابتكار التركيبات الهندسية والتسطير والتوريق ، وانتشار وسيادة فنون الزليج التى خلدت روائع التشكيلات وعجائب التركيبات ، والنقوش الكتابية التى لعبت دورا بارزا الى جانب شبكات المعينات الزخرفية التى كست جدران المبانى وواجهات الصوامع لتؤكد خاصية الهرب من الفراغ التى ميزت الفن ألاسلامى بين فنون العالم اجمع بجمال الايقاع مع تناوب الوحدات وتنوع المواد والالــوان .



قصة قصيرة

الدماء تعكر الوادي

للأستاذ محمد أحمد اشماعو

دخل « الشاوش حميدة » على الكاتب العام لرئيس ناحية مدينة مكناس ، وعلى وجهه بعض الشحوب ، وفى كلامه بعض الاضطراب ، ليخبره ان جماعة من المعمرين بناحية مكناس جاءوا يطلبون مقابلته ، ثم مقابلة رئيس الناحية فورا ، وفى هذه الضحى بالذات .. والعادة جرت الا تتم مثل هذه المقابلة ، وفى هذا المستوى العالى ، الا بعد ارسال طلب مكتوب ، فيه توضيح للغرض من المقابلة ، ثم تعقب ذلك مرحلة الانتظار ، وتاتى المقابلة عاجلا ، او آجلا او ترفض !

قال الكاتب العام : ماذا يريد منا هؤلاء الجفاة ؟

وضغط على زر الهاتف الداخلى ، وطلب من الكاتبة الخاصة للرئيس أن تعلمه برغبة جماعة من المعمرين الفرنسيين والمتفرنسين من مقابلته ...

ضحكت ضحكة حلوة فى الهاتف وقالت :

— لقد رآهم داخلين من خلال الشرفة ، ولذلك انسحب وتركها معلقة فى عنقك يا عزيزى « ايريك ».

— تتلذذين بتعذيبى ايتها الهرة الظريفة ؟ سارد لك الصاع بصاعين ، لحظة التقائنا المقبلة ، ولا مسامحة !

— أياك ان تتربص بالنساء أو تتوعدهن ، نخير لك ان تسالم أو تستسلم ، هذه نصيحتى ...

— دعينى من هذا ، وابحثى معى عن حل لهذا « التطبيع » من الثيران الذى يحاصر مكتبى .

— أرسلهم الى المجزرة ، واوص الجزار ان ياتينى وياتيك بقطعة من كبد « بوجى » الوقوح ، الثقيل الظل !

— اتركك ، انهم يطرقون الباب ...

دخل المعمر « بوجى » تسبقه بطنه المنتفخة ورائحة سيكاره ، الضخم المنفر الرائحة — والسيكار من لوازم شخصية هذا الرجل ، فهو لا يفارق فمه ، لا مشتعلا ولا منطفئا ، وهو به يستأنس بحجمه الثقيل بين شفتيه ، صامتا ومتحدثا ، متعطلا وعاملا، منشرحا وغاضبا .. ولا يعرف احد كيف يستطيع التحكم فى هذا القضيب الغليظ ، فى كل تلك الاحوال !

— انعمت صباحا يا سيدى الكاتب العام ، اننا نحن الفلاحين — ومعذرة — لا نتقيد بضوابط الادارة ، ولا بقيود « الاتيكيت » ، نحن جفاة كما تسموننا ، ولكننا ابعد ما نكون عن النفاق والنميمة ، والشتم من وراء الظهور ، ما نود ان نقول نقولـه بكامل الصراحة وبالمواجهـة .. و —

وقبل ان يدعوهم الموظف السامى الى الجلوس ، توجهوا بعد كبيرهم « بوجى » واخـذوا يحتلـون الكراسى والارائك ... وامتعض الكاتب العام من هذا التصرف الخالى من اللياقة ، وبادر قبل ان تثـار مواضيع لا فائدة منها ، وسأل :

— ايها السادة ، ماذا وراءكم ؟

قال بوجى بصوته الابح ، مشيرا بيده الغليظة :

— الماء ، الماء ، يا سيدى الكاتب العـام ، جئنا ممثلين لاصحابنا ، من معمرى ناحية مكناس ، دعنى اولا ، اقدم لك الاصدقاء الحاضرين ... المتحدث اليكم معروف لديكم ولدى الجميع ، فلا حاجة الى ان يقدم نفسه ، انه مثل « الثور الابلق » كما يقول هؤلاء المغاربة ، الذين ابتلينا بهم ، والذى بجانبى هو « فيكتور » الذى يلقبونه بالديبلوماسى ، والذى بجواره هو « لاند » العتى الملقب « بوقنا » والثالث هو « جاك » العملاق ، غير انه — بالمناسبة — لا يستطيع ان يفزع دجاجة وهى راقدة فوق بيضها — والذى تراه قبالتى هو الصديق اللدود « كارسيا » الاسبانى الاصل الفرنسى الجنسية ، ميزته انـه اشدنا كرها للاهالى المغاربة ، ويختار لهم النعوت المناسبة ... آه بجواره ذاك البرتغالى القادم الينـا منذ اعوام قليلة ، غير انه بدهائه ومهارته استطاع ان يقتنى كثيرا من البقاع الزراعية ، انتزعها مـن ايدى الاهالى وهم راضون ضاحكون ، اظنه اصبح ملاك اراض اكثر منى ، وهذا من غرائب الاستعمار الفرنسى ذى النظرة الانسانية والتعاطف الروحى مع اخوانه من سكان القارة السعيدة اوربا .. لم يبق بعد هذا الا الصديق الشهم الجالس عن يمينـى انه الايطالى الرومى الخالص ، وابن رومة الاصيل ، انه رفيقى فى الصيد لانه مثلى قناص ماهر ... لكم يحكى عن بنى جلدته القاطنين فى طرابلس الغرب ، الذين يقتنصون الاهالى — سرا وعلانية — كمـا تقتنص الارانب ، ولولا فضول بعض الدول لاخلوا مدينة طرابلس ممن يعمرونها بلا استحقاق ، كما تخلى الغابات من الوحوش ، ليعمرها الناس الايطاليين بعد ذلك ... طالما تساءل فى مجامعنا الخاصة : هل هناك من سبيل لتحقيق هذه الفكرة هنا ، فى ارض المغرب الفرنسية ، على اعتبار ان اجدادنا الرومان استقروا ازيد من اربعة قـرون بقانـون خـاص للمستعمـرات ...

— يا صديقى الحكاية طويلة ، لندخـل الى الموضـوع ...

— الموضـوع ؟ الموضوع هو اننا عزمنا علـى تحويل مياه « نهر ابى فكران » الى مزارعنا وضياعنا ومغارسنا والى صهاريجنا وخزاناتنا ... من الآن لن يبقى « بوفكران » من روافد اى نهر كبير ، لن تضيع منه قطرة ماء ، وبالتالى لن يضيع فيما يضيع فيه الآن .

— ولكن مياه « وادى بوفكران » تشرب منها جموع من السكان ، ويسقى منه الفلاحون الموجودون على ضفتيه ...

— لقد ثبت لدينا ان الاوربيين لا يهتمون بالشرب من هذا النهر ، وهم العنصر الذى كنا نخاف ان يمسه الضرر من مشروعنا ، اما الاهالى فيمكنهم ان يشربوا من الآبار والسواقى والعيون ، كما جرت بهم العادة ... مسألة السقى تتوقف عند الفلاحـين الاهالى — بعد ما يتمتعون بالنوم والكسل والاشتغال بالتوافه — على نزول المطر ، فاذا لم ينزل ، استنزلوه

بالدعاء والصلاة ، فاذا هستجيب دعاؤهم وقبلت صلاتهم ونزلت الامطار — فان كل صعوبة تزول ... اما نحن فليس عندنا صلاة ولا دعاء لهذا الغرض ، فهى حقنا ان نستفيد مما هو ميسر ... انكار وجيهة ؟

— انا لا اراها وجيهة ، ان الحكومة الفرنسية تحملت الكثير من التضحيات المالية والبشرية من اجل « التهدئة » والقضاء على المقاومات وحرب العصابات ، ان عمليات « الفتح » لم تتم الا منذ اعوام قليلة ، ويقال ان بعض الجيوب الجبلية والصحراوية لا تزال لم تخضع بعد ... وانتم بهذه الحركة تريدون تحريك ما هدا واثارة ما سكن ، ان سفوح الاطلس مثل جباله صعبة المراس ، ولا تخلو خباياها من مفاجآت ... ان الرؤوس الاطلسية الحليقة التى تتوهمونها مطاطئة خاضعة ، والوجوه الشاحبة والعيون القلقة لتى تتصورونها فزعة حائرة، هى فى الواقع ليست كذلك ، خصوصا وان القلوب اصلب من الحديد ، وان التحمل مثل تحمل الصخور الجبلية بل اشد ... اراكم تسيرون الى فتنة لا تبقى ولا تذر ! على كل حال ، سابلغ رئيس الناحية اقتراحكم ، واتمنى ان تزودونا بالمقترح مكتوبا ، لنتمكن من دراسته بتفصيل .

— سيدى الكاتب العام ، انت كما انت دائما ، اغيب عنكم شهورا واعواما ، ثم اعود فاجدكم فى نفس المستوى من التفكير ، غير العميق ، عفوا ، ومن وضع الكثير من التوهمات والتقديرات والتخوفات التى لا مبرر لها . اننا ابناء لفرنسا ، وفرنسا هى الامة التى كادت تملك الدنيا كلها ، باقوامها واجناسها، ودهاتها وصناديدها ، فكيف تهمنا اليوم جماعة من الرعاع يسكنون الجبال الموحشة ، او يهيمون فى الاراضى الجرداء ، ياكلون الردىء ، ويشربون الردىء ويتمتعون بالردىء .

— هم كذلك من وجهة نظرك ، مسيو « بوجى » لكنهم فى حقيقتهم اخطر علينا ، من الاجناس التى اشرت اليها بدهاتها وصناديدها ... مهما يكن من امر ، فلا بد من مشروع مكتوب للدراسة ، ولنعد الآن الى ثرثرتنا يا سيد « بوجى » ... قل لى ، كيف حال الالزاسية معك ؟ اما تزال معادية لك ؟ اما تزال تأمرك بين الحين والحين — من اجل مراضاتها — ان تخرج الى الصيد ، وتتركها وحيدة فى الدار ؟

— لا خير فيمن امها المانية ! نصف حبيبة ونصف عدوة ، نصف مواطنة ونصف مشبوهة مدسوسة !

— انك فى محنة : من شانها ان تزعج النفس والبال !

وهنا توقف « بوجى » عن كل حديث ، وفتر نشاطه ، وتزعزع كيانه ، اذ مس منه الكاتب العام وترا حساسا موجعا ... مما جعله يستكين ، ويقلل من التعليقات والكلام ، تاركا صاحبه اللبق « فيكتور » يتولى الحوار :

— القضية — فى العمق يا سيدى — تثبيت لاقدام الدولة الفرنسية بهذه الارض ، الموروثة عن الاجداد الرومان . ومما لا جدل فيه انه يذهب مقيم عام ممثل لفرنسا ويأتى آخر ، ويرحل مستشار ويحل آخر ، وينتقل حاكم ناحية ويعين حاكم جديد ، وقل مثل هذا فى جميع الموظفين من مدنيين وعسكريين، بل قل مثل هذا فى ارباب التجارة والصناعة ، ولا يبقى موجودا وحاضرا وصامدا ومتحديا سوى مستعمرى الارض ...

— كلام معقول .

— انها ، لكى يوجدوا ويحضروا ويصمدوا ويتحدوا لا بد من اعانتهم ، ومن تعزيزهم ومن الاستجابة السريعة لمشاريعهم . ان الذين نمثلهم فى نظرتهم البعيدة ، وفى مخططاتهم الكبرى ، لم يعودوا يرون ان القمح والشعير والذرة ، ولو فى اجود انواعها تتناسب والتربة الجيدة ...

علق « بوجى » بصوت فاتر :

ــ التربة الجيدة التى خدمناها بمعرفتنا وجهدنا وعرقنـــا .

ــ ان التربة الجيدة والمياه المتوفرة والخبرة الواسعة ... كل ذلك قابل لانواع نادرة من المغروسات والمزروعات ، التى لا يتمكن المزارعون فى أوربا ــ مع الاسف ــ من استنبتها لعدم توفر حرارة الشمس ، لو ان المياه متوفرة ، اما هنا فكل شىء متوفر الا الماء ... لقد قمنا بدراسة ميدانية ، فثبت ان المياه ، مياه « ابى فكران » تضيع فى اكثرها ، ولا ينتفع الا بالقليل منها ، فى الشرب كما ذكرتم ، وفى سقــى بعض الخضروات القليلة ، وسقى اشجار الفواكه القليلة الغلة ؟

ــ ياسيد « فيكتور » انه ليكفى ان يمر الماء ، مجرد مرور على الجنيات التى يمتلكها الاهالــى وعلى بساتينهم ، او حتى فى الارض الخلاء ، لتصير لهم معه الفة ، الفة كاملة عميقة وثبتة ، اذ بــه يغسلون وجوههم واطرافهم ، وبه يصبغون ملابسهم ، وبه يروون دوابهم ... ويسعدهم اتم السعــادة ان ينظروا ابناءهم ، وهم حول الماء يعبثون ويغنــون ويرقصون ، انها العادة التى لا تنقطع ولا تنفك ، ولا يقوم اى شىء مقامها ، حتى ولا القوانين .

ــ اعرف ان هذه الآراء نابعة من تجربة واسعة، وعن دراسة للظروف الزمانية والمكانية ، ولكــن اناسنا لهم ارادة حارة مثل عزائمهم ، فهم ما ارادوا شيئا الا نفذوه .!. كل الرجاء ان تكونوا بجانبهم ، ان لم تسيروا معهم معززين لهم ..

ــ لم يحدث قط ان حكاما للمستعمرات تخلوا عن مواطنيهم فى تلك المستعمرات ، مهما كانت الاحوال والظروف والمصاعب ..

ــ هل يمكن ــ تطوعا منى ــ ان احرر بايجاز المشروع المزمع تنفيذه ؟

ــ ارى ان التفاصيل والارقام وتعليقات الخبراء ضـــروريـــة .

ــ سنبلغ اصحابنا هذا الطلب . هيا مسيــو « بوجى » قم .

قام مسيو « بوجى » وغادر مقر رئاسة الناحية كسير الخاطر ، منزعج النفس ، متوعك الصحة ، لانه لم يجد الحماس والتأييد للمشروع الذى تزعمه ، ولانه استاء من لمزة الكاتب العام .. ان هذا الموظف الداهية رد على وقاحته وتطاوله بلسمة موجعة ، هى التلميح الى علاقته لزوجته « سوزان » المتسمة بالنفور منه دائما ، وبالاستعلاء عليه ، واثارة وسواسه عـــن عمـــد !

وفعلا ، لما وصل « الدارة » التـــى تتوسط الضيعة ، والتى تنام وسط الخمائل والزهور ، وجد « سوزان » فى اوج زينتها ، والملعونة تحرص على اظهار هذه الزينة الباهرة ، فى الاوقات التى تريده ان يتركها ، ويكون ذلك انذارا ليغادر الدار !

ان لسان حالها يقول : ايها الاجلف ، الخشن ، العديم الذوق ، البهيمى ... غادر الدارة !

يغادر الدار ترضية لخاطرها ، وابقاء علــى استقرار البيت ، ويذهب الى الصيد ، صحبة صاحبه الايطالى . وهو لا يدرى ابدا ماذا يجرى فى غيبتــه. والواقع ان كل ما يجرى هـــو ان « سوزان » تود احيانا ان تخلو الى نفسها . من حيث تتزين وتتبرج كما ترى ، تتعطر بافضل عطر لديها ، وتوقد مصابيح الدارة كلها ، فيغدو المكان باهر الاضواء ، وتضع المائدة وترتب فوقها صحون النقل وقنينة « الشامباى » وتضع الى جانبها . وهى جالسة علـــى الارض ، مجموعة الاسطوانات ، التى تدور كلها حول معزوفات « الطانكو » اذ هى تستعذب من الحان الدنيا كلها لحن « الاوكرديون » ، فهذا المفتاح الموسيقى الشجى يهز منها الاعماق ، وبذلك تروح تسمع وتشرب حتى

يغلبها النوم حيث هي ، وفي الغد تصبح منهوكة ذلك الانهاك الذى تستلذه ، والذى ينسيها جانبا كبيرا من تعاستها .

احيانا يزورها الشاب « سليمان بن حدو » ، وهى تعرفه منذ كان يافعا . ياتى الدارة لطيفا طيبا مهذبا ، بقصد الاستفادة من الكتب والمجلات ، والتمتع بمياه المسبح المجاور للمسكن . وهذا التعارف تم عن طريق الاب « السى حدو » الذى كان يتعامل تجاريا مع صاحب الضيعة « بوجى » . ومنذ سن اليفاعة وسليمان يلقى عطفا من « سوزان » وحسن معاملة ، ويطيب لها الا تسبح الا معه ، وبعد الاستراحة تحت احدى المدوحات، يقومان معا بجولة فى انحاء الضيعة تحدثه وهو يسمع ، ويحدثها وهى تصغى ، تعجبها فيه لغته الفرنسية الصقيلة التى تعلمها بـ « كوليج أزرو » العربى ، ويستطيب منها لغتها الفرنسية التى تشوبها لكنة خفيفة من اللغة الالمانية ، التى تعلمتها من امها .

وينتقلان بعد غروب الشمس الى داخل الدارة ، من حيث تطفىء الانوار ، ولا تبقى الا مصباحا مظللا فى الركن ، وتعود تدير الحاكى الاوماتيكى ، وتروح تتصنت ومعها سليمان الى معزوفات « الطانكو » وياكلان ما لذ وطاب ، اذ هى قبل كل شىء طباخة ماهرة ، ويستأنسان معا بتصفح المجلات الفنية الفرنسية والالمانية ، ويتأملان طويلا منقولات اللوحات والنحوت الخالدة ، وتجود وهى الخبيرة ببعض التعليقات والملاحظات ولفتات النظر ، ويمضيان يتمتعان بالمتع الفكرية ، يقرأ لها من الشعر الفرنسى ، وتترجم له من الشعر الالمانى ، وتغلبها عاطفتها فتدمع منها العيون ، وتهتز الجوانح ، وتلك احدى المتع التى تنشدها مع هذا الشاب ، ولا تتيسر لها مع غيره … ويطول بهما السمر فتحس ان المقام يتطلب منها ارضاء لذوق الشاب المغربى ، فتقوم الى — الحاكى — وتركب الاسطوانات التى هى من نوع آخر ، يحظى منها هى ايضا بالاعجاب … ان انشاد بنات الاطلس المؤثر والمشجى ، والعزف — ولو انه ساذج — فهو متوافق مع رتابة اللحن ، الذى يعتمد فيه اولا على ما يقال ، وما يقال كله اعجاب بالطبيعة، وجمال الحياة ، وما يخالج القلوب من اهتزازات وانفعالات من جراء لسعات الحب .

ويطلع الفجر ، فيقوم الشاب ويغادر الدارة ، بل يغادر الضيعة تحت انظار المستيقظين من الحراس، ولو كانت به حاجة الى القول ، لقال لكل المترصدين :

— اطمئنوا ، لقد دخلت وخرجت طاهرا ساميا، ليس من الضرورى ان تكون فى اللقاء شبهات !

من جهتها لم تحاول ان تبرر اسباب التقائها بسليمان الشاب على انفراد ، وطيلة الليل ، وتحت ضوء خافت ، ووراء ابواب مغلقة ، لا لزوجها « بوجى » ولا لمن تتصل بهم من اصدقاء العائلة . ماحرى للحراس والخدم ، لكانها تتوهم انهم يستشعرون ما تشعر به من براءة ورضى واطمئنان.

غير ان « السى حدو » والد سليمان حذر ولده ، فالرومى — ولو انه خفيض الجناح امام زوجه مهين ، ولو انه يصطنع البلادة وعدم الاهتمام — فان جانبه غير مأمون …

فلما قام « بوجى » وانصاره بحركة الاستيلاء على المياه التى يجرى بها نهر « بوفكران » بادر الشاب وتعهد لوالده بالانقطاع عن التردد على الضيعة مطلقا ، ووضع نفسه رهن اشارة الوالد وباقى الغيورين لتنفيذ ما يأمرونه به .

وكان الذى بلغ تفاصيل المؤامرة الى « السى حدو » هو الشاوش حميدة ، وبسط امامه تفاصيل ما سمعه فى مجلس الكاتب العام ، وما قاله المتزعم « بوجى » من اقوال بذيئة ، وما وصف به كل فرد من رفقائه فى ذلك المجلس .

بعد هذا قام حدو ، باشاعة خبر المؤامرة بين المتصلين به ، وهؤلاء حكوا التفاصيل الى معارفهم ، وبذلك سرى الخبر بأن رائحة الدخان فى الفضاء .

اجتمع السكان المجاورون لضفاف النهر ، واقسموا ايمانا ليقاومون اعداء الوطن ، الروميين الخبثاء ، وليدافعن عن المياه الكريمة الى آخر قطرة من دمائهم ... وبادروا فارسلوا مع سائقى الحافلات وخدمتها الذاهبين الى مكناس وفاس والرباط ، والذاهبين الى القرى الاطلسية ، ومن كل اولئك طلبوا النجدة عند الاقتضاء ...

وما طلع نهار احد الايام حتى وصل الى علم السلطات الفرنسية ان السكان مجتمعون ومتسلحون بالهروات والفؤوس والشواقير والمناجل وقطع الحديد والمقاليع ... انهم يعرفون ان كل هذه الاشياء لا تجدى امام طلقات الرصاص والبارود ولكن الاستسلام لا معنى له وغير لائق بالرجال ، ولا يمكن ان يسجل فى تاريخ سفوح الاطلس ، خصوصا على سكان ضفاف « وادى بوفكران » .

واهتزت اسلاك التليفون ، فسلطة القرية تطلب النجدة من مكناس ، واصحاب الحركة الاوربيين وجدوا انفسهم ملزمين بالدفاع عن حركتهم بقوة الحديد والنار ... وهكذا اكتنف « بوجى » بندقيته المزدوجة ، وتمنطق بحزام الرصاص ، كما اخفى مسدسه فى طيات بذلته الجلدية ، ونادى بالهاتف على صاحبه الايطالى « ايمانويل » ، طالبا منه ان يقوم بجولة بالسيارة على الضيعات ليتجند الرفقاء ، وان يهيب بهم ليقوموا الى تحقيق المشروع بقوة الرصاص ، وسار هو من ضيعته شامخ الكف ، عالى الصدر ، مفتول الشاربين الى مقر السلطة بالقرية . وهناك وقف مع من جاءوا فى موقف مناسب ، ينتظرون الفرصة لبدء الملحمة ، مع الرعاع العزل .

وعلى الفور وصلت الوحدة العسكرية الخفيفة، المكونة من جنود اللفيف الاجنبى ، ولم تتقدم من فورها للميدان ، انما الذى تقدم هو الضابط المتمغرب الذى يحذق اللهجة المغربية ، تقدم وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة وقال :

— نريد ان تعينوا لنا مفاوضين اثنين ، وابقوا انتم فى مكانكم .

وتقدم « السى حدو » والد سلمان ، وكان جهير الصوت ، ثابت القلب ، ملما بتفاصيل المؤامرة وصاح :

— ان ماء بوفكران يجب الا يتحول عن استعماله العادى ، يجب ان يبقى فى مجراه كما كان ، يستقى منه الناس ، وتشرب الدواب ، وتروى جنان الزيتون وغيره ، ويدخل الى البساتين حسب الحقوق المتفق عليها من قديم ، انه لا حق لاحد ان يستبد بالماء، حتى ولو كانت جماعة لها سطوتها ... الماء مغربى والارض مغربية ، فيجب ان تحافظوا على ما وجدتم ...

وهنا انبرى « بوجى » وتولى النقاش — فضولا منه — مع حدو ، متنكرا للصداقة التى كانت تجمعهما، واخذ يلعلع بالعبارات النابية ، فما كان من حدو الا ان اسمعه ما يجرح شعوره ويضعضع كرامته امام الجميع ... وتطور الامر الى سباب ، ولم يشعر « حدو » الاعزل الا و « بوجى » يصوب اليه بندقيته ويطلق عليه النار .

ونشب (الرش) المشتعل فى جسد الرجل فصرخ متالما ، ورغبة فى التخفيف من تلك الآلام جرى نحو النهر ، ورمى بنفسه فى الماء ، لعل برودته تخفف من اوجاع الحريق ، لكن البطن كان قد تمزق ، كما تمزقت حجب الاضلاع والرئة ففارت الدماء غزيرة ، وسرت مسرى المياه فعكرتها ، عكرتها باللون القانى، وتهاوى الرجل حيث هو واقف ، وفاضت الروح .

هناك انصب سيل الاحجار والقطع الحديدية على الجنود والمعمرين الذين معهم ، وتدخل الجنود فاطلقوا بنادقهم ، ثم اخذوا يتعقبون الهاربين وهم يجرون ، غير ان « بوجي » لم يتمقب مع المتعقبين لانه ساقط على الارض مصابا في راسه ، من جراء شجة في صلعته ، بسبب حجرة مسنونة ، وبذلك فار الدم على الوجه والملابس حتى وصل الى الارض.

واغتنمها « الشاويش احميدة » فرصة ، وقد خلا المكان ، اذ الجنود يتعقبون ، ورجال السلطة ذهبوا ليعطوا التفاصيل لرئيس الناحية ، اغتنمها فرصة ، فاستل المسدس الذي كان بارزا من تحت ملابس « بوجي » ووضعه في فم « بوجي » ،واضعا دمه على البطن المنتفخ ، واطلق رصاصة واحدة خرقت سقف الحلق ، واجتاحت المخ ، لتخرج بالضبط من وسط الجرح الفائر من الراس ، وهي ضربة جندي محنك ، يحسن قتلته ، ومن فوره انطلق الى مكتب السلطة ليكون في خدمة الرؤساء !

واهتزت الاسلاك في جميع الانحاء بالخبر ، ووصل الى خارج المغرب ، الى فرنسا ، وسويسرة، وبلدان الشرق ... ولم يبق وسع المقيم العام « الجنرال نوكيس » ان يتجاهل الامر ، أو أن يتستر على الاسرار ، ولم يسعه كرجل عسكري الا ان يتخذ الاجراءات : عزل رئيس الناحية بمكناس ، وكاتبه العام ، ورجل السلطة بالقرية ، وارسال لجنة تحقيق صارمة .



المغرب في الندوتين العالميتين حول القدس والاسلام بباريس

المعلمين

اقامت منظمة المؤتمر الاسلامي بمقر اليونسكو بالعاصمة الفرنسية ، من فاتح دجنبر الى الثالث منه ، « الندوة العالمية حول القدس » ، شارك فيها طائفة مختارة من الاختصاصيين والمتعاطفين مع القضية الفلسطينية ، وغيرهم من مندوبي الهيئات العالمية .

وقد جاءت هذه الندوة بناء على قرار لجنة القدس التي يترأسها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، قصد توعية الراي العام الغربي بخطورة المشكلة وبالقرار الشنيع الذي اقدمت عليه اسرائيل ، بجعل القدس الشريف عاصمة ابدية لها والذي اثار موجات من ردود الفعل والسخط على المستويين العربي والدولي .

استهل افتتاح الندوة بخطاب عاهل المغرب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ايده الله ، بوصفه رئيسا للجنة القدس ، القاه بالنيابة عن جلالته السيد الوزير الاول ووزير العدل الاستاذ المعطي بوعبيد وقد تناول الخطاب المشكلة من جميع جوانبها وابعادها امام المشاركين .

وقد كان السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور أحمد رمزي ضمن الوفد المغربي الذي شارك فى حوار هذه الندوة .

وكانت حصيلة دراسة الندوة صدور بيان ، وجملة قرارات ، حيث اطلق على الوثيقة الاولى « بيان باريس حول القدس » الذي امضاه المساهمون فى الندوة وجاء فيه : « ان القدس الشريف يعتبر مدينة مقدسة بالنسبة لجميع الاديان ، فلا يمكن لاحد ان يتهاون فى مصيرها ومستقبلها . وباعتبارها موضع تقديس للاسلام والمسيحية واليهودية على السواء فهي لا توجد الا بوجود المجموعات المتساكنة فيها من الاديان الثلاثة كما نص البيان على ان القدس تاريخيا وثقافيا مدينة عربية لا يمكن فصلها عن فلسطين واي فصل يعتبر خيانة للتاريخ والجغرافية والحقوق الثابتة لسكانها وللشعب الفلسطيني قاطبة ... » .

واعلن بيان باريس ان تراث القدس ، تراث مقدس ومشترك بين جميع اديان التوحيد الثلاثة ، ولا يمكن ان تختص به واحدة دون غيرها ولهذا يندد موقعو البيان بتهويد القدس ، والانتهاكات الاسرائيلية التي تعكس طبيعة اسرائيل العنصرية .

ومن ضمن القرارات التي صدرت عن الندوة ، والتي اقترحها السيد الدكتور أحمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، انشاء جمعية تحت اسم « فرنسا ـ القدس » يكون مقرها بباريس وتعمل بتعاون وثيق مع لجنة القدس ، فى سبيل قضية هذه المدينة المقدسة ، وتكون لها فروع فى



العالم اجمع ، وذلك لاعلام الراي العام المغربي ، بما تتعرض له مدينة القدس من طرف الصهاينة . كما اكد سيادته على أن تبقى هذه الجمعية على اتصال وثيق بلجنة القدس واقترح اسماء الشخصيات التي سيتكون منها مكتب هذه الجمعية وهي : السيد جورج مانتارون ، والدكتور احمد صدقي الدجاني ، والسيد اريكاتو ، والسيد موريس بوتان ، والسيد بيير روسي ، والسيد القطان .

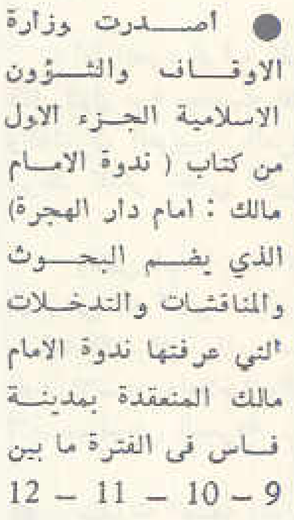
وطلبت الندوة في الاخير من منظمة المؤتمر الاسلامي أن تقوم بدراسات وابحاث عن القدس الشريف والتعريف بقضيتها وقضية فلسطين بواسطة الاعلام وأن تدعم الفئات والجمعيات المنتمية للديانات الثلاث التي تدافع عن القدس ، وعن الكفاح العادل للشعب الفلسطيني .

هذا وبالاضافة الى الندوة العالمية حول القدس فقد شاهدت نفس العاصمة وفي الشهر ذاته ، ندوة عالمية حول الاسلام ، شارك فيها نخبة من المفكرين ينتمون الى دول عربية وأوربية ، وقد أصدرت بعد دراسة وحوار عدة قرارات وتوصيات منها تأسيس (جمعية الاسلام والغرب) .

وفي اعقاب هذه الندوة اقترح السيد الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، توجيه نداء يناشد فيه الضمير العالمي وخاصة الاوربي احترام حق المسلمين في القيام بشعائرهم في دول العالم الغربي واقترح سيادته كذلك ايفاد بعثات الى هذه الدول للوقوف على التربية الدينية لاسر المهاجرين لان الاسرة تعتبر الخلية الاساسية لكل تكوين ديني .

وبمناسبة انعقاد الندوتين العالميتين حول القدس ، وحول الاسلام ، استضافت الاذاعة الفرنسية السيد الدكتور احمد رمزي ، وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، خلال برنامجها (فرنسا والعالم المعاصر) لتسليط المزيد من الاضواء على مفهوم الدين الاسلامي ، لمحاربة الصورة المشوهة التي يعطيها البعض عن الاسلام في الدول الغربية ، وقد اتاح الحوار مع الصحافيين والمستمعين للسيد الوزير التذكير بأن « القدس » جزء لا يتجزء من الاماكن العربية المقدسة والتعريف بما قام به صاحب الجلالة الحسن الثاني دام له النصر ، خلال حواره مع الكنيسة الكاثوليكية ، أثناء لقائه بقداسة البابا جون بول الثاني في الربيع الماضي ، واعاد الى اذهان الصحافيين والمستمعين ، الموضوعات الهامة التي سبق له ان تدخل بشأنها خلال الندوتين المذكورتين .

المغـــــرب :



● اصـدرت وزارة الاوقــاف والشــؤون الاسلامية الجزء الاول من كتاب (ندوة الامـام مالك : امام دار الهجرة) الذي يضـم البحـوث والمناقشات والتدخـلات التي عرفتها ندوة الامام مالك المنعقدة بمدينـة فـاس في الفترة ما بين 9 – 10 – 11 – 12 جمادي الثانية سنة 1400 الموافق 25 – 26 – 27– 28 ابريل عام 1980 تحت عناية صاحـب الجلالـة الملك الحسن الثاني نصره الله واشراف وتنظيـم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

ويتضمن هذا الجزء الرسالة الملكية الساميـة الى ندوة الامام مالك وكلمة تقديم بقلم الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وكلمات رؤساء الوفود المشاركة في الندوة . كما يحتـوي هذا الجزء على بحوث الاساتذة : الرحالي الفاروق ، محمد المكي الناصري ، الدكتور عبد الهادي التازي، عبد العزيز بنعبد الله ، ابراهيم صالح الحسيني من نيجيريا ، عبد السلام المسفيوي ، الدكتور عبـاس الجراري ، الحاج مالك سي من السنيغال ، احمـد شاعري الزيتوني ، محمد عبد الكبيـر العلـوي ، ابراهيم ابن الصديق ، الدكتور التهامي الراجـي ، محمد حماد الورياغلي ، الدكتـور عبـد السلام الادغيري ، هذا الى جانب المناقشات والتعقيبـات والتدخلات والردود ، ويقع الكتاب في 375 صفحة من القطع الكبير .



● اصدر الاستـاذ محمد بن احمد اشماعـو كتابا قيما في الحيـاة الاجتماعيـة المغربيـة والتطور بعنوان (المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنـة : 1350 – 1400 هـ) يقـع في 334 صفحة من الحجم المتوسط ، ويشتمل على ابحاث ودراسات تبـرز التغيرات المتعددة التي شهدها المجتمع المغربـي خلال نصف القرن الاخير الذي وصفه المؤلف بقوله: (ان اعتقادنا لجازم بأن ما حصل في الخمسين سنة الاخيرة ليس له مثيل في اية فترة من فترات التاريخ المغربـي) .

ويحتوي الكتاب على اربعين فصـلا يختمهـا المؤلف بمقارنة مركزية وشاملة بيـن العهديـن ثم يستشرف آفاق المستقبل وتوقعاته .

ويعرض الكتاب للطبقات الاجتماعية ، وتكويـن الاسرة ، وتربية البنت وزواجها ، والمـراة بيـن الاستقرار والاضطراب ، والاولاد والاحتفاء بهـم ، والحفلات والاعياد ، وطراز العمـارة ، والتقاليـد والعادات ، والاطعمة ، والاشربـة ، والالبسـة ، والمقتنيات والتحف ، وعلاقات الصداقة والجوار ، والامثال الشعبية ، والاحاجي والحكايات والنكـات ، والالفاظ العامية ، والتهويمات والاغاني ، ومسليات عامة الشعب ، والمشعوذين ، واهل الفنون ، واهل العلم والادب ، والمسلمين الصادقين ، وحماة الوطن، والمنازعات والاحتكام الى السلطـة ، والعلاقـات

والشركات والتعاون ، واهل الحرف والصناعات ، والحرف الدقيقة الممتازة .

ويتخذ المؤلف مدينة (سلا) محورا لدراساته مؤكدا ان الاختلاف بينها وبين المدن المغربية الاخرى لا يكاد يؤثر فى القاعدة العامة للتطور الشامل الذي شهده المغرب ابان النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري .

وتحليلات المؤلف موضوعية ومرتكزة على رؤية نقدية سليمة واتجاه وطني جعله يتناول كثيرا من الجوانب والموضوعات المتنوعة باسلوب الدارس النابه المطلع على احوال مجتمعه . وهي دراسة فريدة من نوعها باللغة العربية عن المغرب . اذ اعتدنا على قراءة كتب فى مثل هذا الموضوع باقلام اجانب وغالبا ما تكون باللغتين الفرنسية والانجليزية . ولذلك فان كتاب الاستاذ اشماعو يملا فراغا فى الخزانة المغربية . هذا الى جانب ما اتسم به كتابه من صدق وموضوعية وشمولية وامانة فى النقل ودقة فى الوصف .

● صدر فى باريس عمل موسوعي هام للدكتور رشدي فكار تحت عنوان (السوسيولوجيا والسيكولوجيا والانتربولوجيا الاجتماعية) عن دار النشر العالمية غوتنير .

وقد استغرق وضع هذا المعجم الموسوعي العالمي الصادر فى اربعة اجزاء من الف صفحة من الحجم الكبير ، ما يزيد على عشرة اعوام ، ويحتوي على معاني المصطلحات ، ومشاهير اعلام السوسيولوجيا والسيكولوجيا والانتربولوجيا فى العالم .

وقد خص الدكتور رشدي فكار الجزء الاول للمصطلحات بالفرنسية والانجليزية والعربية مع شرح لمضامينها ومعانيها . وخص الجزء الثاني للمصطلحات بالانجليزية ثم الفرنسية والعربية .

وخص الجزء الثالث لمشاهير اعلام هذه العلوم فى العالم بما فيه العالم الثالث .

اما الجزء الرابع فقد عرف فيه الدكتور رشدي فكار لاول مرة بحصيلة للانتاج فى هذه العلوم بالمغرب والمشرق العربيين بالعربية والانجليزية والفرنسية ليربط الفكر العلمي العربي بالفكر العالمي .

وتكمن اصالة هذا العمل العلمي الاكاديمي الهام فى انه كسر حاجز الاحتكار التقليدي الغربي بشقيه الليبرالي والماركسي فى ميدان مضامين علوم الانسان واعلامها واثرى فى نفس الوقت الاطار الابستمولوجي للمعرفة .

● صدرت الطبعة الثانية من كتاب (مركز الاجانب فى مراكش) لمؤلفه الشهيد امحمد أحمد بن عبود . وكانت الطبعة الاولى من هذا الكتاب قد صدرت بالقاهرة سنة 1950 . وقد كتب مقدمتها الاستاذ عبد الرزاق السنهوري .

ومن المعلوم أن المؤلف الذي كان يشغل منصب مدير مكتب المغرب العربي بالقاهرة استشهد فى حادث الطائرة التي سقطت بباكستان والتي كانت تقل من بين ركابها وفد المغرب العربي فى أول مؤتمر اقتصادي للدول الاسلامية المتكون من المؤلف امحمد أحمد بن عبود والشهيد علي الحمامي من الجزائر والشهيد الحبيب ثامر من تونس .

● صدر فى مدينة طنجة كتاب بعنوان (الانوار القدسية فى شرح الوصية الصديقية) ، وهو من تاليف السيد جمال الدين ابي اليسر عبد العزيز بن محمد بن الصديق . وقد علق عليه السيد عبد اللطيف بن عبد الغني جسوس . ويقع الكتاب فى 102 صفحة من القطع المتوسط ، وهو ذو نفس صوفي ينحو فيه مؤلفه منحى توجيهيا وارشاديا عميق التاثير قوي المفعول ، وذلك باسلوب سلس ولغة فى متناول القارىء العادي ، حيث لا يدق

فهمه على الجمهور العريض من المثقفين . والكتاب شرح مختصر لوصية المرحوم ابي عبد الله بن الصديق الحسني التي كتبها لبعض المريدين الآخذين عنه ، وذكر فيها الآداب التي يجب على الصوفي التخلق بها والتمسك بأهدابها . وهذا الشرح هو الثالث من نوعه .

● صدر للاستاذ عبد المالك الشرقاوي كتاب باللغة الفرنسية حول المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية للمغرب ، بمقدمة للدكتور المهدي المنجرة .

● ترجم الدكتور محمد برادة كتاب (الخط العربي) عن اللغة الفرنسية وهو من تأليف الدكتور عبد الكبير الخطيبي والدكتور السجلماسي .

● ترجم الاستاذ قاسم الزهيري كتاب « جمهورية في سبيل ملك » لمؤلفه الفرنسي بيير جولي . وسيقدم المترجم الكتاب للطبع قريبا . ويقص هذا الكتاب مراحل مهمة من ملحمة الملك والشعب مركزا على عودة بطل الحرية والاستقلال جلالة المغفور له محمد الخامس من المنفى الى فرنسا ومنها الى أرض الوطن .

وكان الكتاب قد صدر في باريس منذ ست سنوات .

الجزائر :

● صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر كتاب (مبادىء الاصول) للامام عبد الحميد ابن باديس بتحقيق الدكتور عمار طالبي .

تونس :

● اصدر الباحث التونسي الاستاذ محمد ابو الاجفان ضمن سلسلة (فهارس من تراثنا) كتاب : (رحلة القلصادي) لابي الحسن علي القلصادي الاندلسي . وقد درس الرحلة وحققها الاستاذ ابو الاجفان معتمدا اسلوبا علميا في الدراسة والتحقيق.

● صدر للاستاذ حسين الواد كتاب بعنوان : (في تاريخ الادب ، مفاهيم ومناهج) عن دار المعرفة للنشر ، 1980 ، ويقع في 224 صفحة .

● صدر للاستاذ محمد إلتومي كتاب بعنوان : (الجدال في القرءان الكريم : فعاليته في بناء العقلية الاسلامية) ، يقع في 302 صفحة .

مصر :

● في ستة اجزاء كبيرة يصدر قريبا في القاهرة، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب (المنهل الوافي والمستوفى بعد الوافي) لابن تغرى بردي ؛ جمال الدين ابو المحاسن يوسف البشغلوي الظاهري الحنفي القاهري ، صاحب النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة المتوفى سنة (874 هـ) .

حقق الكتاب وعلق عليه وقدم له وصنع فهارسه الفنية المتنوعة الدكتور نبيل عبد العزيز ، والدكتور محمد محمد امين .

● في مائتين وست وستين صفحة من الحجم الكبير صدر حديثا في القاهرة عن دار الثقافة العربية وعالم الكتب ، كتاب جديد ، في الاسلام والثقافة العربية في اوروبا .. للاستاذ عبد الفتاح مقلد الغنيمي .

● (الخوف من الحياة) مجموعة قصص للكاتب سعد حامد (259 صفحة) صدرت عن هيئة الكتاب.

● (قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها) للدكتور احمد شلبي (282 صفحة) صدرت عن النهضة المصرية .

● (الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة 1936 حتى الحرب العالمية الثانية) للدكتور عادل حسين غانم (479 صفحة) صدر عن مكتبة الخانجي .

● (الدوران حول السور) مجموعة قصص لنبيل عبد الحميد (162 صفحة) صدرت عن دار الهلال .

● صدر للدكتور مصطفى الشكعة كتاب « الائمة الاربعة » وهو كتاب يقع بفهارسه فيما يربو على الالف صفحة بقليل . وهو عرض مفصل فى الكلام عن الائمة الربعة :

— الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت (80 ـ 150 هـ) وتحته فصول عشرة ، الفصل الاول منها عن نشأة وتربية أبي حنيفة . والفصل الثاني منها عن شيوخ أبي حنيفة ومناقبه . والفصل الخامس منها عن أبي حنيفة والسياسة . والفصل السادس منها عن أبي حنيفة وهدايا الخلفاء . والفصل السابع منها عن أبي حنيفة الامام . والفصل الثامن منها عن فقه أبي حنيفة . والفصل التاسع منها عن مؤلفات أبي حنيفة وفكره . والفصل العاشر منها عن تلاميذ أبي حنيفة .

ثم يعقب هذه الفصول العشرة نماذج من كتب الفقه الحنفي : كتاب الآثار وكتاب المبسوط وكتاب الخـراج .

ثم يتلو هذا الكتاب الاول بفصوله العشرة الكتاب الثاني وهو خاص بالامام مالك بن انس (93 ـ 179 هـ) وتحته فصول ثمانية . ثم الكتاب الثالث خاص عن الامام الشافعي والرابع عن الامام احمد بن حنبل .

● صدر كتاب جديد للواء احمد عبد الوهاب بعنوان : (اعجاز النظام القرآني) ويقع فى ثلاثة فصول تتحدث عن : وحدة السورة ، ووحدة المصحف، ووحدة النظام الكوني .

المملكة العربية السعودية :

● من منشورات نادي المدينة المنورة الادبي صدر حديثا ، كتاب جديد للاستاذ عبد العزيز الربيع ، موضوعه « رعاية الشباب فى الاسلام » يتضمن الكتاب مباحث فى :

— الرعاية والشباب فى اللغة .
— ماذا تقول كتب اللغة .
— اهتمام الاسلام بالفرد .
— رعاية الاسلام للطفولة .
— رعاية الاسلام للام .
— العناية بالطفل فى الاسلام .
— اهتمام الاسلام بعناصر الوراثة .
— بعض مظاهر الرعاية .
— اهتمام الاسلام بكافة جوانب الطفل .
— قصة يوسف ، كنموذج تطبيقي .
— اهتمام الاسلام بارواء حاجة الطفل للتشجيع .
— مسؤولية رعاية الشباب فى الاسلام .
— القدوة الصالحة فى الاسلام .
— ركائز اخرى تستند عليها رعاية الشباب فى الاسلام .
— التربية العلمية الواعية للروح والجسد معا .
— مشكلات المراهقة .
— الجوانب الرياضية الخالصة .

● (الاسلام والضمان الاجتماعي) تأليف الدكتور محمد شوقي الفنجري ، صدر عن دار ثقيف للنشر

والتوزيع بالمملكة العربية السعودية ، وهــو دراسة موجزه وشاملة لاصول الزكاة ومحاولة لبيان تطبيقاتها على ضوء متغيرات العصـــر . والمؤلــف استـــاذ الاقتصاد الاسلامي بجامعة الرياض .

● بتقدير (ممتاز) نالت الاستاذة نـوال حمـزة الصيرفي درجة (الماجستير) في التاريخ الاسلامي، عن رسالتها العلمية العالية . التي تمت مناقشتها في مقر الطالبات بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، في (النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القـــرن العاشر الهجري) .

ناقشت الرسالة لجنة مكونـــة مـــن السادة الاساتـــــذة :

1 ـ الدكتور حسنين محمد ربيـــع ؛ المشرف على الرسالة ـ رئيسا .

2 ـ الدكتور مصطفى محمد رمضان ـ عضوا .

3 ـ الدكتور حسام الدين السامرائي ـ عضوا .

● فرغ الدكتور محمود حسن زينـي الاستـــاذ المشارك بقسم الدراسات العليا العربيـــة بكليـــة الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبـــد العزيز بمكة المكرمة مؤخـرا من تحقيـــق كتـــاب « شرح قصيدة البردة » لابي البركات ابن الانباري ، ودفع به للنشر .

الكتاب شرح طريف لقصيدة « البردة » التـي مطلعهــــــا :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبـــول
متيم عندها لم يجز مكبـــــول

وهي القصيدة المشهورة التي اعتذر بها كعب ابن زهير عن هجائه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وطلب الامان ، وانشده اياها في مجـــلس حافـــل بالصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ فلما فرغ من الانشاد ، اقبل عليه النبي ـ عليه السلام ـ وخلـع عليه بردته الشريفة : التي بيعت فيما بعد ـ بالثمن الجزيل ـ .

وقد طبعت البردة ، وعـدة أبياتهـــا سبعــة وخمسون بيتا ، في لندن ، ودهلـي ، وباريـــس ، والجزائر ، ومصر ، والمغرب ، ولديوان الشاعـــر ، عدة طبعات ، وشرحها غير واحد من علماء العربية ، وادبائها ، ولغوييها قديما وحديثا .

ولعل أبرز هؤلاء ابو البركات عبد الرحمـــن بن ابي الوفا محمد بن عبيد الله بن ابي سعيد الانباري ، النحوي ، الاديب ، الفقيه ، الزاهـــد ، صاحـــب « الانصاف في مسائل الخلاف » و « اسرار العربية » و « نزهة الالباء في طبقات الادباء » المتوفى سنـــة 577 هـ ، ببغـــداد .

● صدر للكاتب الاسلامي احمد محمد جمال كتاب بعنوان : (نحو تربية اسلامية) ضمـــن سلسلـــة (الكتاب العربي السعودي) .

● صدر للشيخ حمود عبد الله القويجري كتـــاب بعنوان : (الصارم المشهـــور على أهـــل التبـــرج والسفور) . وقام بنشر الكتاب وقدم له الشيـــخ طاهـــر خيـــر الله .

● صدر للدكتور (وليد قصاب) كتـــاب جديـــد بعنوان : (قضية عمود الشعر في النقـــد العربـــي القديم : ظهورها وتطورها) عن دار العلوم بالرياض .

● توفي الى رحمة الله في المدينـــة المنـــورة الشيخ حسن الشاعر شيخ القراء في المملكة العربية السعودية عن 140 عاما ، وكان الشيخ حسن الشاعر قد قضي 100 سنة كاملة في تدريس القرءان الكريم وتجويده في الحرم المدني الشريف ، وقد تخرجت على يده اجيال من العلماء ومشاهيـــر المقرئيـــن .

وخلف رحمه الله عددا من المؤلفـات في الدراسات القرآنية وخاصة علم التجويد .

● (قضية الثقافة في بلادنا) بحوث في الثقافة وتسويق الكتاب للكاتب السعودي حامد عباس صدرت عن دار الاندلس – بيروت . كتب مقدمة الكتاب الاستاذ هاشم عبده هاشم .

● اصدر النادي الادبي بالرياض باشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر كتابا جديدا من كتب التراث العربي ، حقق نصوصه وعلق عليها ووضع فهارسها الفنية المتنوعة وقدم لها بدراسة ضافية المحقق البحاثة ، الاستاذ حمد الجسر . وعنوان الكتاب : (ادب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب واخبارها وانسابها وايامها) ، للحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي (370 هـ – 418 هـ) وموضوعه (مختار اشعار القبائل ، وسير الجاهلية والاسلام ، وسياقة جماهير الانساب والغريب من المعارف والآثار) .

الامارات العربية المتحدة :

● صدر عن الادارة الثقافية بوزارة الاعلام والثقافة في دولة الامارات العربية المتحدة كتاب عن « الامام مالك » رضي الله عنه ، ومكانة كتابه « الموطأ » .. وهو من تاليف د. تقي الدين الندوي المظاهري .. خادم الحديث النبوي برئاسة القضاء الشرعي بأبو ظبي .

وقد تضمن الكتاب بابين ، الاول مخصص لـ « الامام مالك » وتناول نسبه وولادته وصفحات عن نبوغه المبكر واجتهاده في طلب العلم وسعة حفظه وشيوخه وتلاميذه ، كما تناول الباب الاول ثناء الائمة عليه وقصيدة في الثناء الى غيره مما يتصل به .

الباب الثاني : وكان مخصصا لكتاب الامام « الموطأ » .. فتناول الموطأ ومكانته في الاسلام ، وسبب تاليفه وشهادة الامام الشافعي على منزلة الموطأ ، ومكانة الموطأ بين كتب الحديث .. الى جانب موضوعات اخرى تتعلق بالكتاب .

فلسطين :

● توفي الى رحمة الله الشاعر الفلسطيني الكبير عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) في واشنطن بعد عملية جراحية اجريت له هناك .

والشاعر ابو سلمى ولد عام 1907 في طولكرم بفلسطين المحتلة ، ودرس في مدارسها وواصل دراساته العليا في دمشق .

وانتخب الفقيد رئيسا للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين عام 1980 . وقد سجل في اشعاره الكفاح الوطني للشعب الفلسطيني ، ولعب على النطاق العالمي دورا طلائعيا في التعريف بالقضية الفلسطينية ، وهو من طليعة المثقفين العرب الذين خدموا الضاد والتزموا بالدفاع عن اصالة الثقافة العربية الاسلامية .

لبنان :

● بتحقيق الاستاذ مصطفى ابراهيم الكومي صدر مؤخرا ، في بيروت عن دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع ، كتاب « تأويل الاحاديث الموهمة للتشبيه » لجلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر السيوطي ، المتوفى سنة 911 هـ .

يقع الكتاب في مائة وثمان وثمانين صفحة من الحجم الكبير موزعة بين مقدمة التحقيق ، والنص المحقق ، وفهارس الكتاب . تضمنت المقدمة الكلام عن عصر السيوطي ، وحياته ، وآثاره ، وتضمن النص الكلام عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحاديث اهل البدع ، وتفنيدها ، وتمييزها من الصحاح .

● في بيروت اصدرت دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، مؤخرا ، للدكتور عبده الراجحي ، استاذ العلوم اللغوية بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية كتابا جديدا ، عنوانه : « النحو العربي والدرس الحديث : بحث في المنهج . »

يشتمل الكتاب على مقدمة ، وبابين ، وخاتمة .

عرض المؤلف في المقدمة للمناخ العام ، الذي تأسس فيه النحو العربي ، وعرض في الباب الاول للمنهج الوصفي ، من حيث موقفه من هذا النحو ، وعرض في الباب الثاني للمنهج التحويلي الجديد ، اصوله النظرية ، وطريقته في التحليل ، والجوانب التحويلية في النحو العربي ، وعرض في الخاتمة للنتائج العامة التي خرج بها المؤلف من محاولته هذه في النظر الى اصول المنهج النحوي عند العرب ، على ضوء المناهج الحديثة ، بحثا في المنهج ، وبحثا عن منهج .

● من تاليف الدكتور عبد الرحمن بدوي صدر ، في بيروت ، حديثا عن دار العلم للملايين للطباعة والنشر والتوزيع كتاب جديد يتناول فيه « دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي » .

● من نصوص التراث الاسلامي الصادرة في بيروت حديثا كتاب « الادب في الدين » لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي ، وقد صدر عن دار الشروق للطباعة والنشر .

● في طبعة جديدة مزينة بعدد كبير من القصائد التي لم يسبق نشرها من قبل صدر ، في بيروت ، حديثا عن دار مارون عبود للطباعة والنشر والتوزيع (ديوان خليل مطران) في ثلاثة اجزاء ضخمة .

● صدر للاستاذ صالح ابو اصبع كتاب بعنوان : (الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة) 1948 – 1975 عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت .

● اصدر الكاتب غالب طعمة فرمان رواية جديدة بعنوان : « ظلال على النافذة » ، وقد صدرت عن المنشورات الادبية ببيروت .

● صدر للكاتب ميخائيل نعيمة مجموعة قصصية بعنوان : (قصص) عن دار الفجر ببيروت .

● صدرت للقصاص (حيدر حيدر) مجموعتان قصصيتان ، الاولى بعنوان : « الومض » والثانية بعنوان : « حكاية النورس المهاجر » .

● صدرت للشاعر ادونيس مجموعة شعرية جديدة بعنوان : « القصائد الخمس تليها المطابقات والاوائل » عن دار العودة – بيروت لبنان .

● صدر في بيروت كتاب جديد بعنوان : (شعر الرمادي) من تاليف ماهر زهير جرار – عن الشاعر الاندلسي (الرمادي بن هارون) وهو من شعراء القرن الرابع الهجري .

والمعروف انه لم يصلنا للرمادي ديوان مجموع وانما جاءت بعض قصائده في روايات لابي بكر بن القرضي ، استطاع المؤلف ان يجمع نحو ستمائة بيت من الشعر للرمادي ، وقدم كل ذلك بدراسة وافية .

● عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، صدر حديثا في بيروت كتاب جديد للدكتور حسام الالوسي عنوانه : (دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي) .

● حقق الدكتور مصطفى غالب « كتاب الافتخار » لابي يعقوب السجستاني المتوفى بعد سنة 353 هـ .

● (محنة العرب فى الاندلس) من تاليف اسعد حومد . يتناول الكتاب الحضارة الاسلامية فى الاندلس : ابعادها ، وآثارها ، كما يتناول سقوط الخلافة الاموية فى الاندلس ، وقيام حكم ملوك الطوائف ، ثم خضوعهم للممالك الاسبانية ، فمغادرة تلك الربوع .

● طيب تيزيني ، صدر له كتاب جديد بعنوان : (مشروع رؤية جديدة للفكر العربي من العصر الجاهلي حتى المرحلة المعاصرة) ويقع فى 1100 صفحة من الحجم الكبير .

● صدر كتاب (التحفة الملوكية) المنسوب للامام ابي الحسن الماوردي بتحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم . ويشتمل الكتاب على عرض لمبادىء الحكم فى الاسلام وما ينبغي ان يكون عليه المسلم الحق فى حياته الخاصة والعامة وما يهم كل مسلم ومسلمة لاصلاح المجتمع الاسلامي الكبير .

العـــراق :

● صدر للكاتب العراقي الدكتور عبد الرحمن حجي كتاب بعنوان : (مع الاندلس : لقاء ودعاء) . يقول المؤلف فى التعريف بالكتاب : « هو عبارة عن نوع جديد من المذكرات الادبية العلمية التي تمثل وقفة مسلم متخصص فى تاريخ جزء من العالم الاسلامي وحضارته ، يستنطق المواقع الاسلامية .. » .

● صدر عن دار ثقيف للتاليف والنشر ديوان جديد للشاعر العراقي الاستاذ هادي الخفاجي بعنوان : (لحن الهوى) . ويشتمل على مجموعة كبيرة من شعره ، وقد قسم الشاعر موضوعات شعره الى عدة اغراض ، واهدى الشاعر ديوانه الى .. « عشاق الشعر الفصيح » .

● وصلنا الجزآن الرابع والخامس من كتاب : « الآثار الخطية فى المكتبة القادرية ، فى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني » عن مطبعة المعارف

ببغداد من تاليف الدكتور (عماد عبد السلام رؤوف) وكانت الاجزاء الثلاثة الاولى قد صدرت منذ مدة ، ويقع الجزء الرابع فى 448 صفحة من الحجم الكبير ، بينما يقع الجزء الخامس فى 496 صفحة .

الكويـــت :

● من نصوص التراث الاسلامي المخطوط صدر ، حديثا ، فى الكويت عن الدار السلفية للطباعة والنشر والتوزيع كتاب « رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة » للامام ابي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني الصنعاني ، صاحب « البدر الطالع » و « نيل الاوطار » المتوفى سنة 1250 هـ .

حقق الكتاب الاستاذ محمد بن ابراهيم الشيباني ، وهو يتناول موضوع الغيبة ، آياتها فى الكتاب الكريم ، ونصوصها فى السنة المطهرة ، واحاديثها فى كلام السلف ، وتحريمها ، وجواز بعضها .

يقع الكتاب فى نحو اربعين صفحة من الحجم المتوسط .

● عن وكالة المطبوعات ، صدر : حديثا ، فى الكويت – كتاب جديد للاستاذين عبد الاله ابو عياش ، واسحاق القطب ، موضوعه : « الاتجاهات المعاصرة فى الدراسات الحضرية » ويقع فى مائتين وثمان وثمانين صفحة من القطع الكبير .

الاردن :

● صدر فى عمان حديثا عن دار الرسالة الاردنية للطباعة والنشر والتوزيع كتاب جديد ، من تاليف

الدكتور محمد بركات ابو علي ، موضوعه ، « الاصول الادبية فى كتاب البيان والتبيين » للجاحظ .

سوريـــــا :

● فى سلسلة « المختار من التراث العربـي » الدورية ، التي تنشرها لجنة احياء التراث العربـي الاسلامي بوزارة الثقافة والارشاد القومي السوريـة صدر ، حديثا ، فى دمشق كتـاب « مـن احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » لابي عبد الله محمد بن احمد المقدسي الحنفـي ، المعـروف بالبشارى ، المتوفى بعد سنة 380 هـ .

اختيار النصوص والتعليق عليها ، وتحقيقها ، والتقديم لها بعناية الاستاذ غازي طليمات .

عمـــــان :

● عن وزارة التراث القومي والثقافة العمانيـة صدر ، مؤخرا ، فى عمان الجزآن ، الاول والثاني من كتاب « المصنف » لابي بكر احمد بن عبـد الله بن موسى الكندي النزوي « المتوفى فى منتصف القرن السادس الهجري » بتحقيق الاستاذين عبد المنعـم عامر ، وجاد الله احمد .

يقع الجزءان فى مجلد واحد ؛ عدد صفحاتـه ثلاثمائة وست وثلاثون صفحة من الحجم الكبير .

تركيـــــا :

● فى استانبول صدر مؤخـرا عـن جامعـة استانبول ـ الجزء الخامس من كتـاب « البـرق الشامي سيرة السلطان صلاح الديـن يوسف بـن ايوب » ، للعماد الاصفهاني ، أبي عبد الله محمد بـن صفى الدين أبي الفرج محمد بن نفيس ، الوزيـر ، الكاتب ، المتوفى سنة 597 هـ .

يقع الكتاب فى مائتين وست وثلاثين صفحة ، من الحجم الكبير ، وقد حققه الاستـاذ الدكتـور رمضان ششن ، وكتب مقدمته وحواشيه بالتركية .

النمســـا :

● قدمت جامعـات (بـون) و (توبنيجـن) و (جوتنجن) الالمانية مؤخرا مجموعة من المخطوطات الاثرية العربية الى دار الكتب الوطنية النمساويـة ، فى فيينا ، بمناسبة اقامة معرض حضـارة الاسلام فيها خلال ثلاثة الاشهر المقبلة ، وهي مجموعة كانت تحتفظ بها فروع الدراسات العربية والاسلاميـة فى هذه الجامعات الالمانية العريقة التي تخرج منها عدد كبير من المستشرقين الالمان ، والاجانب ، وقامت برعاية حركة الاستشراق الالمانية سنوات طويلة .

وفى نفس الوقت عـرض (متحـف الفـن الاسلامي) فى مدينة برلين الغربية، فى هذا المعرض، الذي يقام فى العاصمة النمساوية ـ مختارات رائعة من الاثار الاسلامية الثقافية ، والفنيـة ، كالكتـب والمخطوطات ، والنقوش ، والرسوم ، التي تعـود الى القرون الاولى من العصر الاسلامـي ، وبعـض نماذج من الآيات القرآنية الكريمة ، التي جمعها هذا المتحف الالماني .

وقد شُارك عدد من المستشرقين والاساتـذة الالمان ، فى القاء عدة محاضرات ثقافية قيمـة فى اطار هذا المعرض الثقافي الاسلامي ، بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على هجرة الرسول الكريم من مكـة المكرمة الى المدينة المنـورة ، وبدايـة التاريـخ الاسلامي اجتذبت عددا كبيرا من المواطنين المهتمين بتاريخ الحضارة العربية والاسلاميـة فى أوروبـا الغربيـة .

فهرس العدد 7 السنة 21

صفحه

وطن الأحباب

للشاعر السعودي الكبير
عثمان بن سيار

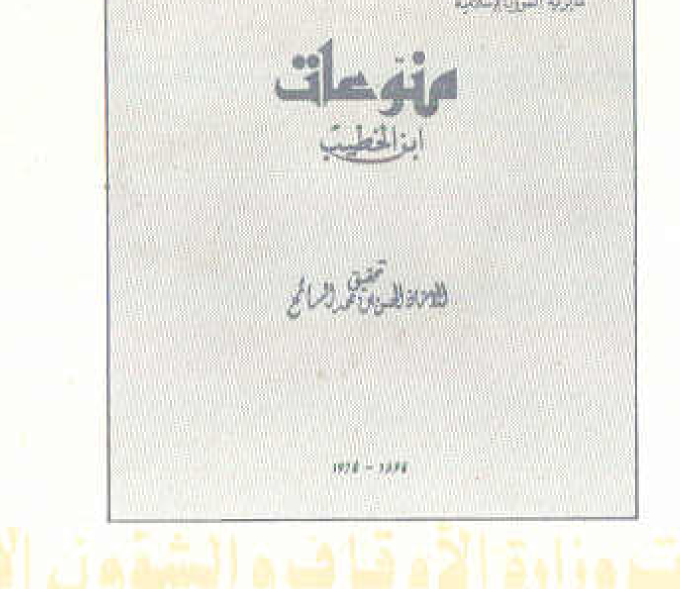
أحِنُّ إلى مغناكَ طابتْ مرابعُه وغنّت بأكنافِ الربيعِ سَواجعُهْ
وأهفو إلى يومٍ منَ الدَّجْنِ مونقٍ نسائمُهُ فتّانةٌ وزوابعُهْ
بأفيائكَ الخضْراءِ يا مَغْرِبَ العُلَى عرفتُ نعيماً طابعُ الحُسْنِ طابعُهْ
وسرّحتُ طَرْفِي في جَمالِكَ فانتشَى به خافقٌ طالَتْ دُهوراً مَواجعُهْ
وفي وجهكَ المزدانِ بالطّهرِ والشّذى رأيتُ الهَوَى تُصْغي إليَّ مَسامعُهْ
أعَدْتَ إلى قَلْبِي الشبابَ الذي مَضَى وألْهَمْتَنِي في الشّعرِ ما قَلَّ صانعُهْ
وفيكَ بظِلِّ الدَّوْحِ اشْبَعْتُ ناظِرِي وعادَ لِقَلْبِي في الرِّضا منكَ ضائعُهْ
وَعُدْتُ إلَى مغناكَ يامَوْطِنَ الهَوَى يُصارِعُني فيكَ الجَوَى، وأُصارِعُهْ
وإنّكَ في صَدْرِي حَنينٌ مُخَلَّدٌ وفي العَيْنِ حُسنٌ ليس تَفْنَى رَوائعُهْ
وَفِيكَ لِقَلْبِي في الغرامِ وَدِيعَةٌ وإنّكَ مَنْ لا تُسْتَبَاحُ ودائعُهْ

* * *

أيا وَطَنَ الأحبابِ أفدِيكَ مَوْطناً مَغارِبُهُ مَحْمُودَةٌ، وَمَطالِعُه
فمِنْ "أطلسٍ" عِزّتِنَهُ شامِخُ الذُّرَى تُلامِسُ جَوْزاءَ السَّماءِ أصابِعُهْ
تَعَمّمَ بالثّلْجِ الطَّهُورِ، كأنّهُ مَليكُ الذُّرَى عالِي الجَبِينِ وناصِعُهْ
إلى السَّهْلِ ميّاسِ الأفانِينِ مُونِقٍ فللّهِ جانِيهِ، ولِلّهِ زارعُهْ !!
بِساطٌ على طُولِ المَدَى لا تجُوسُهُ عَواصِفُ أو تشْكُو الأوَامَ يوانِعُهْ
شَجَتْنِي رُباكَ الخُضْرُ حتّى وَجَدْتَنِي أخا صَبْوَةٍ تهفو إليكَ نَوازِعُهْ
وَماضِيكَ في الماضِينَ مجدٌ مُؤثّلٌ وحاضِرُكَ المِعْطاءُ جَلّتْ صَنائِعُهْ
وعِشْتَ سِياجاً للعُروبَةِ حامِياً وغِيلَ أُسودٍ لا تُداسُ مَرابِعُهْ

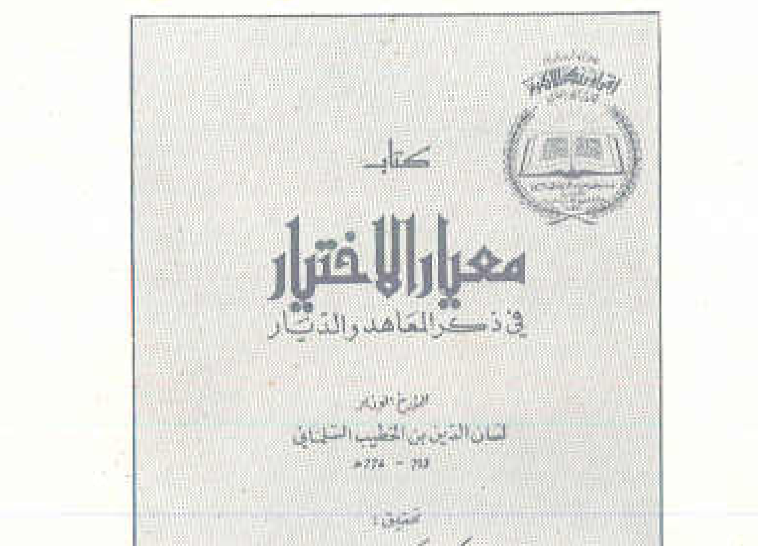
مطبعة فضالة — المحمدية (المغرب)


نشر البنود
على
مراقي السعود
الجزء الثاني


المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
مديرية الشؤون الإسلامية
منوعات
ابن الخطيب
١٣٩٦ - ١٩٧٦

المحرر الوجيز
في تفسير الكتاب العزيز
الجزء الرابع

الموسوعة المغربية
للأعلام البشرية والحضارية
معلمة المدن والقبائل
1977
1397


كتاب
معيار الاختيار
في ذكر المعاهد والديار
لسان الدين بن الخطيب السلماني
تحقيق
الدكتور محمد كمال شبانة

أوصاف الناس في التواريخ والصلات
تليها
الزواجر والعظات
لسان الدين بن الخطيب السلماني